
ميقات الحج
١٦
عدد خاص
بمناسبة عام الوحدة
والانسجام الإسلامي
واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا

بسم الله الرحمن الرحیم

دو فصلنامه « میقات الحج »

کاتب:

محمدی ری شهری

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

ميقات الحج المجلد١۶

اشارة

عنوان و نام پديدآور : ميقات الحج[پيايند: مجله]

مشخصات نشر : تهران: منظمة الحج و الزيارة، ١۴١٧ ق. - = ١٣٧۵ -

فاصله انتشار : شش ماه يكبار

يادداشت : عربی

فهرست‌نويسی براساس سال٣ شماره۵ سال١۴١٧ق.

يادداشت : اين نشريه در بيروت نيز منتشر می‌شود

يادداشت : المديرالمسؤول: محمد محمدی‌ری‌شهری

رئيس‌التحرير: علی قاضی‌عسكر

يادداشت : كتابنامه

ترجمه عنوان : Mighat al - haj

موضوع : حج -- نشريات ادواری

شناسه افزوده : محمدی ری‌شهری، محمد، ١٣٢۵، -مدير مسئول

Muhammadi Reyshahri, Muhammad

قاضی عسكر، سيدعلی، ١٣٢۵، - سردبير

شناسه افزوده : سازمان حج و زيارت

رده بندی كنگره : BP١٨٨/٨

رده بندی د... : ٢٩٧/٣۵٧٠۵

ص : ١

مناسک الحجّ لصاحب المعالم (٢)

ص: ۲

ص: ٣

ص: ۴

ص: ۵

العدد السادس عشر

مناسک الحجّ لصاحب المعالم (۲)

تألیف: جمال الدین العاملی

تحقیق: هادی القبیسی

فصل: وبالتلبیة ینعقد الإحرام، ویتعلق بالمحرم أحکام ینقسم إلی فروض وآداب:

أمّا الفروض: فاجتنابصید البرّ المحلّل الممتنع بالأصالة، والمشهور اجتناب ستّة من المحرّم: الأسد والثعلب والأرنب والضب والیربوع والقنفذ، والروایة المتضمّنة لحکم الأسد ضعیفة، وکذا الثعلب، نعم حکم الأرنب مرویّ فی الصحیح، وبالثلاثة الأخیرة روایة حسنة لمسمع بن عبد الملک عن أبی عبداللّه علیه السلام، وظاهر بعض الأخبار الصحیحة المنع من قتل الزنبور، لکنّه مخصوص بما لم یرد قاتله بأذی. للتصریح فی جملة من الأخبار بالإذن فی قتل کلّ ما یخافه المحرم علی نفسه.

وفی حکم الاصطیاد الأکل والذبح والدلالة والإغلاق، واجتناب الاستمتاع بالجماع ومقدّماته حتّی العقد.

والفسوق، وهو الکذب والسباب والمفاخرة والجدال، وهو قول: لا واللّه، وبلی واللّه.

ص: ۶

والطيب بـأنواعه على الأحـوط، ولو فى الطعـام، إلّـافى خلوق الكعبـة. ولا بأس بشمّ الإذخِرِ والشـيح والقَيْصومُ والخُزامى (۱) وأشباهها. روى ذلك معاوية بن عمّار فى الصحيح عن أبى‌عبداللّه عليه السلام (۲).

ولا بأس أيضاً بالريـح الطيبـة بين الصـفا والمروة من ريح العطّارين، ولا يمسك على أنفه. رواه هشام بن الحكم فى الصـحيح عنه عليه السلام (۳).

وفى خبرصحيح لابن سنان عنه عليه السلام: «المحرم إذا مرّ على جيفة فلا يمسك على أنفه» (۴).

وفيصـحيح آخر للحلبى عنه عليه السـلام: «المحرم يمسـك على أنفه من الريـح الطيبـة، ولاـ يمسـك على أنفه من الريـح الخبيثـة» (۵) واجتنـاب الاكتحـال بـالسواد، والإدهـان مطلقـاً، وإخراج الـدم، وقلم الأظفـار، وإزالـة الشـعر، ولبس الخاتم، والحنّاء للزينـة، والنظر فى المرآة، ولبس السلاح اختياراً، وقتل هوام الجسد كالقمل. وهذا كلّه يشترك فيه الرجل والمرأة.

ويختصّ الرجل بوجوب اجتناب لبس المخيط فى المشـهور. والأخبار إنّما تفيد المنع من خياطة مخصوصة، ولكن التعميم أحوط. وفى معناه ما يُحيط بالبـدن كالدرع، لا الطيلسان، فيجوز لبسه لكن لا يزرّه. وله أن يعقد الإزار ويلبس المنطقة والهميان، ولا يعقد الرداء ولا يزره ولا يخلّله على الأحوط.

وفيصحيح عمران الحلبى عن أبى عبداللّه عليه السلام: «المحرم يشدّ على بطنه العمامة،

۱- ۱ هذه الأربعة نباتات معروفة ذكية الرائحة.

۲- ۲ الوسائل ۱۲: ۴۵۳، باب ۲۵، من أبواب تروك الإحرام، حديث ۱.

۳- ۳ الوسائل ۱۲: ۴۴۸، باب ۲۰، من أبواب تروك الإحرام، حديث ۱.

۴- ۴ الوسائل ۱۲: ۴۵۳، باب ۲۴، من أبواب تروك الإحرام، حديث ۳.

۵- ۵ الوسائل ۱۲: ۴۵۳، باب ۲۴، من أبواب تروك الإحرام، حديث ۱.

ص: ۷

وإن شاء يعصبها على موضع الإزار ولايرفعها الى صدره» (۱).

واجتناب التظليل سائراً إلّاالضرورة من أذى الشمس أو المطر أو من مرض، فيظلل ويكفر بشاة. وظاهرصحيح محمّد بن اسماعيل بن بزيع، عن الرضا عليه السلام: «أنها تذبح بمنى مطلقاً» (۲) والعمل به أولى، وإن استفيد من بعض الأخبار المعتمدة التخيير فى العمرة المنفردة بينه وبين الذبح بمكة، وإن جعله بمكة أفضل.

روى موسى بن القاسم فى الصحيح عن علىّ بن جعفر أنّه قال لأخيه عليه السلام:

أظلل وأنا محرم؟ فقال: «نعم وعليك الكفّارة»، قال موسى بن القاسم: فرأيت علياً- يعنى ابن جعفر عليه السلام- إذا قدم مكة ينحر بدنة لكفارة الظل (۳).

وهذا الحديث ربما عارض حديث ابن بزيع فيجمع بالتخيير خصوصاً فى العمرة إلّاأن ذلك أرجح.

وأما المشى فى ظل المحمل ونحوه فجائز.

واجتناب تغطية الرأس ولو بالارتماس، وستر ظهر القدم بالخف ونحوه إلّا مع الضرورة ولا كفارة حينئذ.

وتختص المرأة بالمنع من التنقيب- ويجوز لها سدل الثوب على وجهها من أعلاها إلى الذقن، وإذا كانت راكبة فإلى النحر- ومن لبس مالم تعتده من الحلى ومن المعتاد بقصد الزينة أو مع إظهاره للزوج.

وإذا فعل المحرم شيئاً من هذه المحرمات، فإن كان جاهلًا أو ناسياً فلا شىء عليه، إلّافى الصيد، ومع التعمّد يأثم وتلزمه الكفارة، إلّافى الاكتحال والادّهان بغير الطيب.

۱- ۱ الوسائل ۱۲: ۵۳۳، باب ۷۲ من أبواب تروك الاحرام، حديث ۱.

۲- ۲ الوسائل ۱۳: ۱۵۵، باب ۶ من أبواب بقية كفارات الاحرام، حديث ۶. مضمون الخبر.

۳- ۳ الوسائل ۱۳: ۱۵۴، باب ۶ من أبواب بقيّة كفارات الاحرام، حديث ۲. باختلاف يسير.

ص: ۸

وإخراج الـدم، ولبس الخـاتم والحنّاء، والنظر فی المرآة، ولبس الحلّی، والفسوق. ولا فرق فی لزوم الکفارة بالصـید بین العامـد وغیره. ولتفصیل الکفارات محل آخر.

وأما الآداب: فروی معاویة بن عمار فی الصحیح عن أبی عبداللّه علیه السلام أنّه قال:

«إذا أحرمت فعلیـک بتقوی اللّه، وذکر اللّه کثیراً، وقلّـة الکلاـم إلّـابخیر، فـإنّ من تمام الحـج والعمرة أن یحفظ المرء لسانه إلّامن خیر، کما قال اللّه تعالی عزّ وجل، فإنّ اللّه یقول: فَمَنْ فَرَضَ فِیهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَ لا فُسُوقَ وَ لا جِدالَ فِی الْحَجِّ (۱) (۲)

.

وفی خبر آخر لمعاویـة أیضـاً عنه علیه السـلام: «اتق المفـاخرة، وعلیـک بورع یحجزک عن معاصـی اللّه، فـإنّ اللّه عزّ وجـل یقول: ثُمَّ لْیَقْضُوا تَفَثَهُمْ (۳)

. ومن التفث أن تتکلم فی إحرامک بکلام قبیح. فإذا دخلت مکة وطفت بالبیت تکلمت بکلام طیب، وکان ذلک کفارة لذلک» (۴).

روی حماد بن عیسـی [فی الصحیح] عن أبی عبداللّه علیه السلام قال: «لیس للمحرم أن یلبّی من دعاه حتیینقضی إحرامه، قلت: کیف یقول؟ قال یقول: یاسعد» (۵).

روی حریز بن عبداللّه فی الصحیح عنه علیه السلام أنه قال: «لا بأس أن یؤدِّب المحرم عبده ما بینه وبین عشرة أسواط» (۶).

روی معاویـة بن عمار فی الحسن عنه علیه السـلام أنه قال: «إذا أحرمت فاتق قتل الدواب کلّها إلّاالأفعی، والعقرب، والفأرة فإنها توهی السقاء وتحرق علی أهل

۱- ۱ البقرة ۲: ۱۹۷.

۲- ۲ الوسائل ۱۲: ۴۶۳، باب ۳۲ من أبواب تروک الاحرام، حدیث ۱. باختلاف یسیر.

۳- ۳ الحج ۲۲: ۲۹.

۴- ۴ الوسائل ۱۲: ۴۶۵، باب ۳۲ من أبواب تروک الاحرام، حدیث ۵. بتصرف.

۵- ۵ الوسائل ۱۲: ۵۶۱، باب ۹۱ من أبواب تروک الاحرام، حدیث ۱. وما بین المعقوفین زیادة من الاصل.

۶- ۶ الوسائل ۱۲: ۵۶۴، باب ۹۵ من أبواب تروک الاحرام، حدیث ۱.

ص: ۹

البیت. وأما العقرب فإنّ نبی اللَّهصلی الله علیه و آله مدّ یده إلی الحجر فلسعته عقرب فقال: لعنک اللَّه لابراً تدعین ولا فاجراً. والحیة إذا أرادتک فاقتلها، فإن لم تردک فلا تردها» (۱).

فصل [فی أنّ الحیض غیر مانع للاحرام] (۲):

الحیض غیر مانع من الإحرام، فلو اتفق فی وقت انشائه أحرمت کغیرها، لکن لاتصلی السنّة (۳). وإن کان میقاتها مسجد الشجرة أنشأت الإحرام مجتازة فیه.

وینبغی لها أن تغتسل وتحتشی بالکرسف، وتستثفر وتلبس ثوباً دون ثیابها لإحرامها. ثم إن طهرت قبل وقت الطواف فلا بحث، وإلّا تنظّرت الطهر ما بقیت سعة الوقت للتلبس بالحج، فإن ضاق الوقت ولمّا تطهر عدلت إلی حج الافراد (۴)، وخرجت إلی عرفة بإحرامها الأول، ثم تعتمر بعد إتمام الحج عمرة مفردة کما هو شأن المفرد. ولو انقضت عادتها قبل تضیّق وقت الحج ولکن استمر الدم ولم تبلغ العادة العشرة استظهرت بیومین أو ثلاثة، وهو أولی إن اتسع لها الوقت وأمکن قبل انقضاء العشرة، ثم تغتسل وإن بقی الدم، وتأتی ببقیة أفعال العمرة مراعیة لأحکام الاستحاضة، وتکتفی بالوضوء الواحد للطواف ورکعتیه. وتحرم بعد فراغها من العمرة بالحج کغیرها. ثم إن اتّفق تجاوز الدم العشر فلا إشکال، وإن انقطع علیها أو علی ما دونها ففی الحکم إشکال بناءً علی ما ذکره جمع من الأصحاب من وجوب قضاء الصوم الواقع فیها بعد الاستظهار وقبل العشرة إذا لم

۱- ۱ الوسائل ۱۲: ۵۴۵، باب ۸۱ من أبواب تروک الاحرام، حدیث ۲. بتصرف.

۲- ۲ ما بین المعقوفین زیادة من ن.

۳- ۳ فی ن الستة بدل السنّة.

۴- ۴ فی هامش ن: ونیة العدول: أعدل من إحرام عمرة التمتع عمرة الاسلام إلی حج الافراد حج الاسلام لوجوبهقربة إلی اللَّه.

ص: ۱۰

یتجاوزها الحیض نظراً إلی انکشاف الحال بانقطاعه علی العشرة فما دونها (۱)، وظهور کون الجمیع حیضاً، فتکون العبادة الواقعة فیه فاسدة، ولم أقف علی نص فی ذلک ولا فتوی (۲). وکلام الجماعة فی قضیة الصّوم منظور فیه، ولا یبعد القول بصحة العبادة الواقعة بعد الاستظهار مطلقاً؛ لاقتضاء الأدلة له، وعدم ثبوت المخصص.

هذا کله علی تقدیر اتساع الوقت للاستظهار والاتیان ببقیة أفعال العمرة.

وإلّا عدلت إلی الحج عند ظهور الضیق.

فصل [فی آداب دخول مکة] (۳)

وإذا بلغ المتمتع الحرم فلیغتسل حین یدخله وهو بالخیار بین أن یقدّم الغسل من بئر میمونة أو من فخ، وبین أن یؤخّره فیغتسل من منزله بمکة.

والمقدِّم للغسل إذا نام قبل أن یدخل الحرم أعاده، ولیأخذ نعلیه بیده ویمشی ساعة فی الحرم، ویأخذ من الإذخر فیمضغه. وإذا نظر إلی بیوت مکة فلیقطع التلبیة، وعلیه بالتکبیر والتهلیل والتمجید والثناء علی اللّه عزّ وجل بما استطاع. وإذا دخل مکة فلیدخلها بسکینة غیر متکبّر ولا متجبّر. فإذا دخل المسجد الحرام فلیدخله حافیاً علی السکینة والوقار والخشوع، فمن دخله بخشوع غفر اللّه له.

روی ذلک معاویة بن عمّار فی الحسن عن أبی عبداللّه علیه السلام، ثم قال: «فإذا انتهیت إلی باب المسجد فقم وقل: السّلام علیک أیّها النبی ورحمة اللّه وبرکاته، بسم اللّه وباللّه، ومن اللّه وما شاء اللّه، والسّلام علی أنبیاء اللّه ورسله، والسّلام علی رسول اللّه، والسّلام علی إبراهیم والحمد للّهرب العالمین.

۱- ۱ هذا هو المشهور بل ربما حکی علیه الاجماع کما فی الریاض ۱: ۳۷۵.

۲- ۲ ذهب الیه فی المدارک ۱: ۳۳۶، وقریب منه فی الریاض ۱: ۵۳۵.

۳- ۳ ما بین المعقوفین زیادة من ن.

ص: ۱۱

«فإذا دخلت المسجد فارفع یدیک واستقبل القبلة وقل: اللّهم إنی أسألک فی مقامی هذا فی أول مناسکی أن تقبل توبتی وأن تجاوز عن خطیئتی، وتضع عنی وزری، الحمد للّهالذی بلّغنی بیته الحرام. اللّهم إنی أشهد (۱) أن هذا بیتک الحرام الذی جعلته مثابةً للناس وأمناً مبارکاً وهدًی للعالمین. اللّهم إنی عبدک، والبلد بلدک والبیت بیتک، جئت أطلب رحمتک، وأؤم طاعتک مطیعاً لأمرک، راضیاً بقدرک، أسألک مسألة المضطر إلیک، الخائف لعقوبتک، اللّهم افتح لی أبواب رحمتک واستعملنی بطاعتک ومرضاتک» .(۲)

[فی استلام الحجر وتقبیله] (۳) القواعد: فإذا دنوت من الحجر الأسود فارفع یدیک واحمد اللّه واثن علیه وصل علی النبیصلی الله علیه و آله واسأل اللّه أن یتقبل منک ثم استلم الحجر وقبله، فإن لم تستطع ان تقبله فاستلمه بیدک، فإن لم تستطع فأشر إلیه وقل (۴):

اللّهم أمانتی أدّیتها، ومیثاقی تعاهدته، لیشهد لی بالموافاة، اللّهم تصدیقاً بکتابک وعلی سنّة نبیکصلی الله علیه و آله أشهد أن لا إله إلّااللّه، وحده لا ـ شریک له، وأن محمّداً عبده ورسوله، آمنت باللّه، وکفرت بالجبت والطّاغوت وباللّات والعّزی وعبادة الشیطان، وعبادة کلّ ندٍّ یُدعی من دون اللّه، وقل: اللّهم إلیک بسطت یدی، وفیما عندک عظمت رغبتی، فاقبل سبحتی (۵)، واغفر لی وارحمنی، اللّهم إنی أعوذ بک من الکفر والفقر ومواقف الخزی فی الدنیا والآخرة» (۶).

۱- ۱ فی التهذیب ونسخة ن: «اشهدک».

۲- ۲ الوسائل ۱۳: ۲۰۴، باب ۸ من أبواب مقدمات الاحرام، حدیث ۱.

۳- ۳ مابین المعقوفین من هامش ن.

۴- ۴ توجد زیادة فی ن: اللّهم إنی أؤمن بوعدک وأوفی بعهدک، ولم توجد فی المصدر.

۵- ۵ فی هامش ن: السبّحة: التطوع فی الذکر والصلاة، تقول: قضیت سبحتی.

۶- ۶ الوسائل ۱۳: ۳۱۳، باب ۱۲ من أبواب الطواف، حدیث ۱. بتصرف. رواه الکلینی عن علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن ابن أبی عمیر، وعن محمّد بن إسماعیل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبی عمیر وصفوان بن یحیی، عن معاویة بن عمّار، عن أبی عبداللّه علیه السلام قال:.

ص: ۱۲

وسيأتى فى حديث لمعاوية بن عمّار أيضاً، فى زيارة البيت يوم النحر فإن لم تستطع أن تقبّل الحجر الأسود فاستلمه بيدك وقبّل يدك (۱).

وفى كلام بعض قدماء الأصحاب أنّ من لم يستطع أن يقبّل الحجر الأسود أو يستلمه أشار إليه بيده وقبّلها (۲).

روى الكلينى عن يعقوب بن شعيب قال: قلت لأبى عبد اللَّه عليه السلام: ما أقول إذا استقبلت الحجر؟ فقال: «كبّر وصل على محمد وآله، قال: وسمعته يقول إذا أتى الحجر الأسود: اللَّه أكبر والسّلام على رسول اللَّه (۳).

فصل [فى الطواف] (۴)

وإذا أراد الطواف لعمرة التمتع فليراع حصول شرائطصحّة الطواف، وهى:

ستر العورة، والطهارة من الحدث والخبث بنحو ما يُعتبر فى الصلاة، والاختتان للرجل، ثم يقف بإزاء الحجر مستقبلًا له جاعلًا أوّل جزءٍ منه ممايلى الركن اليمانى محاذياً لأوّل كتفه الأيسر ولوظناً على المعروف فى كلام متأخرى الأصحاب (۵).

ولا بأس بالتزام ما ذكروه خروجاً من خلافهم، وإلّا فأحاديث أئمتنا عليهم السلام خالية من التعرض لهذا التحرير، ظاهرة فى نفى المضايقة بهذا المقدار [والمفهوم منها مجرد الإبتداء من الحجر والانتهاء إليه، وليس يفهم تعيين الجزء الأوّل من الحجر] (۶).

۱- ۱ الكافى ۴: ۵۱۱، باب الزيارة، والغسل فيها، حديث ۴.

۲- ۲ ذهب إليه الصدوق فى الفقيه ۲: ۵۳۱، وأبو الصّلاح الحلبى فى الكافى: ۲۱۰.

۳- ۳ الكافى ۴: ۴۰۷، باب الطواف واستلام الأركان، حديث ۴.

۴- ۴ ما بين المعقوفين زيادة من ن.

۵- ۵ الظاهر أنّ أوّل من ذهب إليه العلامة فى التذكرة ۸: ۸۷ مسألة ۴۵۴. وتبعه الشهيد الأوّل فى المنسک الكبيرالمنشور فى هذه المجلة عدد ۴: ۱۰۳، والشهيد الثانى فى المسالک ۲: ۳۳۱.

۶- ۶ ما بين المعقوفين زيادة من م.

ص: ١٣

وفى بعض الأخبار المعتبرة ما يعطى أحسنيّة افتتاح الطّواف بالتكبير (١)، فإذا استحضر نيّة الطواف على الوجه الذى أسلفناه كبّر إن شاء، ثمّ ينفتل (٢) ويجعل البيت على يساره، ويطوف به سبعة أشواط فى القدر الذى بين البيت والمقام على الأحوط، والأولى مُدخِلًا للحِجْر فى الطواف مخرجاً لجميع بدنه عن البيت والشاذروان؛ لأنّه من أساس الحائط القديم فى المشهور. والأحوط أن لايمس الحائط ماشياً، بل يقف إذا أراده، ولا ينتقل (٣) من مكانه حتى يخرج يده عنه.

ويراعى فى آخر الشوط السابع الختم بما بدأ به، فيحاذى بأوّل بدنه أوّل جزءٍ من الحجر على نحو ما ذكر فى الابتداء، والحال ههنا نظير ما قلناه هناك من عدم الدليل على اعتبار هذا التضييق، لكنّه المعروف فى كلامهم، ولا بأس بوفاقهم، ولولاه لكان الظاهر أن نكتفى بقصد الاتمام عند محاذاة الحجر، وجعل مازاد على الشوط خارجاً عن الطواف.

والأولى موالاة الأشواط السبعة وإن كان المشهور هو الاقتصار فى اعتبار الموالاة على الأربعة وتجويز تفريق الباقى لضرورة أو قضاء حاجة أوصلاة فريضة أو نافلة يخاف فوتها، فإنّ الدليل غير ناهض بإثبات هذه الجملة، والاحتياط فى مثله أهم.

وإذا حصل الشّك فى عدد الأشواط فإن لم يدر أستّة طاف أو سبعة؟ أعاد الطواف. وإن لم يدر أسبعة طاف أو ثمانية؟ بنى على السبعة. ولو حصل الشّك قبل إكمال الشوط أو تعلّق بما دون السبعة استأنف. ولا يلتفت إلى الشك الواقع بعد

١- ١ كما فيصحيح يعقوب بن شعيب المتقدم وأمثاله الدالة على التكبير عند استقبال الحجر، ولمّا كان افتتاحالطواف من الحجر، كان الأحسن افتتاح الطواف بالتكبير.

٢- ٢ فى ن: «ينتقل».

٣- ٣ فيص: «ولا ينفتل».

ص: ۱۴

الفراغ مطلقاً. وإذا عرض الشک فی طواف النافلة بنی علی الأقل.

ویستحب استلام الحجر وتقبیله فی کلّ شوط، فإن لم یستطع أشار إلیه کما مرّ. واستلام الأرکان کلّها. وفی بعض الأخبار المعتبرة أنّ استلام الرکن هو إلصاق البطن به (۱).

وروی الکلینی عن معاویة بن عمار فی الحسن عن أبی عبداللَّه علیه السلام قال: «تقول فی الطواف: اللّهم إنی أسألک باسمک الذی یمشی به علی [طلل] (۲) الماء، [کما] (۳) یمشی به علی جدد الأرض، وأسألک باسمک الذی یهتزّ له عرشک، وأسألک باسمک الذی تهتز له أقدام ملائکتک، وأسألک باسمک الذی دعاک به موسی من جانب الطور الأیمن فاستجبت له وألقیت علیه محبّة منک، وأسألک باسمک الذی غفرت به لمحمدصلی الله علیه و آله ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، وأتممت علیه نعمتک، أن تفعل بی کذا وکذا ما أحببت من الدّعاء. وکلّما انتهیت إلی باب الکعبة فصلّ علی النبیصلی الله علیه و آله وتقول فیمابین الرکن الیمانی والحجر الأسود: ربّنا آتنا فی الدنّیا حسنة وفی الآخرة حسنة وقنا عذاب النّار.

وقل فی الطواف: اللّهم إنی إلیک فقیر، وإنی خائف مستجیر، فلا تغیّر جسمی ولا تبدل اسمی (۴).

وروی عن عبدالسّلام بن عبدالرحمن بن نعیم فی الحسن أیضاً، قال: قلت لأبی عبداللَّه علیه السلام: دخلت طواف الفریضة فلم یفتح لی شی من الدعاء إلّاالصلاة علی محمد وآل محمد فسعیت فکان کذلک، قال: «ما اعطی أحد ممن سأل أفضل مما أعطیت» (۵).

۱- ۱ الوسائل ۱۳: ۳۲۴، باب ۱۵ من أبواب الطواف، حدیث ۲. و ۳۳۸، باب ۲۲ حدیث ۴.

۲- ۲ فی تمام النسخ ظل وما أثبتناه من المصدر، وطلل الماء أی ظهره.

۳- ۳ فی تمام النسخ: «ویمشی» وما أثبتناه من المصدر.

۴- ۴ الوسائل ۱۳: ۳۳۳، باب ۲۰ من أبواب الطواف، حدیث ۱.

۵- ۵ الوسائل ۱۳: ۳۳۶، باب ۲۱ من أبواب الطواف، حدیث ۱.

ص: ۱۵

وروی الشیخ فی الصحیح عن عاصم بن حمید، عن أبی عبداللّه علیه السلام، قال:

«کان علی بن الحسین علیهما السلام إذا بلغ الحِجْر قبل أن یبلغ المیزاب رفع رأسه فقال:

اللّهم أدخلنی الجنّة برحمتک، وعافنی من السـقم وأوسع علیَّ من الرزق الحلال، وادرأ عنّی شرّ فسقة الجنّ والإنس، وشر فسقة العرب والعجم» (۱).

روی الکلینی عن عمر بن أذینة فی الحسن، قال سـمعت أبا عبداللّه علیه السلام یقول لما انتهی الی ظهر الکعبة حین یجور الحِجْر: «یاذ المنّ والطَوْل، والجود والکرم، إنّ عملی ضعیف فضاعفه لی وتقبله منی إنک أنت السمیع العلیم» (۲).

وروی معاویة بن عمار فی الحسن عن أبی عبداللّه علیه السلام قال: «الرکن الیمانی باب من أبواب الجنة لم یغلقه اللّه منذ فتحه» (۳).

روی العلاء بن المقعـد فی الحسن أیضـاً، قـال: سـمعت أبـا عبـداللّه علیه السـلام یقول: «إنّ ملکـاً موکلًا بالرکن الیمانی منـذ خلق اللّه السماوات والارض، لیس له عمل إلّا التأمین علی دعائکم. فلینظر عبد بم یدعو» (۴).

وعن عبـداللّه بن سـنان، فی الصـحیح عن أبی عبـداللّه علیه السـلام، قـال: «یسـتحب أن تقول بین الرکن والحجر الأسود: اللّهم آتنا فی الدنیا حسنة وفی الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار. وقال: إنّ ملکاً موکلًا یقول: آمین» (۵).

ویستفاد من حدیث معاویة بن عمار المتضمن للدّعاء فی الطواف أنّ المراد بالرکن هاهنا الیمانی.

۱- ۱ التهذیب ۵: ۱۰۵، باب الطواف، حدیث ۱۲. الوسائل ۱۳: ۳۳۵، باب ۲۰ من أبواب الطواف ذیل حدیث ۵.

۲- ۲ الکافی ۴: ۴۰۷، باب الطواف واستلام الحجر، حدیث ۶. الوسائل ۱۳: ۳۳۵، باب ۲۰ من أبواب الطواف، حدیث ۶.

۳- ۳ الوسائل ۱۳: ۳۴۲، باب ۲۳ من أبواب الطواف، حدیث ۴.

۴- ۴ المصدر السابق، حدیث ۲، بتصرّف.

۵- ۵ الوسائل ۱۳: ۳۳۴، باب ۲۰ من أبواب الطواف، حدیث ۲.

ص: ۱۶

وعن حفص بن البختری فی الحسن عنه علیه السلام، قال: «إنّ فی هذا الموضع- یعنی حیث یکون (۱) الرکن الیمانی- ملکاً اعطی سماع أهل الارض، فمنصلّی علی رسول اللّهصلی الله علیه و آله [حین یبلغه] أبلغه إیّاه» (۲).

عبداللَّه بن سنان [فی الصحیح] (۳)، قال: قال أبو عبداللَّه علیه السلام: «إذا کنت فی الطواف السابع فأت المتعوّذ وهو إذا قمت فی دبر الکعبة حذاء الباب، فقل: اللّهم البیت بیتک والعبد عبدک، وهذا مقام العائذ بک من النّار، اللّهم من قِبَلِکَ الرّوح والفرج، ثم استلم الرکن الیمانی، ثم ائت الحجر فاختم به» (۴).

روی معاویة بن عمار فی الحسن، أن أبا عبداللَّه علیه السلام کان إذا انتهی إلی الملتزم قال لموالیه: «أمیطوا عنی حتی أقرّ لربی بذنوبی (۵) فی هذا المکان، فإنّ هذا مکان لم یقرّ عبد لربّه بذنوبه فیه ثم استغفر إلّاغفر اللَّه له» (۶).

وعنه أیضاً فی الحسن قال: قال أبو عبداللَّه علیه السلام: «إذا فرغت من طوافک وبلغت مؤخّر الکعبة وهو بحذاء المستجار دون الرکن الیمانی بقلیل، فابسط یدیک علی الأرض، والصق بطنک وخدّک بالبیت، وقل: اللّهم البیت بیتک، والعبد عبدک وهذا مکان (۷) العائذ بک من النّار، ثم أقرّ لربّک بما عملت، فإنّه لیس من عبد مؤمن یقرّ لربه بذنوبه فی هذا المکان إلّاغفر اللَّه له إن شاء اللَّه. ویقول: اللّهم من قبلک الروح والفرج والعافیة، اللّهم إنّ عملی ضعیف فضاعفه لیواغفر لی ما اطلعت علیه

۱- ۱ فی م: حین یجوز بدل حیث یکون.

۲- ۲ الوسائل ۱۳: ۳۳۷، باب ۲۱ من أبواب الطواف، حدیث ۳، وما بین المعقوفین زیادة من م.

۳- ۳ ما بین المعقوفین زیادة من م.

۴- ۴ الوسائل ۱۳: ۳۴۴، باب ۲۶ من أبواب الطواف، حدیث ۱.

۵- ۵ قال فی الوافی ۱۳: ۸۲۶: یعنی به الذنب الذی ألقی علیه من شیعة علی علیه السلام ضماناً من اللَّه تعالی له بالمغفرة، وإلّا فالرسولصلی الله علیه و آله معصوم من الذنب. کذا عن الصادقین علیهما السلام.

۶- ۶ الوسائل ۱۳: ۳۴۶، باب ۲۶ من أبواب الطواف، حدیث ۵.

۷- ۷ فی ن: مقام.

ص: ۱۷

منی وخفی علی خلقک. ثم تستجیر باللّه من النّار. وتخیّر لنفسک من الدّعاء ثم استلم (۱) الرکن الیمانی ثم ائت الحجر الأسود» (۲).

وروی معاویـة فی الحسن أیضاً، قال: قال أبو عبداللّه علیه السـلام: «إذا فرغت من طوافک فأت مقام ابراهیم علیه السـلام فصل رکعتین واجعله أمامک، واقرأ فی الأولی منهما سورة قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَـدٌ وفی الثانیـة قُلْ یا أَیُّهَا الْکافِرُونَ، ثم تشـهّد واحمد اللّه واثن علیه، وصـلّ علی النبیصلی الله علیه و آله واسأله أن یتقبل منک» (۳).

وهاتان الرکعتان هما الفریضة لیس یکره لک أن تصلیهما فی أیّ الساعات شئت، عند طلوع الشمس وعند غروبها، ولا تؤخرهما ساعة تطوف وتفرغ فصلّهما.

وأعلم (۴) أنه لا بأس بالقِران بین الأسابیع فی طواف النافلة، وتأخر الرکعتین حینئذٍ.

روی ذلک زرارة فی الصـحیح عن أبی عبداللّه علیه السلام أنه قال: «إنما یکره أن یجمع الرجل بین الاسبوعین والطوافین فی الفریضة، فأما فی النافلة فلا بأس» (۵).

قال زرارة: ربما طفت مع أبی جعفر علیه السلام- وهو ممسک بیدی- الطوافین والثلاثة، ثم ینصرف ویصلی الرکعات ستّاً (۶).

روی زرارة أیضاً فی الصـحیح قال: طفت مع أبی جعفر علیه السـلام ثلاثـة عشـر اسـبوعاً قرنها جمیعاً وهو آخذ بیدی، ثم خرج فتنحی ناحیة فصلی ستاً وعشرین

۱- ۱ فی المصدر: استقبل.

۲- ۲ الوسائل ۱۳: ۳۴۷، باب ۲۶ من أبواب الطواف، حدیث ۹، بتصرف.

۳- ۳ الوسائل ۱۳: ۲۳، باب ۷۱ من أبواب الطواف، حدیث ۳، باختلاف یسیر.

۴- ۴ ورد فی هامش ن قبل واعلم: «فی عدم البأس بالقِران بین الطوافین وما زاد بدون الصلاة فی طوافالنافلة».

۵- ۵ الوسائل ۱۳: ۳۶۹- ۳۷۰، باب ۳۶ من أبواب الطواف، حدیث ۱ و ۲.

۶- ۶ الوسائل ۱۳: ۳۶۹- ۳۷۰، باب ۳۶ من أبواب الطواف، حدیث ۱ و ۲.

ص: ۱۸

رکعة، وصلیت معه (۱).

وروی معاویـة بن عمار فی الصـحیح عن أبی عبـداللّه علیه السـلام قال: «تـدعو بهـذا الدعاء فی دبر رکعتی طواف الفریضة، تقول بعد التشهد: اللّهم ارحمنی بطواعیتی إیاک وطواعیتی رسولکصلی الله علیه و آله، اللّهم جنبنی أن أتعدّی حدودک، واجعلنی ممن یحبک ویحب رسولک وملائکتک وعبادک الصالحین» (۲).

وفی الحسن قال: «إذا فرغت من الرکعتین فائت الحجر الأسود فقبّله واستلمه وأشر إلیه فإنه لا بد من ذلک.

وقال: إن قدرت أن تشـرب من ماء زمزم قبل أن تخرج إلی الصّـفا فافعل، وتقول حین تشـرب: اللّهم اجعله علماً نافعاً واسـعاً وشفاءً من کـلّ داء وسـقم». قـال: وبلغنـا أنّ رسول اللّهصـلی الله علیه و آله قـال حین نظر الی زمزم: «لولاـ أنّی أشقّ علی أمـتی لأخـذت ذَنُوبـاً أو ذَنُوبین» (۳).

وروی الحلبی فی الحسن أیضاً عنه علیه السـلام، قال: «إذا فرغ الرجل من طوافه وصلّی رکعتین فلیأت زمزم ویستق منه ذَنُوباً أو ذَنُوبین، ولیشـرب منه ولیصب علی رأسه وظهره وبطنه، ویقول: اللّهم اجعله علمـاً نافعـاً و رزقاً واسـعاً و شـفاءً من کلّ داء و سـقم. ثم یعود إلی الحجر الأسود» (۴).

و فیصحیح عبداللّه بن سنان عنه علیه السلام: «أنّ رسول اللّهصلی الله علیه و آله دخل زمزم بعد أنصلّی رکعتی الطواف، فشرب منها ثم قال: «اللّهم إنی أسألک علماً نافعاً ورزقاً واسـعاً و شـفاءً من کلّ داء و سـقم. فجعل یقول ذلک و هو مستقبل الکعبة، ثم قال لأصحابه: لیکن آخر عهدکم بالکعبة استلام الحجر، فاستلمه ثم خرج

۱- ۱ الوسائل ۱۳: ۳۷۱، باب ۳۶ من أبواب الطواف، حدیث ۵.

۲- ۲ الوسائل ۱۳: ۴۳۹ باب ۷۸ من أبواب الطواف، حدیث ۱.

۳- ۳ الوسائل ۱۳: ۴۷۲ باب ۲ من أبواب السعی، حدیث ۱.

۴- ۴ الوسائل ۱۳: ۴۷۳، باب ۲ من أبواب السعی، حدیث ۲.

ص: ۱۹

إلى الصفا» (۱).

وروى الحلبى فى الصحيح عنه عليه السلام أنه قال: «يستحب أن تستقى من ماء زمزم دلواً أو دلوين، فتشرب منه وتصب على رأسك وجسدك، وليكن ذلك من الدلو الذى بحذاء الحجر» (۲).

روى على بن مهزيار فى الصحيح أنّ أباجعفر الثانى عليه السلام دخل زمزم فاستقى منها بيده بالدلو الذى يلى الحجر وشرب منه وصبّ على بعض جسده، ثم أطلع فى زمزم مرتين. قال: وأخبرنى بعض أصحابنا أنّه رآه بعد ذلك بسنة فعل مثل ذلك (۳).

فصل [فى السعى بين الصفا والمروة] (۴)

و ينبغى المبادرة بعد الفراغ من الطواف إلى السعى، إلّامع العذر كشدّة الحر، فيؤخره إلى أن يبرد، أوالإعياء فإلى أن يزول، أودخول وقت الفريضة (۵) للصلاة فإلى أن يصليها، ولا بأس بالتأخير فى العذرين الأولين من النهار إلى الليل لا إلى الغد.

وفى خبر من الحسن لمعاوية بن عمّار أنّ أباعبداللّٰه عليه السلام قال: «ثم اخرج إلى الصفا من الباب الذى خرج منه رسول اللّٰهصلى الله عليه و آله وهو الباب الذى يقابل الحجر الأسود حتى تقطع الوادى، وعليك السكينة والوقار، فاصعد على الصفا حتى تنظر إلى البيت وتستقبل الركن الذى فيه الحجر الأسود، واحمد اللّٰه واثن عليه، ثم اذكر

۱- ۱ الكافى ۴: ۲۴۹، باب حج النبيصلى الله عليه و آله حديث ۷.

۲- ۲ الوسائل ۱۳: ۴۷۴، باب ۲ من أبواب السعى، حديث ۴.

۳- ۳ المصدر السابق، حديث ۳.

۴- ۴ ما بين المعقوفين زيادة من ن.

۵- ۵ فى ن: وقت الفضيلة.

ص: ۲۰

من آلائه وبلائه وحسن ماصنع الیک ما قدرت علی ذکره، ثم کبر اللَّه سبعاً واحمده سبعاً وهلله سبعاً، وقل: لا إله الّا اللَّه وحده لاشریک له، له الملک وله الحمد یحیی ویمیت وهو حی لا یموت وهو علی کلّ شیء قدیر، ثلاث مرات. ثمصلِّ علی النبیصلی الله علیه و آله وقل: اللَّه أکبر علی ما هدانا والحمد للَّهعلی ما أولانا، والحمدللَّه الحی القیوم، والحمدللَّه الحی الدائم، ثلاث مرات.

وقل: أشهد أن لا إله إلّااللَّه، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله لا نعبد إلّا إیّاه مخلصین له الدین ولو کره المشرکون، ثلاث مرات. اللّهم إنی اسألک العفو والعافیة والیقین فی الدنیا والآخرة، ثلاث مرات. اللّهم آتنا فی الدنیا حسنة وفی الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ثلاث مرات. ثم کبر مائة مرة وهلل مائة مرة واحمد مائة مرة وسبّح مائة مرة. وتقول: لا إله إلّااللَّه وحده أنجز وعده ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فله الملک وله الحمد وحده وحده. اللّهم بارک لی فی الموت وفیما بعد الموت، اللهم إنی أعوذ بک من ظلمة القبر ووحشته، اللهم أظلّنی فی ظلّ عرشک یوم لا ظلّ إلّاظلّک. وأکثر من أن تستودع ربک دینک ونفسک وأهلک. ثم تقول: استودع اللَّه الرحمن الرحیم الذی لا تضیع ودائعه نفسی ودینی وأهلی [ومالی وولدی] (۱)، اللّهم استعملنی علی کتابک وسنة نبیّک وتوفنی علی ملّته وأعذنی من الفتنة. ثم تکبر ثلاثاً. ثم تعیدها مرتین. ثم تکبر واحدة. ثم تعیدها، فإن لم تستطع هذا فبعضه.

وقال أبو عبداللَّه علیه السلام: إنّ رسول اللَّهصلی الله علیه و آله کان یقف علی الصفا بقدر ما تقرأ سورة البقرة ترتیلًا» (۲). وفی بعض نسخ کتب الحدیث مترسّلًا (۳)، والمعنی متقارب، وأحد اللفظین تصحیف. کما أنّ استحباب قراءة سورة البقرة [فی هذا

۱- ۱ مابین المعقوفین زیادة من ن.

۲- ۲ الکافی ۴: ۴۳۱، باب الوقوف علی الصفا والدعاء، حدیث ۱. فی ن: مرتلًا.

۳- ۳ فی ن: مرسلًا بدل مترسلًا.

ص: ۲۱

الموضع بنص كلام بعض الأصحاب] (۱) تحريف.

وفى خبر من واضح الصحيح: «أن رسول اللّهصلى الله عليه و آلهصعد الصفا فقام عليه مقدار ما يقرأ الانسان سورة البقرة» (۲).

وروى الشيخ فى الصحيح عن زرارة، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام كيف يقول الرجل على الصفا والمروة؟ قال: يقول: «لا إله إلّااللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحى ويميت وهو على كلّ شيء قدير» ثلاث مرات (۳).

وروى الكلينى فى الصحيح عن يعقوب بن شعيب، قال: حدثنى جميل، قال:

قلت لأبى عبداللَّه عليه السلام: هل من دعاء موقّت أقوله على الصفا والمروة؟ فقال: «تقول إذا وقفت على الصفا: لا إله إلّااللَّه» (۴) الى آخر ما فى حديث زرارة.

وإذا أراد الشروع فى السعى نواه كما مرّ وقارن بها الحركة، إمّا من الدرج إن كان قدصعد، أو مع إلصاق عقبيه بالصفا إذا لم يصعد.

وروى معاوية بن عمار فى الحسن عن أبى عبداللَّه عليه السـلام، قال: «انحدر من الصفا ماشياً إلى المروة، وعليك السكينة والوقار حتى تأتى المنارة، وهى طرف المسـعى، فاسع ملء فروجك، وقل: بسم اللَّه واللَّه أكبر، وصلّى اللَّه على محمد وأهل بيته، اللّهم اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم. حتى تبلغ المنارة الاخرى فإذا جاوزتها فقل: ياذا المن والفضل والكرم والنعماء والجود، اغفر لى ذنوبى إنّه لا- يغفر الـذنوب إلّاأنت. ثم امش وعليك السـكينة والوقار، حتى تأتى المروة، فاصـعد عليها حتى يبـدو لك البيت، واصـنع عليها كماصنعت على الصفا،

۱- ۱ ما بين المعقوفين لم يرد فى ن.

۲- ۲ الكافى ۴: ۲۴۹، باب حج النبيصلى الله عليه و آله، حديث ۷.

۳- ۳ الوسائل ۱۳: ۴۷۸، باب ۴ من أبواب السعى، حديث ۲.

۴- ۴ الكافى ۴: ۴۳۲، باب الوقوف على الصفا والدعاء، حديث ۲. الوسائل ۱۳: ۴۸۰، باب ۲ من أبواب السعى، حديث ۴.

ص: ۲۲

وطف بینهما سبعة أشواط، تبدأ بالصفا وتختم بالمروة» (۱).

واعلم أنّ الشوط فی السعی یحسب من الصفا إلی المروة، ثم منها إلی الصفا وهکذا، فابتداءُ السبعة من الصفا وختمها بالمروة، کما تضمنه هذا الخبر. ویتخیر فی ابتداء الشوط وانتهائه بین الصاق عقبیه فی الأوّل وأصابع رجلیه فی الثانی بالموضعین، وبین الصعود علی الصفا ولو بدرجة، ودخول المروة بحیث یتجاوز حدّها.

والجاهل فی زیادة عدد الاشواط معذور. والساهی بزیادة شوط مخیر بین طرح الزیادة والاعتداد بالسبعة، وبین البناء علی واحد والاکمال.

والشاک فی جانب الزیادة یبنی علی الأقل، وفی النقصان یعید علی الأحوط.

ولا بأس بالجلوس علی الصفا والمروة عند الجهد. وبالسعی علی الدابة، والمشی أفضل.

ویجزی الراکب أن یقف تحت الصفا حیث یری البیت، ولیس علیه السعی بمعنی زیادة الاسراع فی موضعه الذی مرّ بیانه فی حدیث معاویة بن عمار. ولا علی النساء کما ورد فی عدة روایات ضعیفة، لکنّها معتضدة بموافقة الاصل، وانتفاء العموم فی دلیل استحبابه، بحیث یصلح مخرجاً عنه.

فصل [فی الآداب بعد الفراغ من السعی] (۲)

وإذا فرغ المتمتع من سعیه قصّر من جوانب شعره ولحیته، وأخذ من شاربه وقلم أظفاره، ولو اقتصر علی التقصیر من الشعر والظفر (۳) أجزأ، ولکن الجمع أکمل.

۱- ۱ الکافی ۴: ۴۳۵، باب السعی بین الصفا والمروة وما یقال فیها، حدیث ۶.

۲- ۲ ما بین المعقوفین زیادة من ن.

۳- ۳ فی ن: أو الظفر.

ص: ۲۳

روی محمد بن اسماعیل فی الصحیح قال: «رأیت أبا الحسن علیه السلام أحل من عمرته وأخذ من أطراف شعره کلّه علی المشط، ثم أشار إلی شاربه فأخذ منه الحجام، ثم أشار إلی أطراف لحیته فأخذ منها، ثم قام» (۱).

وفیصحیح جمیل عن أبی عبداللّٰه علیه السلام فی محرم یقصّر من بعض ولا یقصّر من بعض؟ قال: «یجزیه» (۲).

وروی المشایخ الثلاثة فی الصحیح من عدة طرق، عن معاویة بن عمار، عن أبی عبداللّٰه علیه السلام، قال: «إذا فرغت من سعیک وأنت متمتع، فقصر من شعرک من جوانبه ولحیتک، وخذ من شاربک، وقلم أظفارک وابق منها لحجّک، وإذا فعلت ذلک فقد أحللت من کلّ شیء یحلّ منه المحرم، وأحرمت منه. فطف بالبیت تطوّعاً ما شئت» (۳).

وأعلم أنّ الأخبار المعتمدة المستفیضة تساعد هذا الخبر، وتدل بأوضح دلالة علی ما تضمنه من کون التقصیر بعد السعی آخر أفعال عمرة التمتع، وأنّ به یحصل التحلل من کلّ ما أحرم منه، سوی الحلق کما سلف التنبیه علیه، وعدم التعرض له فی الحدیث اعتماداً علی ظهور الحکم وتقرره (۴). فلا- تصغ الی متوهم لوجوب طواف النساء فیها، فإنّه تشریع بحت والقول به لم یحکه إلّافی الدروس (۵) واللمعة (۶) ولم یبین فیهما القائل لتعرف أهلیته، لمراعاة خلافه بالنظر الی تسویغ الاحتیاط للمقلد، وإلّا ففساد هذا الرأی عند أهل الاستدلال فی غایة الظهور،

۱- ۱ الوسائل ۱۳: ۵۱۶، باب ۱۰ من أبواب التقصیر، حدیث ۱.

۲- ۲ الوسائل ۱۳: ۵۰۷، باب ۳ من أبواب التقصیر، حدیث ۱.

۳- ۳ الوسائل ۱۳: ۵۰۶، باب ۱ من أبواب التقصیر، حدیث ۴.

۴- ۴ فی ن: وتقریره.

۵- ۵ الدروس ۱: ۳۲۹.

۶- ۶ الزبدة الفقهیة ۳: ۴۱۶.

ص: ۲۴

لانحصار مأخذه فی خبر ضعیف الطریق (۱)، قاصر الدلالة علی المدّعی (۲)(۳)، مع مخالفته للأصل والأخبار، التی کادت بالصحة والکثرة أن تبلغ حدّ التواتر، ولفتاوی جمهور علماء الامامیة وفقهائها المعروفین.

فصل [فی احرام الحج] (۴)

ویجب علی المتمتع بعد التقصیر والإحلال من عمرته الاحرام بالحج من مکة. ویستحب ایقاعه یوم الترویة من المسجد الحرام، وأفضله المقام أو الحِجْر.

وصفته کما مرّ فی احرام العمرة، إلّاالنیّة، فإنه ینوی الاحرام بالحج.

وفی خبر من مشهوری الصحیح عن أیوب بن الحرّ عن أبی عبداللّه علیه السلام، قال:

قلت له: إنّا قد أطلینا ونتفنا وقلّمنا أظفارنا بالمدینة، فما نصنع عند الحج؟ فقال:

«لا تطل ولا تنتف ولا تحرک شیئاً» (۵).

وروی معاویة بن عمار فی الحسن عن أبی عبداللّه علیه السلام، قال: «إذا کان یوم الترویة إن شاء اللّه فاغتسل والبس ثوبیک وادخل المسجد حافیاً وعلیک السکینة والوقار، ثمصلِّ رکعتین عند مقام ابراهیم علیه السلام، أو فی الحجر ثم أقعد حتی تزول الشمس، فصلّ المکتوبة، ثم قل فی دبرصلاتک کما قلت حین أحرمت من الشجرة،

۱- ۱ وهو خبر سلیمان بن حفص، عن الفقیه علیه السلام قال: إذا حج الرجل فدخل مکة متمتعاً فطاف بالبیت وصلّیرکعتین خلف مقام ابراهیم علیه السلام وسعی بین الصفا والمروة وقصّر فقد حلّ له کل شیء ما خلا النساء؛ لأنّ علیه لتحلّة النساء طوافاً وصلاة. الوسائل ۱۳: ۴۴۴، باب ۸۲ من أبواب الطواف، حدیث ۷.

۲- ۲ فی هامش نسختی الاصل و ن: وجه القصور أن مدعی القائل کونه من جملة أفعال عمرة التمتع وواجباتها، ولفظالحدیث لأنّ علیه لتحلّة النساء طوافاً وصلاة. وغایة ماتفیده هذه العبارة، أنّ النساء لاتحل له إلّابطواف وصلاة، وهذا الفرض یتأتی فی الواقع بعد الحج، فأین دلالته علی کونه من جملة أفعاله؟! منه رحمه اللّه.

۳- ۲ فی هامش نسختی الاصل و ن: وجه القصور أن مدعی القائل کونه من جملة أفعال عمرة التمتع وواجباتها، ولفظالحدیث لأنّ علیه لتحلّة النساء طوافاً وصلاة. وغایة ماتفیده هذه العبارة، أنّ النساء لاتحل له إلّابطواف وصلاة، وهذا الفرض یتأتی فی الواقع بعد الحج، فأین دلالته علی کونه من جملة أفعاله؟! منه رحمه اللّه.

۴- ۳ ما بین المعقوفین زیادة من ن.

۵- ۴ التهذیب ۵: ۱۶۸، باب الاحرام للحج، حدیث ۶.

ص: ۲۵

وأحرم بالحج، ثم امض وعليك السكينة والوقار فإذا انتهيت إلى الرقطاء (۱) دون الرَّدم فلبّ، فإذا انتهيت [إلى الرَّدْم] (۲) وأشرفت على الأبطح فارفعصوتك بالتلبية حتى تأتى منى» (۳).

روى الصدوق فى الصحيح عن معاوية بن عمّار والحلبى وعبدالرحمن بن الحجاج وحفص بن البخترى، عن أبى عبداللَّه عليه السلام، فى جملة حديث قال: «وإن أهللت من المسجد الحرام للحج، فإن شئت لبيّت خلف المقام، وأفضل ذلك أن تمضى حتى تأتى الرقطاء. وتلبى قبل أن تصير إلى الأبطح» (۴).

وروى معاوية بن عمار فى الحسن عنه عليه السلام، قال: «إذا توجهت إلى منى، فقل:

اللّهم إيّاك أرجو وإيّاك أدعو، فبلّغنى أملى وأصلح لى عملى» (۵).

«فإذا انتهيت إلى منى فقل: اللّهم هذه منى، وهى مما مَنَنْتَ به علينا من المناسك، فاسألك أن تمنَّ علينا بما مننت به على أنبيائك، فإنما أنا عبدك وفى قبضتك» (۶).

ويستحب المبيت بها ليلة عرفة إلى أن يصبح، وأن لا يجوز وادى محسّر حتى تطلع الشمس.

وروى معاوية فى الحسن أيضاً عنه عليه السلام، قال: «إذا غدوت إلى عرفة فقل وأنت متوجه إليها: اللّهم إليكصمدت، وإليك اعتمدت، ووجهك أردت،

۱- ۱ قال الفيض الكاشانى فى الوافى ۸: ۱۰۰۸: الروحاء وفى بعض النسخ الفضاء مكان الروحاء، وفى نسخالتهذيب والفقيه الرقطاء، قال فىالفقيه: وهو ملتقى الطريقين حين تشرف على الأبطح، وكأنهصحّف فى الكافى. والرّدم السَّدّ ويقال لذلك الموضع بمكة.

۲- ۲ ما بين المعقوفين زيادة من م.

۳- ۳ الوسائل ۱۲: ۴۰۸، باب ۵۲ من أبواب الاحرام، حديث ۱.

۴- ۴ الفقيه ۲: ۳۲۰، باب عقد الاحرام وشرطه، حديث ۲۵۶۲.

۵- ۵ الوسائل ۱۳: ۵۲۶، باب ۶ من أبواب الحج والوقوف بعرفة، حديث ۱.

۶- ۶ المصدر السابق، حديث ۲.

ص: ۲۶

فأسألک أن تبارک لی فی رحلتی (۱) وأن تقضی لی حاجتی، وأن تجعلنی الیوم ممن تباهی به من هو أفضل منی. ثم تلبی وأنت غاد الی عرفات، فإذا انتهیت إلی عرفات فاضـرب خباک بنمرة دون الموقف ودون عرفة، فإذا زالت الشمس یوم عرفة فاغتسل وصل الظهر والعصر بأذان واحد واقامتین، وإنّما تعجل العصر وتجمع بینهما لتفرّغ نفسک للدعاء، فإنّه یوم دعاء ومسألة» (۲).

روی معاویة فی الصـحیح عنه علیه السلام فیصفة حج رسول اللّهصلی الله علیه و آله أنّه انتهی إلی نمِرة وهی بطن عُرَنة بحیال الأراک. فضـرب قبته وضرب الناس أخبیتهم عندها، فلمّا زالت الشمس خرج رسول اللّهصلی الله علیه و آله، وقد اغتسل وقطع التلبیة حتی وقف بالمسـجد فوعـظ الناس وأمرهم ونهاهم. ثمصـلّی الظهر والعصـر بأذان واحـد وإقامتین، ثم مضـی إلی الموقف فوقف به، فجعل الناس یبتدرون أخفاف ناقته، یقفون إلی جنبها، فنحاها ففعلوا مثل ذلک.

فقال: «أیها الناس إنه لیس موضع أخفاف ناقتی الموقف، ولکن هذا کلّه موقف وأومأ [بیده] إلی الموقف فتفرق الناس» (۳).

واعلم: أنّ الواجب فی الوقوف بعرفة هو الکون بها من زوال الشـمس إلی أن تغیب. ومحلّ نیة الوقوف بعد تحقق الزوال، فیستحضـرها حینئذ بصورة ما مر فی الکلام علی النیّات.

وفی حدیث من الحسن لمعاویة بن عمار عن أبی عبداللّه علیه السـلام، قال: «قف فی میسـرة الجبل [فإنّ رسول اللّهصلی الله علیه و آله وقف بعرفات فی میسرة الجبل] (۴)، فإذا رأیت

۱- ۱ فی ن: رحلی.

۲- ۲ الکافی ۴: ۴۶۱، باب الغدو الی عرفات وحدودها، حدیث ۳.

۳- ۳ الکافی ۴: ۲۴۷ باب حج النبیصلی الله علیه و آله، حدیث ۴، وما بین المعقوفین زیادة من المصدر.

۴- ۴ ما بین المعقوفین لم یرد فی المصدر وص، وما أثبتناه من بقیة النسخ.

ص: ۲۷

خللًا فسدَّه بنفسک وراحلتک فإنّ اللَّه عز وجل يحب أن تُسَدِّ تلک الخلال. وانتقل عن الهضاب، واتق الأراک. فاذا وقفت بعرفات فاحمد اللَّه وهلّله ومجدّه واثن عليه وكبّره مائة تكبيرة، واقرأ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ مائة مرة، وتخيّر تخيير لنفسک من الدعاء ما احببت، واجتهد فإنّه يوم دعاء ومسألة. وتعوذ باللَّه من الشيطان، فإنّ الشيطان لن يذهلک فى موضع أحبّ إليه من أن يذهلک فى ذلک الموضع، وإيّاک أن تشتغل بالنظر الى الناس. وأقبل قِبَل نفسک. وليكن فيما تقول: اللّهم ربّ المشاعر كلّها فكّ رقبتى من النار وأوسع علىّ من الرزق الحلال وأدرأ عنّى شرّ فسقة الجنّ والانس، اللّهم لاتمكر بى ولا تخدعنى ولا تستدرجنى يا أسمع السامعين ويا أبصر الناظرين، ويا أسرع الحاسبين، ويا أرحم الراحمين. أسألک أن تصلّى على محمد وآل محمد، وأن تفعل بى كذا وكذا. وليكن فيما تقول وأنت رافع يديک إلى السّماء: اللّهم حاجتى التى إن أعطيتنيها لم يضرّنى مامنعتنى، وإن منعتنيها لم ينفعنى ما أعطيتنى. أسألک خلاص رقبتى من النار. اللّهم إنى عبدک وملک يدک، وناصيتى بيدک، وأجلى بعلمک، أسألک أن توفقنى لما يرضيک عنى، وأن تسلّم منى مناسكى التى أريتها ابراهيم خليلک عليه السلام ودللت عليها حبيبک محمداًصلى الله عليه و آله. وليكن فيما تقول: اللّهم اجعلنى ممن رضيت عمله وأطلت عمره وأحييته بعد الموت حياة طيبة» (۱).

روى الصدوق عن معاوية بن عمار فى الصحيح عن أبى عبداللَّه عليه السلام قال: قال رسول اللَّهصلى الله عليه و آله لعلى عليه السلام: «ألا أعلمک دعاء يوم عرفة، وهو دعاء من كان قبلى من الأنبياء؟ فقال على عليه السلام: بلى يارسول اللَّه. قال تقول: لا إله إلّااللَّه وحده لا شريک له، له الملک وله الحمد يحيى ويميت، ويميت ويحى وهو حىّ لا يموت، بيده الخير وهو على كلّ شىء قدير، اللّهم لک الحمد كما تقول، وخير ما يقول

۱- ۱ الكافى ۴: ۴۶۳، باب الوقوف بعرفة وحد الموقف، حديث ۴.

ص: ۲۸

القـائلون. اللّهم لكصـلاتي وديني ومحياي ومماتي ولك تراثي (۱). ومنـك حولي ومنـك قوّتي. اللّهم إنّي أعوذ بك من الفقر، ومن وسواس الصدر، ومن شـتات الأمر، ومن عذاب النار ومن عذاب القبر. اللّهم إنّي أسألك من خير ما تأتي به الرياح، وأعوذ بك من شر ما تأتي به الرياح، وأسألك خير الليل وخير النهار» (۲).

وروى الكليني عن علي بن ابراهيم عن أبيه، قـال: رأيت عبـداللّه بن جنـدب بالموقف، فلم أرَ موقفاً كان أحسن من موقفه، ما زال مادّاً يـديه إلى السـماء ودموعه تسيل على خـديه حتى تبلغ الأرض، فلّما انصـرف الناس قلت له: يا أبا محمد ما رأيت موقفاً قط أحسن من موقفـك. فقـال: واللّه مـا دعوت إلّالإـخواني. وذلـك أنّ أبا الحسن موسـى بن جعفر عليهما السـلام، أخبرني: «أنه من دعا لأخيه بظهر الغيب، نودي من العرش، ولك مائة ألف ضـعف مثله». فكرهت أن أدَعَ مائة ألف ضـعف مضمونة لواحدة، لا أدرى تستجاب أم لا؟» (۳).

وروى أيضاً عن عبداللّه بن جندب من غير هذا الطريق، أنه قال: كنت في الموقف، فلما أفضت لقيت ابراهيم بن شـعيب، فسـلمت عليه وكـان مصاباً بإحـدى عينيه، وإذا عينه الصـحيحة حمراء كأنهـا علقـة دم، فقلت له قـد أُصـبت بإحـدى عينيـك، وأنا واللّه مشـفق على الاـخرى، فلو قصّـرت من البكـاء قليلًـا، فقـال: لاـ واللّه يـا أبـا محمـد مـا دعوت لنفسـى اليوم بـدعوة، قلت: فلمن دعوت؟ قـال: دعوت لاخواني، إنّي سـمعت أبا عبداللّه عليه السـلام يقول: «من دعا لأخيه بظهر الغيب وكلّ اللّه به ملكاً يقول: ولك مثلاه، فأردت أن أكون إنّما أدعو لإخواني، والملك يدعو لي،

۱- ۱ في ن براءتي بدل تراثي المثبتة في هامشها أيضاً.

۲- ۲ الفقيه ۲: ۵۴۲، باب سياق المناسك، حديث ۳۱۳۵، الوسائل ۱۳: ۵۳۹، باب ۱۴ من أبواب احرام الحـج والوقوف بعرفة، حديث ۲.

۳- ۳ الكافي ۴: ۴۶۵، باب الوقوف بعرفة وحد الموقف، حديث ۷.

ص: ۲۹

لأنی فی شک من دعائی لنفسی ولست فی شک من دعاء الملک لی» (۱).

وروی فی الصحیح عن عبداللّه بن میمون قال: سمعت أبا عبداللّه علیه السلام، یقول:

«إن رسول اللَّهصلی الله علیه و آله وقف بعرفات، فلما همّت الشمس أن تغیب قبل أن تندفع، قال:

اللّهم إنی أعوذ بک من الفقر، ومن تشتت الأمر، ومن شر ما یحدث باللیل والنهار.

أمسی ظلمی مستجیراً بعفوک، وأمسی خوفی مستجیراً بأمانک، وأمسی ذلّی مستجیراً بعزّک، وأمسی وجهی الفانی مستجیراً بوجهک الباقی، یا خیر من سئل ویا أجود من أعطی، جلّلنی برحمتک وألبسنی عافیتک، واصرف عنی شر جمیع خلقک» (۲).

وروی فی الحسن عن أبی حمزة الثمالی، قال: قال رجل لعلی بن الحسین علیه السلام:

ترکت الجهاد وخشونته ولزمت الحج ولینه؟ قال: وکان متکئاً فجلس، وقال:

«ویحک، أما بلغک ما قال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله فی حجة الوداع!! إنّه لما وقف بعرفة وهمت الشمس أن تغیب، قال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله: قُل للناس، فلینصتوا، فلمّا نصتوا قال رسول اللّهصلی الله علیه و آله: إنّ ربّکم تطوّل علیکم فی هذا الیوم، فغفر لمحسنکم وشفّع محسنکم فی مسیئکم، فأفیضوا مغفوراً لکم» (۳).

فکرة المؤتمر المکّی

۱- ۱ المصدر السابق، حدیث ۹.

۲- ۲ الکافی ۴: ۴۶۴، باب الوقوف بعرفة وحد عرفة، حدیث ۵.

۳- ۳ الکافی ۴: ۲۵۷، باب فضل الحجّ والعمرة وثوابها، حدیث ۲۴.

ص: ۳۰

فكرة المؤتمر المكّى

رضوان السيّد

يصف محمد أسد، اليهودى النمساوى الذى اعتنق الإسلام، سعادته بالدخول إلى مكّة؛ لأداء فريضة الحجّ عام ۱۹۲۷، على النحو التالى: «.. ونتابع ركوبنا، هاجمين طائرين فوق السهل، ويخيَّلُ إلى أنّنا طائرون مع الريح، منغمسون فى سعادةٍ لا تعرف نهايةً ولا حدوداً... وتزعقُ الريحُ فى اذنى بنشيد النصر: إنّك لن تكون غريباً بعد الآن، أبداً، أبداً! اخوانٌ لى عن اليمين، واخوانٌ لى عن اليسار، كلّهم لا أعرفهم، ولكنّ أحداً ليس غريباً عنّى؛ فنحن فى فرحة سياقنا المضطربة جسمٌ واحدٌ يسعى إلى هدفٍ واحد.

إنّ العالمَ أمامنا لَفَسيحٌ، وفى قلوبنا تتألّق شرارةٌ من النار التى اشتعلت فى قلوبصحابة النبى. إنّهم يعرفون، إخوانى عن يمينى وإخوانى عن يسارى، إنّهم قد قصّروا عمّا كان يُنتظرُ منهم، وأنّ (عَزَمات) قلوبهم قد تضاءلت عبر القرون. لكنّ وعد اللّه الحقّ لم يُنتزعْ منهم... ووسط الضوضاء التى تُصِمُّ الآذان من خطوات الالوف من الإبل المندفعة، والمئات من البيارق المصفِّقة، تنموصرختُهم إلى زمجرةٍ منتشيةٍ ظاهرة: اللّه أكبر! لبّيك اللّهمَّ لبّيك»! (۱).

ولاشكّ أنّ هذه المشاعر القويّة تجاه امّ القرى، والحجّ إلى بيتها الحرام؛ كانت

۱- ۱- محمد أسد: الطريق إلى مكّة، نقله إلى العربية عفيف البعلبكى. دار العلم للملايين. الطبعة الخامسة/ بيروت ۱۹۷۷: ۴۰۵- ۴۰۴.

ص: ۳۱

وراء اتجاه الكثيرين من دُعاة فكرة «المؤتمر»، من سياسيّين ومثقّفين، لعقده بمكّة وأثناء موسم الحجّ. أمّا الفكرة نفسها فجديدة، بمعنى أنّها لم تظهر قبل النصف الثانى من القرن التاسع عشر.

وهى عندما ظهرت فإنّ قصدها إلى مكّة كانت له أسبابه الدينية والعلمية؛ أمّا أهدافُها أو مقاصدُها فكانت سياسية وثقافية إذاصحّ التعبير.

يذهب (۱) B. Bareilles) إلى أنّ الصدر الأعظم خليل باشا كان أوّل من دعا حوالى العام ۱۸۶۵ إلى مؤتمر باسطنبول، تتوحّد فيه قوى الإسلام من رعايا السلطان، ومن غير رعاياه، لمواجهة الضغوط الأجنبية. ولا نملك دليلًا على ما ذهب إليه من ارشيف الدولة، أو من أىّ مصدر آخر. لكنّنا نملك مخطوطةًصغيرةً بالفرنسية تعود للعام ۱۸۷۱ م (۲)، تحمل على فكرة «الاتحاد الإسلامى» أو «الوحدة الإسلامية»، بحجّة أنّ ذلك إن كان فلن يكون فيصالح المسلمين، ولا فيصالح الدولة العثمانية. لن يكون فيصالح المسلمين؛ لأنّه سيُظهرهم بمظهر المتعصّبين الذين يتوحّدون على أساس دينى. ولن يكون فيصالح الدولة العثمانية؛ لأنّه سيزيد من ضغوط الدول الأجنبية عليها، وبخاصّة تلك التى تحتلُّ دياراً من ديار المسلمين. وهكذا فإنّ دعوة الاتحاد عن طريق المؤتمر ليست فيصالح أحد. وعلى الرغم من أنّنا لا نعرف كاتب تلك الرسالة؛ فإنّ بدايات فكرة المؤتمر- كما يبدو- كانت لها علاقة وثيقة بالسلطنة العثمانية تأييداً أو معارضة. فقد كان الموقف آنذاك أنّ الدولة العلية خاضت عدّة حروب ضد روسيا والنمسا وبعض شعوب البلقان، وما استطاعت الانتصار فى أىٍّ منها.

وكانت تعمدُ بعد كلّ من تلك الحروب إلى عقد معاهدة هدنة أوصلح تفقد بمقتضاه أراضى أُخرى، وتنحسر عن أقاليم. ومع الربع الأخير من القرن التاسع عشر كانت السلطنة قد فقدت أكثر أراضيها فى القوقاز وآسيا الوسطى والبلقان، وشمال افريقيا، كما كانت سيطرتها قد انحسرت عن اليونان ومصر والجزائر منذ الربع الأوّل من القرن التاسع عشر (۳).

۱- ۲-۲۰۸- ۲۰۷. P. ۱۹۱۷ B .Bareilles ,Les Turcs .Paris

۲- ۳- عنوان الرسالة Unite Islamique، وقارن عنها:.

Jacob Landau The politics of Pan-Islam, Ideology and Organization Oxford. ۱۹۹۰. p. ۲۲- ۲۳.

۳- ۴- قارن:.. ۴۴۳- ۴۶۲ , ۱۹۷۰ zum Osmanischen Reich; in Correspondance D'Orient Bruessels, II

Turkey, ۱۹۶۸, ۱۲۲- ۱۳۳, Fritz Steppat; Kalifat, Dar al- Islam und die Loyalitatder Araber

Bernard Lewis, The Emergence of Modern

ص: ۳۲

وهكذا فإنّه إذا كان خليل باشا قد دعا فعلًا إلى مؤتمر للتضامن مع السلطنة؛ فإنّ الدعوات الاخرى للمؤتمر- ومن جانب مسلمين لا يخضعون للدولة العثمانية- كان يمكن أن تكون تعبيراً عن اليأس من العثمانيّين، والتفكير فى بدائل لحماية وجود الإسلام ووحدة المسلمين فى البلاد التى لم تصلها سيطرة العثمانيين أو انحسرت عنها مثل الهند واندونيسيا وآسيا الوسطى وغيرها.

والواقع أنّ ثمانينيات القرن التاسع عشر ظهر فيها كلا التوجّهين. التوجّه الذى يسعى للاتحاد الإسلامى أو الجامعة الإسلامية عن طريق المؤتمر الذى يتّخذ شكل التضامن مع الدولة العثمانية تقويةً لجانبها فى مواجهة القوى الأجنبية. والتوجّه الآخر الذى لا يُصارحُ الدولة العلية بالعداء، لكنّه يسعى عن طريق المؤتمر والاتحاد للقيام بما لا تستطيع الدولة العثمانية القيام به أو لم تعد تستطيع ذلك. وفى قلب التوجّه الثانى بالذات ظهرت فكرة المؤتمر بمكّة.

تحضر الدعوة لمؤتمرٍ بمكّة أثناء موسم الحجّ للمرّة الاولى فى رسالةٍ بالتركية موجَّهة للسلطان عبد الحميد الثانى، عام ۱۸۸۱ م عنوانها: «رسالة فى الاتحاد فى سبيل سعادة الملّة الإسلامية» (۱)، وكاتبها اسمه سليمان الحسبى (۱۳۲۷ ه/ ۱۹۰۹ م). يشرح المؤلّف دواعى الوحدة وبواعثها وفوائدها، ومساوئ التفرّق، ويدعو للسلطان عبد الحميد. لكنّه يقترح فجأةً من أجل جعل الاتحاد ممكناً مؤتمراً سنويّاً أثناء موسم الحجّ، وحجّته فى ذلك أنّ الحجّ يجمع سائر كبراء المسلمين ممّن هم تحت السيطرة العثمانية، أو خارجها. كما أنّ مكّة بعيدةٌ ومُحايدةٌ وتغيب عنها مراقبة الأجانب ودسائسهم.

رسالة الحسبى هذه ليست معاديةً قطعاً للدولة العثمانية ولا للسلطان عبد الحميد، لكنّها تتصوّر مركزاً للاجتماع والتفكير والتقدير غير اسطنبول. ونحن نعلم اليوم لماذا لم يتجاوب معها السلطان عبد الحميد. إذ كان وقتها قد حوّل اسطنبول، عاصمة السلطنة والخلافة معاً، إلى مركز للدعاية لنفسه،

SEM ,"II dimahludbA dna inahgfA .laeppA cimalsI -naP ehT ,eiddeK, ۳/ ۱ ۱۹۶۶ , ۴۶- ۶۷ ...-۵ -۱ .N

ص: ۳۳

وللاجتماع حول شخصه ودولته، وباعتباره السلطان وأمير المؤمنين معاً.

وكان أكبر همّه دعوة المسلمين من خارج أقطار السلطنة للتضامن مع الدولة العليّة، والولاء لسلطان أمير المؤمنين. وقد استخدم فى ذلك أمثال الشيخ أبى الهدى الصيادى، ومحمد ظافر المدنى، ونامق كمال، إضافةً لشخصيات أُخرى من خارج إطار الدولة العثمانية، ليكونوا دُعاةً له فى الداخل والخارج (۱).

ومن الواضح أنّه بالنسبة للسلطان العثمانى فإنّ الاتحاد أو الجامعة، إنّما يكونان حول السلطان وحول الدولة؛ ولذلك فلا حاجة للمؤتمر حتّى لو كان لنُصرة السلطان أو فى عاصمة الدولة.

ويبدو ذلك، أى عدم ربط الاتحاد- كما كانوا يقولون- بالمؤتمر بل بالسلطان/ الخليفة فى تحمّس الهنود المسلمين الشديد للسلطان وللدولة العثمانية. فقد سقطت دولة المغول فى الهند نهائياً بعد فشل تمرّد العام ۱۸۵۷، وعانى المسلمون الأمرَّين من الحكم البريطانى. ولذلك فقد كان كثيرون من مثقّفيهم يتطلّعون إلى السلطان العثمانى ودولته باعتبارهما مصدر أملٍ، ورمزاً لوحدة امّة الإسلام. وقد تجلّت مشكلة المعتدلين منهم فى أنّ أواخر القرن التاسع عشر شهدت تراجعاً فى علاقات بريطانيا بالعثمانيّين، وتزايد التقارب العثمانى مع ألمانيا، والمعروف أنّ بريطانيا كانت تسيطر على مصر أيضاً وهى من ممتلكات السلطان فى الأصل.

ولذلك فإنّ الهنود (والمصريّين) فى الوقت الذى كانوا يتضامنون فيه مع الدولة العليّة فى حربها مع الروس؛ كانوا يرجون منها أن تضغط لصالحهم لدى الانجليز وعليهم. وقد أفضت جهودهم إلى إنشاء «جمعية خدّام الكعبة» لمتابعة النشاطات، وتنظيم المؤتمرات، والتضامن مع الخليفة، وتحقيق الاتحاد الإسلامى فى ظلّ الدولة العليّة (۲). وقد أدّى بالقائمين على الجمعية جهادهم من أجل العثمانيين إلى السجن عندما وقعت الحرب الاولى، ووقع البريطانيّون والعثمانيون فى أحلافٍ متناقضة. فلمّا تهدّدت الخلافة العثمانية ثمّ زالت أطلق الهنود على حركتهم

۱- ۶- بطرس أبو منة: السلطان عبد الحميد الثانى والشيخ أبو الهدى الصيادى؛ بمجلة الاجتهاد، العدد الخامس، السنة الثانية، خريف العام ۱۹۸۹: ۵۹- ۸۸. وقارن:.

tic .PO ,malsI -naP foscitiloP ,uadnaL .J ni /۱۹۱۹ ,eciffO ngieroF hsitirB eht ta. ۳۴۶- ۳۶۶ ..
malsI -naP :fo noitpecreP

۲- ۷- قارن:... ۱۳۳- ۱۵۶ .natsikaP dna aidnI ni msinredoM cimalsI ,dmahA ۱۸۵۷- ۱۹۶۴, ۱۹۶۷, PP
zizA

ص: ۳۴

اسم: حركة الخلافة، وقد ظلّوا يناضلون زهاء السنوات العشر من أجل إعادة الخلافة باعتبارها مناط المشروعية (۱).

ولهـذا فإنّ فكرة المؤتمر التى بـدا أنّهم يتّجهون إليها فى البداية- وإنْ مع ولاء للعثمانيّين- ما لبثت أن ضـعُفت حيث انحصـر جهدهم فى إعادة الخلافـة لاسـتعادة الرمز والمشـروعية؛ ولم يلجأوا لإعادة النظر إلّافى وقتٍ متأخّرٍ وبعـد أن تحطّمت آمالُهُم فى النصف الثانى من العشـرينيات. ففى العـام ۱۹۲۴ م أرسـلت حركـة الخلافـة وفـداً إلى مكّـة للنظر فى أوضـاع الحرمين، وإخبـار الحجازيّين بمقاصـد الحركـة، وما اسـتطاع الوفـد الوصول إلّاإلى جدّة بسـبب الصـراع على مكّة وقتها؛ لذلك اكتفى بإرسال برقية إلى حكومة الحجاز جاء فيها: أنّ من أهداف حركة الخلافة إقامة دولةٍ مستقلّةٍ استقلالًا تامّاً بالحجاز لرعاية الحرمين، وصونهما عن التدخّل الأجنبى. وهكذا فإنّ الحركة تدعو إلى مؤتمرٍ بمكّة يشارك فيه مندوبون من الدول الإسلامية المستقلّة، ومن الحجاز؛ لإنشاء تلك الحكومة (۲).

عادت الحركات الإسلامية بالهند وآسيا الوسطى وجاوه وسومطرة إذن، إلى فكرة المؤتمر بعد زوال الخلافة العثمانية. فقد كانت تلك الشـعوب ونُخبُها تُعانى من الوقوع فى إسار الاسـتعمار، وكان الكيان العثمانى يمثِّل لها أملًا بالتحرّر، ورمزاً لوحدة المسـلمين وسـلطتهم وقوّتهم وتاريخهم العريق.

وإذا كـان هؤلاء واهمين فى قـدرة الدولـة العليـة على مساعـدتهم عسـكرياً؛ فإنّهم لم يكونوا كـذلك فى إحساسـهم باهتمام سـلطات اسـطنبول بقضاياهم ومشـكلاتهم، ومحاولاتها لمساعـدتهم دبلوماسـيّاً واجتماعياً. فقد دأب السـلطان عبد الحميد على اسـتقبال رسـلهم ووفودهم، وإعـادة إسـكان لاجئيهم، كما دأب على إيفاد مبعوثين إليهم لاسـتطلاع أحوالهم، والسـعى لـدى ممثّلى الـدول الكبرى فى اسـطنبول من أجل تلبية مطالبهم. وفى العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشـر كانت اسطنبول تعجُّ بأصحاب المشاريع والحركات من النخب الدينية والثقافية

---

۱ –۸– قارن:... ۱۵۹۸ –۱۲۶ .p. ۳۹– ۴۲; Niemeijer; The Kalifat Movement in India ۱۹۱۹– ۱۹۲۴, ۱۹۷۲, PP Minault, The Khilafat Movement, ۱۹۸۲,

۲– ۹–. The Politics of Pan- Islam; OP. cit. p. ۱۱۲.

ص: ۳۵

الإسلامية، من رعايا السلطنة، والدول الإسلامية الاخرى، والشعوب الإسلامية الواقعة تحت سيطرة الاستعمار (۱).

ولذلك ليس من السهل تصديق دعوى ۱۹۲۲ -۱۸۴۰) W. S. Blunt)، النبيل البريطانى الذى عُرف بدعمه للثورة العُرابية؛ أنّ جمال الدين الأفغانى (۱۸۳۸– ۱۸۹۷) (ومحمد عبده تلميذه) كان يتفهّم مشروعه (أى مشروع بلنت) لإقامة خلافة عربية بديلة بمكّة انتقاماً من الأتراك، ومن استبداد عبد الحميد، وخدمةً للمصالح البريطانية، فبلنت نفسه يذكر أنّه عندما استنصح الأفغانىعام ۱۸۸۳ عشية زيارته للهند حول أسلوبتعامله مع المسلمين هناك، نصحه الأخير بأن لا يتحدّث معهم ضدّ السلطان أو الدولة العثمانية؛ لأنّ سائر المسلمين كارهون للانجليز وشديد والولاء للدولة العلية وللسلطان (۲).

إنّ الذى أحسبُهُ أنّ Blunt لم يستطع متابعة أفكار جمال الدين الأفغانى حول الحلول الناجعة لمشكلات المسلمين مع الغرب الأوروبى. إذ كان جمال الدين وقتها قد توصّل إلى قناعةٍ مؤداها أنّ ضعف المسلمين فى مواجهة الاستعمار ليس مردّه ما يقوم به السلطان العثمانى أو لا- يقومُ به؛ بل لذلك عِللٌ وأسبابٌ تتعلّق بالأوضاع الحضاريـة للاُمّـة الإسلامية أفضت إلى ضعفها وتشرذمها وتكالب الأمم المتقدّمة عليها، ولهذا فإنّ الأفغانى وعبده ما كانا يعارضان السلطان، بالدرجة الاولى، بل يريان أنّ ما يقوم به جيّدٌ ومفيدٌ، لكنّه غير كاف. وقد انهمكا بين العامين ۱۸۸۳ و ۱۸۸۷ فى نشاطٍ محموم على عدّة مستويات لبلورة رؤيتهما حول «وحدة المسلمين» أو «الجامعة الإسلامية» من جهة، وحول أسباب النهوض والقوّة من جهةٍ ثانية.

كان هناك من جهةٍ جهدُهُما لتصحيح المفاهيم والصُور حول الإسلام والعلم، والإسلام والتقدّم، والإسلام والسلطة الدينية (فى مواجهة رينان وهانوتو، ونظرية دارون) (۳).

وكان هناك من جهةٍ ثانية دعوة المسلمين لتفهّم أبعاد الرؤية الشاملة

۱- ۱۰;-..۱۳۱ -۸. Muslim Congress. ۱۹۸۶. PP. ۴- ۱۰; Landau, The Politics of pan- Islam; op. cit. P
des Islam, N ۵, ۲۲/ ۱۰- ۴ ۱۹۸۲ , ۱۰۳- ۱۱۶; Martin Kramer, Islam Assembled. The Advent of the
R. Schulze," Die Politisierung des Islam im ۱۹. Jahrhundert." In Die Welt

ولوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامى، ترجمة وتعليق الأمير شكيب أرسلان، الطبعة الاولى بمطبعة المنار ۱۹۳۳ م.

۲- ۱۱- كان ويلفريد وسكاون بلنت يرى أنّ الدولة العثمانية أهمّ أسباب ضعف المسلمين، وأنّ بداية التصحيح تكون بإعادة الخلافة للعرب. وقد أتى إلى جدّة عام ۱۸۸۱ م محاولًا النفاذ إلى نجد من أجل كسب الوهّابيين فكرته لما كان يعتقده من عداء بينهم وبين العثمانيين. قارن عنه وعن آرائه هذه، التى عبّر عنها فى مذكّراته، وفى كتابه: مستقبل الإسلام ۱۸۸۲ م:.

.. ۲۵ -۱۰. and the Middle East. ۱۹۸۰. PP. ۸۷- ۱۰۳; M. Kramer, Islam Assembled, OP. cit
A. Hourani, wilfrid Scawen Blund and the Revival of the East", inEurope

۳- ۱۲- قارن بمحمد عمارة: الإسلام والعروبة والعلمانية، بيروت ۱۹۸۱: ۱۴ - ۹؛ ومحمد عمارة: الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغانى. مع دراسة عن الأفغانى، بيروت ۱۹۶۸: ۶۶- ۳۸. وعبد العاطى محمد أحمد: الفكر السياسى للإمام محمد عبده، القاهرة ۱۹۸۷: ۳۰۱- ۲۸۹ ..

۲۶ -۱۶. Landau; op. cit. p.

ص: ۳۶

التى يعتنقانها من طريق إصدار مجلّة «العروة الوثقى» التى انصبّت مقالاتُها على أربعة امور: الدعوة للوحدة، والدعوة للتقدّم، وقراءة أسباب الخلل والتخلّف، وإيضاح خلفيات الأحداث الجارية.

وفى سياق المعالجة لأسباب الضعف، والحثّ على النهوض، عادت فكرة المؤتمر، وفى مكّة بالذات، وأثناء موسم الحجّ، إلى الظهور، فقد جاء فى مقدّمة العدد الأوّل من «العروة الوثقى» (۱): «.. وبما أنّ مكّة المكرّمة مبعث الدين ومناط اليقين، وفيها موسم الحجيج العام فى كلّ عام يجتمع إليه الشرقى والغربى، ويتآخى فى مواقعها الطاهرة الجليل والحقير والغنىّ والفقير، كانت أفضل مدينةٍ تتوارد إليها أفكارهم، ثمّ تنبثُّ إلى سائر الجهات، واللَّه يهدى من يشاء إلى سواء السبيل..».

وفى مقالةٍ عنوانها «الوحدة والسيادة» تقول «العروة الوثقى» (۲):

«إنّ الميل للوحدة والتطلّع للسيادة وصدق الرغبة فى حفظ حوزة الإسلام، كلّ هذهصفاتٌ كامنةٌ فى نفوس المسلمين قاطبةً. ولكن دهاهم بعض ما أشرنا إليه فى أعدادٍ ماضيةٍ فألهاهم عمّا يوحى به الدين فى قلوبهم، وأذهَلَهم أزماناً عن سماعصوت الحقّ، فسهوا وماغَوَوا، وزلّوا وما ضلّوا، فَمَثَلُهم مَثَلُ جُوّاب المجاهيل من الأرض فى الليالى المظلمة، كلٌّ يطلبُ عوناً وهو معه ولكن لا يهتدى إليه. وأرى أنّ العلماء العاملين لو وجّهوا فكرتهم لإيصال أصوات بعض المسلمين إلى مسامع بعضٍ؛ لأمكنهم أن يجمعوا بين أهوائهم فى أقرب وقت. وليس ذلك بعسيرٍ عليهم بعدما اختصّ اللَّه من بقاع الأرض بيته الحرام بالاحترام، وفرض على كلّ مسلمٍ أن يحجّه ما استطاع.

وفى تلك البقعة يحشُرُ اللَّه من جميع رجال المسلمين وعشائرهم وأجناسهم فما هى إلّاكلمةٌ تُقال بينهم من ذى مكانةٍ فى نفوسهم تهتزُّ لها أرجاء الأرض، وتضطربُ لها سواكن القلوب.

هذا ما أعدّتهم له العقائد الدينية، فإن أضفت إليه ما أذاب قلوبهم من تعدّيات الأجانب عليهم، وما ضاقت به

---

۱ - ۱۳- جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده، العروة الوثقى، تقديم الشيخ مصطفى عبد الرازق، دار الكتاب العربى. بيروت. الطبعة الثالثة، ۱۹۸۳: ۴۶.

۲ - ۱۴- العروة الوثقى، مصدر سابق: ۱۱۹.

ص: ۳۷

صدورهم من غارات الغرباء على بلادهم حتّى بلغت أرواحهم التراقى؛ ذهبت إلى أنّ الاستعداد بلغ من نفوس المسلمين حدّاً يوشك أن يكون فعلًا...».

كانت دعوة الشيخين الأفغانى وعبده دعوة للنهوض والتوحّد، وقد انطلقت من باريس عبر «العروة الوثقى»، لكنّها كانت ترى أنّ المآل ينبغى أن يكون فى مكّة ومنها، لأنّها مهوى أفئدة المسلمين. والمعروف أنّ «العروة الوثقى» لم تصدر غير تسعة أشهرٍ من عام ۱۸۸۴ م. بعدها عاد محمّد عبده إلى بيروت، ثمّ سُمح له بالعودة إلى وطنه عام ۱۸۸۸ م.

أمّا جمال الدين فتردّد بين باريس ولندن وروسيا وإيران إلى أن قبل عام ۱۸۹۲ م دعوة السلطان عبد الحميد للإقامة والتحرّك من اسطنبول. وقد بقى هناك حتّى وفاته عام ۱۸۹۷ م. ولا نعلمُ شيئاً محقّقاً عن مآلات فكرة المؤتمر لديه؛ فالمعروف أنّ السلطان ما كان يحبّذ انعقاد مؤتمرٍ للبحث فى شؤون المسلمين لا فى مكّة ولا فى اسطنبول (۱). بيدَ أنّ هناك من قال: إنّ السلطان كلّف الأفغانى بالعمل على توحيد الكلمة بين الشيعة والسنّة، وأنّه حاول الوصول لذلك عن طريق مؤتمرٍ لفقهاء الطرفين (۲).

أمّا المخزومى الذى كان يحضر مجالس السيّد جمال الدين فى اسطنبول، ويسجّل خاطراته، فينقل عنه دعوته للجامعة الإسلامية، لكن دونما مرور بفكرة المؤتمر من أجل ذلك (۳).

على أنّ فكرة مؤتمر الحجّ بمكّة، بقيت حيّة فيما يبدو، لدى محمّد عبده (۱۸۴۹- ۱۹۰۵ م) تلميذ جمال الدين.

ففى العام ۱۸۹۷ م عُيّن محمّد عبده مفتياً لمصر. وفى السنة اللاحقة آزر المفتى الجديد السيّد محمد رشيد رضا (۱۸۶۵- ۱۹۳۵ م)، الشابّ المتحمّس الآتى إليه من طرابلس الشام، دعمه وآزره فى تأسيس مجلّة المنار، التى سُرعان ما أصبحت أهمّ المجلّات الصادرة فى العالم الإسلامى.

وفى مجلّد المجلّة الأوّل دعا السيّد محمّد رشيد رضا لتأسيس جمعية إسلامية بمكّة لها فروعٌ فى سائر أنحاء

---

۱ - ۱۵-... ۲۲ -۲۰ .tic .pO ;delbmessAamlsI ,remarK .M ;۶۷ -۴۶ .tic .po ,"II dimaH ldbAdna. inahgfA :leippA cemalsI -naP ehT ",eiddeK .N

۲ - ۱۶-. ۵۲ -۲۲ .M. Kramer; op. cit.

۳ - ۱۷- محمد باشا المخزومى. خاطرات جمال الدين، بيروت ۱۹۴۴: ۴۲- ۳۸. وكان جمال الدين فى سنواته الأخيرة كثير الحديث عن تحالف ممكن وضرورى بين العثمانيين والإيرانيين والأفغان.

ص: ۳۸

العالم الإسلامى.

ورأى السيِّد رشيد أنّ تلك الفروع تُرسل كلّ عامٍ مندوبين عنها إلى مركز المؤتمر أثناء موسم الحج، فيحضرون الاجتماع السنوى، ثمّ يعودون بالمقرّرات إلى بنى قومهم، ويطمئن رضا أمير المؤمنين باسطنبول إلى نواياه ومقاصده، فيخبره أنّه اختار مكّة بدلًا من اسطنبول، لبُعدها عن تدخّلات الأجانب، واستخباراتهم، ولإمكان اجتماع المسلمين بها بدون حرج سواءٌ أكانوا مواطنين عثمانيّين أم لا (۱).

ويتابع رضا (وربما محمّد عبده) أنّه آن الأوان لتصحيح أفهام المسلمين للحجّ؛ وذلك أنّه لا ينحصر بأداء الشعائر بدقّةٍ وأمانةٍ والتزام، بل هو أيضاً فرصة لتشاور المسلمين فى قضاياهم ومشكلاتهم، والتعرّف العميق على امّتهم، والإحساس بالمسؤولية عن الشأن الإسلامى العامّ؛ أفليس الحجّ عرفة؟ وأليس معنى عرفة التعارف؟! أمّا الثمرات المباشرة لهذا التعارف فينبغى أن تتمثّل فى إصدار مجلة إسلامية تكافح البدع والتقاليد البالية، وتدعو للنهوض والتجدّد والتوحيد.

وإصدار كتاب يتضمّن العقائد الإسلامية الرئيسيّة ويوافق عليه السلطان (۲).

ويبدو من مقالةٍ لرشيد رضا فى المجلّد الثانى من المنار عام ۱۸۹۹ م أنّ دعوته ودعوة عبده لم تلقَ ترحيباً من أنصار العثمانيّين بالقاهرة (۳). وربما كان من بين هؤلاء علماء الأزهر، ودعاة الجامعة الإسلامية العثمانية من الوطنيّين المصريّين من وراء مصطفى كامل. فقد اقترحوا- كما يقرّر رضا- اسطنبول مقرّاً للجمعية، ومؤتمرها السنوى.

ويرد رضا بالعودة لشرح أسباب اختياره مكّة. ثمّ يقول: إنّ السلطان نفسه لا يريد المؤتمر باسطنبول، بدليل أنّ الصحف العثمانية كلّها لم تذكر شيئاً عن ذلك.

إنّ اطروحة المنار هذه، والتى تعتبر السلطان العثمانى عضواً رئيسيّاً فى المؤتمر المكّى لا- تقصد إلى مُعاداته، بل هدفها القول: إنّ المشكلات التى يعانى منها المسلمون أوسع وأعمق من أن تستطيع السلطنة حلّها. ومكّة توفِّر شرطين

---

۱ – ۱۸- مجلّة المنار، ۱/ ۷۶۵: ۶۶- ۳۹ ۱۷ ديسمبر، ۱۸۹۸ ويذكر رشيد رضا فى كتابه: تاريخ الاستاذ الإمام محمد عبده ۱/ ۲۸۷- ۲۸۳ بعد ثلاثين عاماً على ذلك أنّ الشيخ عبده كان يملك مشروعاً تفصيليّاً للمؤتمر المكّى وفروعه فى العالم الإسلامى.

۲- ۱۹- مجلّة المنار، ۲/ ۲۱: ۳۲۵ ۵ أغسطس، ۱۸۹۹.

۳ – ۲۰- مجلّة المنار، ۲/ ۱۸۹۹: ۳۴۵- ۳۳۷؛ وبخاصّةٍص ۳۴۲. وقارن: مقالات الشيخ رشيد رضا السياسية، إعداد وتحقيق يوسف أيبش، ويوسف الخورى، دار ابن عربى ۱۹۹۴: ۱: ۱۰۸- ۱۰۰؛ الجامعة الإسلامية وآراء الجرائد فيها.

ص: ۳۹

للنجاح: إمكان اجتماع أكبر عـدد ممكن من نُخَب المسـلمين فيها، وإمكان الحـديث والتشاور بحريـة لا يتيحها جوّ العاصـمة العثمانية. وما تخلّى الرجلان عن المشـروع رغم الاعتراضات والتحفّظات، بـدليل مساعدتهما لعبد الرحمن الكواكبى (۱۸۴۵– ۱۹۰۲ م) فى نشر كتابه: امّ القرى (۱۹۰۰ م) فى طبعةٍ سـريّة عليها تعليقات وحواش وتوسـيعات لرضا، ثمّ المصـير إلى نشر الكتاب نفسه على حلقات فى مجلّة المنار بدءًا بمطلع العام ۱۹۰۲ م.

كان الكواكبى الـذى وصل إلى القاهرة عام ۱۸۹۹ م قد بدأ بنشـر كتابه: طبائع الاسـتبداد بجريدة المؤيّد للشيخ على يوسف (۱). وهو كتاب واضـح العـداء للسـلطان عبـد الحميـد وللدولـة العثمانيـة. أمّا فى امّ القرى فيتحـدّث الكواكبى (يسـمّى نفسه السـيّد الفراتى) عن مساعيه لعقد مؤتمر بمكّة للبحث فى أسباب «الخلل والضعف» الذى حلَّ ب «كافّة المسلمين» مطلع القرن الرابع عشر الهجرى.

خرج الفراتى من حلب مطلع العام ۱۳۱۶ ه (/ ۱۸۹۸ م)، وطاف بالبلاد العربية داعياً سراتها للقاء بمكّة أثناء موسم الحج من العام نفسه. وقد التحق به سائرهم كما يقول، باستثناء الأديب البيروتى (هل هو عبد القادر القبانيصاحب ثمرات الفنون؟) الذى اعتذر.

وفى مكّـة ضمّ إلى العرب القادمين ممثّلين لسائر الجهات الإسـلامية، وعقـد هؤلاء جميعاً اثنىعشـر اجتماعاً سـريّاً فى ناحيـة منعزلة من المدينـة، تـدارسوا فيهـا شؤون المسـلمين، واقترحوا حلولًا وعلاجات لها، وأنشأوا سـكرتيرية تنظيميـة للمؤتمر لمتابعـة تنفيـذ المقرّرات (جمعية تعليم الموحديين)، ثمّ انفضّوا!

ذكر الكواكبى فى المؤتمر المفترض «مجمل أسباب الفتور» (يقصد الانحطاط)، فى ستّة وثمانين بنداً مقسّمةً على ثلاثة أنواع: الأسباب الدينية، والأسـباب السياسـية، والأسـباب الأخلاقية– معتبراً أنّ هناك حاجة لإصـلاح دينى جذرى، وإصـلاح سياسى قوى. وعمدتُهُ فى عملية الإصلاح: فصل الخلافة عن السلطنة، وانتخاب خليفة قرشى مقرّه مكّة لمدّة

۱– ۲۱– الأعمال الكاملة للكواكبى، إعداد وتحقيق محمد جمال طحّان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ۱۹۹۵،ص ۸۲– ۸۱.

ص: ۴۰

ثلاث سنوات لا تتجاوز سلطاته السياسية منطقة الحجاز. أمّا بقيّة البلدان الإسلامية فتستقلّ بأمرها السياسى والإدارى وترعى أمورها الكبرى من خلال الجامعة الإسلامية ومؤتمرها العام الذى يترأسه الخليفة بمكّة (۱).

وعلى الرغم من راديكالية الحلّ السياسى الذى يطرحه، فلا شكّ أنّ مقترحات الكواكبى للاجتهاد والتجديد الدينى تظلّ الأكثر لفتاً للانتباه. وهناك شَبَهٌ شديد بين تلك الآراء وما كانت عبّرت عنه المنار، بل و «العروة الوثقى» من قبل. لكن إذا كانت رسالة «امّ القرى» هى التعبير الأوضح عن أفكار الإصلاح الإسلامى؛ فإنّها من ناحية ثانية أفصحت عن الوعى الجديد لنُخَبٍ عربية ما عادت تعتبر الوجود العثمانى قادراً على حلّ مشكلات شعوب الامبراطورية، أو تحقيق طموحاتها.

أمّا البديل الرمزى للسلطان ولاسطنبول لدى النُخب أو بعض أفرادها فالقائد العربى الذى ينطلق من مكّة أو يعود إليها فاتحاً كما فعل رسول اللّهصلى الله عليه و سلم؛ ليصبح موسم الحجّ فى كلّ عام البيئة التى يجرى فيها التشاور، وتحديد المشكلات، واتخاذ القرارات التى تُهمُّ سائر المسلمين.

أسهمت كتابات الكواكبى فى «طبائع الاستبداد» ومن خلال فكرة المؤتمر فى «امّ القرى» فى دفع رهان الإصلاحيين المسلمين على الشورى والدستور إلى الأمام.

وبذلك لم تعدّ الصورة عن الإسلام التقليدى الداعم للاستبداد الحميديصحيحة. بيد أنّ وفاة محمّد عبده عام ۱۹۰۵ م، أفقدت الإصلاحيّين قيادتهم العامّة المُطلّة على سائر أجزاء ديار الإسلام؛ بحيث بدا دُعاة الإصلاح والمعارضة لاستبداد السلطنة جماعةً شاميّةً سلفيةً ذات عصبيةٍ عربيةٍ محلّية تذكّر بما كان يدعو إليه بلنت فى ثمانينيات القرن التاسع عشر.

وقد ظهر ذلك واضحاً فى ردّة فعل رشيد رضا على اقتراحصحافى ومؤلّف تترى اسمه غاسبرنسكى Gasprinskii (۱۸۵۱- ۱۹۱۴ م) عقد «مؤتمر إسلامى عام» بالقاهرة، من

۱- ۲۲- الأعمال الكاملة للكواكبى، مرجع سابق، الصفحة: ۳۵۸ وما بعدها.

ص: ۴۱

أجل مناقشة أسباب التخلّف الاقتصادى لدى المسلمين عام ۱۹۰۷ م. فقد أزعج رضا إسراع الشيخ على يوسف ومصطفى كامل (الموالين للخديوى) والشيخ محمد توفيق البكرى (شيخ مشايخ الطرق الصوفية) للاستيلاء على اللجنة التحضيرية للمؤتمر؛ ولذلك بادر بعد تردّد إلى معارضته بحجّة أنّ الفكرة فى الأصل للأفغانى، ثمّ لمحمّد عبده وتيّار المنار، وقد رأى هؤلاء جميعاً أن يكون المؤتمر بمكّة (۱).

وهكذا فإنّ الصراع على مكان المؤتمر أصبح يخفى فى الحقيقةصراعاً على السلطة داخل العالم الإسلامى بين السلطنة (اسطنبول)، ومصر (الخديوى عبّاس الثانى)، والتحالف الإصلاحى/ الشامى. وقد تراجع هذا الصراع عن واجهة الأحداث بقيام الحركة الدستورية فى إيران (۱۹۰۵– ۱۹۰۶ م) ثمّ فى الدولة العثمانية (۱۹۰۸ م)؛ إذ ما عاد الإصلاحيون يرون ضرورةً للاحتجاج السياسى (۱۹۰۸– ۱۹۱۲ م) ما دام العمل الداخلى ممكناً. على أنّ العمل الإصلاحى المرتبط بفكرة المؤتمر بمكّة ما عاد له طابعه الإسلامى العامّ حتّى فى العهد الدستورى العثمانى؛ بدليل حدوث مؤتمر باريس (۱۹۱۳ م)، الذى لم يشهدْهُ من الإصلاحيّين غير الشوام، والذى كانت مطالبه شامية وعربية تتراوح بين اللامركزية، وبين الدعوة للانفصال عن السلطنة بحجّة السياسة الطورانية والتريكية للدستوريين الأتراك (۲).

أمّا دعاة العالمية الإسلامية من بين الإصلاحيين غير الشوام؛ فإنّ مقترحاتهم للمؤتمر عادت للارتباط بالدولة العلية بدون تأكيد على الخلافة التى تراجعت ايديولوجيتها بتنحية السلطان عبد الحميد الثانى عام ۱۹۰۹ م.

فالتضامن الإسلامى كما يرى الإيرانى ميرزا على آغا (ت ۱۹۱۸ م) يتطلّب مؤتمراً يمكن أن ينعقد بمكّة أو باسطنبول، والترى محمد مراد (۱۸۵۳– ۱۹۱۲ م) يرى عقد المؤتمر باسطنبول برئاسة شيخ الإسلام وليس الخليفة. واللجنة المركزية لجمعية

---

۱ – ۲۳– مجلّة المنار مايو ۱۹۰۸ ۱۱ ۳: ۱۸۴– ۱۸۱. وانظر محمد توفيق البكرى: المستقبل للإسلام، القاهرة، بدون تاريخ حوالى ۱۹۰۹: ۱۱۹– ۱۱۶.

۲ – ۲۴– ما حضره السيد رشيد رضا لكن حضره أصدقاؤه: عبد الحميد الزهراوى، ومحبّ الدين الخطيب وأحمد طبارة؛ قارن: وثائق المؤتمر العربى الأوّل ۱۹۱۳: كتاب المؤتمر والمراسلات الدبلوماسية الفرنسية المتعلّقة به.

تقديم ودراسة وجيه كوثرانى. دار الحداثة بيروت ۱۹۸۰. وكان الأمير شكيب أرسلان ضدّ المؤتمر، قارن بشكيب أرسلان؛ سيرة ذاتية، بيروت، بدون تاريخ: ۱۰۹.

ص: ۴۲

الاتحـاد والتراقی (المسـيطرة باسـطنبول) تقترح عقـد مؤتمر سـنوی باسـطنبول لعلماء المسـلمين من داخل الدولـة وخارجها للبحث فی الشؤون التی تهمّ المسلمين عامّة.

والشيخ عبد العزيز جاويش (۱۸۷۲- ۱۹۲۹ م) القريب من الحزب الوطنی المصری، والمرتبط بقوّة بفكرة بقاء الدولـة العثمانية، يقترح عام ۱۹۱۳ م (بالتضامن مع شـكيب أرسلان فی مواجهة الذين حضروا بمؤتمر باريس) مؤتمراً باسطنبول لدعم السلطنة وضع له برنامجاً من اثنتی عشرة نقطة (۱).

ظلّ السيّد محمّد رشيد رضا حتّى العام ۱۹۱۲ م مصرّاً على أنّ المنار هی وارثة تقليد الإصلاح المرتبط بفكرة المؤتمر بمكّة. لكنّ خيبة أمله بالاتحاديين بعد زيارته لاسطنبول عام ۱۹۱۰ م، وتعاطف الإصـلاحيين مع مؤتمر باريس أبعد المشاركين (الذين أعدم جمال باشا بعضـهم بعالية ودمشق عام ۱۹۱۶ م بحجّة تآمرهم مع فرنسا، وتهديـدهم لأمن الدولـة أثناء الحرب) عن التيار الإسـلامی العامّ الـداعم للدولة العثمانية، والداعی لإصلاحها فی الوقت نفسه.

فی حين تركّزت اهتمامات السيّد رشـيد عشية الحرب الاولى وأثناءها (۱۹۱۳- ۱۹۱۸ م) على علاقـات العرب بالترك، ومصائرالعرب؛ فإنّ الإصلاحيّين الآخرين ظلّوا يعملون على دعم الدولة العلية مادّياً ومعنوياً وسياسيّاً فی مصر والشام واسطنبول والأقطار الأوروبية.

كمـا ظلّوا يقـدّمون الأفكار والمقترحات ذات الأبعاد الحضاريـة والاقتصاديـة التی يمكن أن تبحثها مؤتمرات داخل الدولـة أو خارجها (۲).

وهكـذا فإنّ الحرب التیمزّقت الدولـة العثمانيـة، مزّقت أيضـاً دُعاة العالميـة الإسـلامية إلى مسـتميتين فی الـدفاع عن الدولـة والخلافة وبقائها، أو ساعين لإيجاد بديلٍ أو بدائل عن الدولة المتساقطة.

أمّـا حركـة الخلافـة بالهنـد فهی نموذجٌ للفريق الأوّل. وأمّـا مجموعـة المنـار فهی نموذجٌ للفريق الثانی. على أنّ الموقف انقلب انقلاباً راديكالياً بعد الحرب، بحيث ما عاد ممكناً الحديث عن عالمية

۱- ۲۵- ۴۵ -۵۴ .M. Kramer, Islam Assmbled; op. cit

۲- ۲۶- قارن بعلی يوسف: بيان ف يخطط المؤيّـد تجاه الدولـة العلية العثمانية، القاهرة ۱۹۱۶، وأوراق محمد فريد، نشـر الهيئة العامّة، ۱۹۸۵، م ۱،صفحات متفرّقة.

.. ۲۱۱ -۱۶۳ ,R. Peters, Jihad in Modrn History, ۱۹۸۶, PP

ص: ۴۳

إسلامية يدور الخلاف حول وسائل تحقيقها بالمؤتمرات أو بغيرها؛ لذلك علينا هنا أن نقف وقفةً قصيرةً لإعادة قراءة المشروع العالمى الإسلامى ومآلاته فى العشرينيات، قبل العودة لاستعراض وقائع المؤتمرين بمكّة عام ۱۹۲۴ و ۱۹۲۶ م، واللذين أظهرا وصول المشروع إلى مأزق، وليس فكرة المؤتمر بحدّ ذاتها.

لماذا جرى التفكير بالمؤتمر وبمكّة فى الأصل؟

لقد سبق ذكر الرأى القائل: إنّ فكرة المؤتمر، وعقده بمكّة، عَنَتا تمرّداً على العثمانيّين. وقد رجّحت أنّ ذلك غيرصحيح، فالشخصيتان اللّتان اقترحتاه، إحداهما تركية، والاخرى جمال الدين الأفغانى. والاولى كانت فى اسطنبول، والثانية انتهت فى اسطنبول.

ولهذا فالمرجّح أنّ مشروع النهضويّين؛ أصحاب فكرة المؤتمر إنّما كان يريد إصلاح امور المسلمين لتقوية جانبهم فى مواجهة الاستعمار، ومتابعة الإصلاحات التى أوقفها عبد الحميد الثانى للغرض نفسه.

وقد ذكروا هذه الأسباب لعقد المؤتمر أو المؤتمرات، كما أوضحوا أسباب اختيارهم لمكّة، والتى لا تخرج عن ثلاثة امور:

ارتباط المسلمين دينيّاً بها.

وبُعدها عن تأثيرات القوى الأجنبية.

وإمكان التقاء كبار المسلمين من داخل الدولة العثمانية وخارجها سنوياً فى رحابها.

وحدثت تطوّرات فى مطلع القرن العشرين وعقده الأوّل، عدّلت من معالم المشروع العالمى الإسلامى لدى الإصلاحيّين: يأس بعض الإصلاحيّين مثل الأميرصباح الدين (۱۸۷۷ – ۱۹۴۸ م)، وعبد الرحمن الكواكبى من التأثير على عبد الحميد باتجاه الإصلاح بحيث رأى الأميرصباح الدين (ابن أخ عبد الحميد) ضرورة إسقاطه [(۱)].

وبحيث رأى الكواكبى ضرورة فصل الخلافة عن السلطنة، وإقامة خليفة عربى بمكّة له سلطاتٌ روحية، ورأىٌ (من خلال الجمعية أو المؤتمر السنوى) فى الشؤون العامّة والكبرى.

۱- ۲۷-۹۲- ۷۲. J .Landau ,The Politics of Pan -Islam ;op .cit.

ص: ۴۴

هكذا اتّخذ المشروع الإصلاحى معالم سياسية محدّدة كان يمكن أن تتراجع بعودة الدستور والحرّيات (۱۹۰۸- ۱۹۰۹ م) لولا ـ وفاة محمّد عبده عام ۱۹۰۵ م، وافتقار الإصلاحيّين من تيّار المنار إلى شخصية مشابهة جامعة.

لذلك انقسم الإصلاحيّون إلى قسمين:

العرب (من أهل الشام بالتحديد) الذين فكّروا وعملوا من أجل لا مركزية تعطيهم حكماً ذاتيّاً ضمن الدولة. وقد اجتمعوا عام ۱۹۱۳ م بباريس، وظهرت أصوات تدعو للانفصال التامّ. وقد ضعُف تيّار اللامركزية خلال الحرب بسبب اتجاه كثيرٍ من دعاته (أهمّهم محمّد فريد وشكيب أرسلان) لدعم الدولة بدون شروط لخوفهم على الوجود-.

والقسم الثانى- وأكثره من مسلمين غير عثمانيّين- رآى ضرورة الانتظام ضمن الداعمين للدولة دونما اشتراط للأخطار الكبيرة التى تتهدّدها وتتهدّد المسلمين بشكلٍ عام.

وانتهت الحرب بهزيمة الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا، واحتلال اسطنبول، وتمرّد مصطفى كمال بالأناضول كما هو معروف. وتسارعت خطوات الاضمحلال بفصل السلطنة عن الخلافة عام ۱۹۱۲ م، وإلغاء الخلافة عام ۱۹۲۴ م. وتعاظم الإحساس بالفجيعة بسبب الهزيمة من ناحية، وقيام كياناتصغيرة منفصلة فى ظلّ الاستعمار؛ لكن أيضاً وقبل ذلك بسبب فقد المشروعية بسقوط «دار الإسلام» أو نظامها (الخلافة) لصالح النظام الدولى المتبلور فى حقبة ما بين الحربين.

لقد كان من الطبيعى والحال هذه، أن تعود فكرة المؤتمر وبمكّة للبروز بقوّة. فالشرعية العثمانية تتضاءل ثمّ تزول، وراديكاليو الإصلاحيّين كانوا قد رأوا مع الكوكبى إمكان عقد مؤتمر اختيار خليفة بمكّة. لكنّ الفريقين الإصلاحيين كانا قد تغيّرا أثناء الحرب، وما عاد يمكن تحديدهما حتّى ضمن مقاييس ما قبل الحرب.

فالمسلمون خارج السلطنة العثمانية، وعلى رأسهم محمد على وشوكت على من «حركة الخلاف» الهندية ظلّوا

ص: ۴۵

يأملون ويعملون لإعادة الخلافة العثمانية؛ ولذلك ما وافقوا على تسمية الحسين بن على فى «مؤتمر الحجّ» بمكّة عام ۱۹۲۴ م، ولا على تسمية ملك مصر فى «المؤتمر الإسلامى العام للخلافة» بمصر عام ۱۹۲۶ م، لارتباط الشريف حسين بالبريطانيين، ووجود الجيش البريطانى بمصر (۱). ورشيد رضا الذى انهمك فى نقاشات حول الخلافة والسلطنة (۱۹۲۲- ۱۹۲۴ م) وشروطهما التاريخية والشرعية تردّد قليلًا (۱۹۱۶- ۱۹۱۷ م) ثمّ رفض البيعة للشريف حسين للسبب نفسه الذى رفضه من أجل الهنود؛ ولم يحضر مؤتمر الحجّ عام ۱۹۲۴ م (۲)، ثمّ استطاع هو وغيره التهرّب من البيعة لملك مصر عام ۱۹۲۶ م بحجّة تأجيل ذلك لمؤتمرٍ آخر ينعقد فى السنة التالية، وهو ما لم يحدُث أبداً (۳).

كان المؤتمر الأخير الذى ذُكرت فيه مسألة الخلافة هو المؤتمر العام الإسلامى الذى انعقد بمكّة عام ۱۹۲۶ م عقب مؤتمر القاهرة. وكان الملك عبد العزيز قدصارح المصريّين عندما دعوه لإرسال ممثّل عنه إلى المؤتمر القاهرى، أنّه يؤيّد مصر فى ذلك، وهو ليس مهتماً شخصياً بمسألة الخلافة. لكنّه لا- يقبل أن تبحث امور الحرمين فى المؤتمر المصرى كما ردّد بعض المصريّين والهنود، إذ لا حاجة لذلك ما دام هو ملك نجدٍ والحجاز، والحرمان آمنان ومحميان (۴).

أمّا الدعوة التى أرسلها الملك فى ۲۸ أبريل ۱۹۲۶ م لحضور مؤتمر العالم الإسلامى أثناء موسم الحجّ فقد نصّت على خدمة الحرمين وسكّانهما وضمان مستقبلهما، وتأمين الراحة للحجّاج والزائرين، وترقية أحوال الأراضى المقدّسة، والبحث فى تعاون المسلمين من أجل الوصول إلى هذه الأهداف.

لقد كان يُريد طمأنة المسلمين إلى مجريات الامور بالحرمين بعد سيطرته عليهما عام ۱۹۲۴ م. وما كان يريد المطالبة بالخلافة، لكنّه لا يقبل أيضاً أن يتدخّل الآخرون فى شؤونهما باقتراح نظامٍ معيّنٍ لهما. وكان من دلائل ذلك المبايعة له ملكاً على نجد والحجاز قبل انعقاد المؤتمر.

۱- ۲۸-۵۹- ۳۹, ۵۸- ۴۸, ۱۸. M .Krmer ,Islam Assembled ,op .cit .

۲- ۲۹- مقالات الشيخ رشيد رضا السياسية، مرجع سابق، ۴: ۱۵۱۲، انتحال السيد حسين أمير مكّة للخلافة!

۳- ۳۰- مقالات الشيخ رشيد رضا السياسية، مرجع سابق، ۴: ۱۹۳۰- ۱۹۱۱.

۴- ۳۱- ۲۲۱ -۶۰۱. M. Kramer, Islam Assembled, op. cit. وانظر عن المؤتمر: مقالات الشيخ رشيد رضا السياسية، مرجع سابق، م ۴،ص ۱۹۳۸- ۱۹۴۷.

ص: ۴۶

وقد لاحظ عالمٌ هندىّ كان حاضراً بمكّة أثناء البيعة أنّ ابن سعود حلّ مسألة المشروعية بأخذ البيعة لنفسه على الحكم بالكتاب والسنّة، وبذلك تضاءل الهمّ الذى كان يحرِّك علماء آخرين للبحث عن خليفة من أجل استعادة المشروعية التاريخية (۱).

وعندما انعقد المؤتمر فى النهاية كان الحاضرون من العلماء والرسميّين أكثر وأكبر تمثيلًا من مؤتمرى الشريف حسين والقاهرة. وقد حضر ممثّلون لعدّة دول إسلامية من ضمنها مصر- التى كان مليكها يسعى للخلافة- لاطمئنانهم إلى أنّ الملك عبد العزيز لا يريد منافستهم على ذلك اللقب الذى استنفد أغراضه منذ زمن.

وقد تحدّث عدّة موفَدين فعلًا فى الخلافة وشروطها، وفى طرائق العناية بالحرمين.

واقترح بعضهم ترشيح الملك عبد العزيز للمنصب أو بالأحرى للّقب.

وعندما تطرّق البحث إلى التضامن الإسلامى ومقتضياته حدث خلافٌ كبير. فالهنود والجاويّون والسودانيّون كانوا وما يزالون مهتمّين بالتعاون الإسلامى العامّ، وبإيجاد هيئة للعناية بذلك.

أمّا العرب فقدصاروا أحزاباً كلّ فريق مرتبط بهذه السلطة أو تلك من الدول التى قامت بعد الحرب فى الأقطار المختلفة.

وكان السيّد رشيد رضا والأمير شكيب أرسلان، اللّذان اختلفا حول نصرة الدولة العثمانية فى الحرب وبعدها، قد عادا للاتّفاق حول دعم الملك عبد العزيز باعتباره الأكثر استقلالًا ومشروعيةً فى عالم الإسلام آنذاك. وقد أُنشئت للمؤتمر سكرتيرية تعمل لعقده سنوياً، لكنّه لم يعُدْ للانعقاد. والأمير شكيب أرسلان، الذى كان سكرتيراً عاماً للمؤتمر عام ۱۹۲۹ م طاف بالحجاز ذلك العام، ونشر مذكّراته الطريفة حوله تحت عنوان:

(الارتسامات اللطاف) (۲)، دونأن يذكر شيئاً عن مصائر مؤتمر العالم الإسلامى، لكنّ الملك عبد العزيز- الذى لم يحضر أكثر جلسات مؤتمر العام ۱۹۲۶ م لكى يتيح للحاضرين أن يتناقشوا بحرية-

---

۱- ۳۲- ۹۰۱ .Kramer; Op. cit

۲ - ۳۳- الارتسامات اللطاف فى رحلة الحاج إلى أقدس مطاف. وهى الرحلة الحجازية لأمير البيان ونادرة الزمان الأمير شكيب أرسلان. نشر مجلّة المنار عام ۱۳۵۰ ه.

ص: ۴۷

ظلّ يجتمع سنوياً بكبار العلماء والرسميّين القادمين للحجّ؛ فيتحدّث إليهم فى شؤون الحرمين، والتضامن الإسلامى.

أظهرت المؤتمرات الثلاثة التى انعقدت بمكّة (۱۹۲۴ م) وبمصر (۱۹۲۶ م) ثمّ بمكّة (۱۹۲۶ م) أنّ النظام الإسلامى الكلاسيكى للمشروعية قد انتهى، وأنّ الدول المنتصرة بالحرب تُبلوِر نظاماً إقليميّاً متفرّعاً على نظام القوّة الدولى الذى ظهر بعد الحرب الاولى.

كما أظهرت تلك المؤتمرات أنّ المسلمين لا يملكون بدائل أو حلولًا لازمة المشروعية، غير البدائل القطرية (الدولة الوطنية) التى يعترف بها النظام الدولى الجديد. وفى حين ظلّ الإسلاميّون خلال العشرينيات يتقاذفون التهم والاقتراحات.

عمد الشاب وقتها عبد الرزاق السنهورى فى اطروحة للدكتوراهصدرت بباريس عام ۱۹۲۷ م إلى اقتراح منظمةٍ للُامم الإسلامية، تحفظ معنى الوحدة، وتصون كبرى المصالح.

أمّا أمين الحسينى، مفتى القدس، فقد دعا عام ۱۹۳۱ م إلى مؤتمر إسلامى بالقدس للتضامن مع المقدسيين والفلسطينيّين فى مواجهة الصهاينة، حرص فيه على أن لا يذكر أحدٌ شيئاً عن الخلافة أو استعادتها حتّى لا يُغضبَ الحكّام العرب من جهة، والبريطانيّين من جهةٍ ثانية...

الهوامش:

ص: ۴۸

ص: ۴۹

ص: ٥٠

ص: ۵۱

الركن العراقى حجر إسماعيل

الركن العراقى حجر إسماعيل

الركن العراقى حجر إسماعيل

الشيخ المامقانى/ إعداد: أبوالحسن المطلبى

نظراً لما فى هذه المقالة من نقاط تحتاج إلى المزيد من الإيضاح والتحقيق، نأمل من الأساتذة المحقّقين خاصّةً فى علم الهيئة موافاتنا بآرائهم حول ما دار فيها. إدارة المجلة

ترجمة المؤلّف

الشيخ عبداللَّه بن الشيخ حسن بن الشيخ عبداللَّه بن محمد باقر بن على أكبر بن رضا المامقانى النجفى، ولد فى النجف الأشرف سنة ۱۲۹۰ ه ونشأ فيها.

عالم، عامل، تقى، ورع، ثقة، أمين،صاحب التأليف والتصنيف، حجّ مكة المكرمة، وكان يكتب فى طريقه وقد حمل معه مقداراً وافراً من كتب المصادر عن خلص أصحابه، وزار الرضا عليه السلام مع والده الحجة فى أواخر أيّام والده، واستقبله أهل طهران وخراسان، وصار له ولوالده أكمل الإكرام والتبجيل، واستقبله التجار والوجوه والمعارف وأرباب الدولة ولا سيّما موجهو الترك.

ص: ۵۲

أساتيذه

قرأ مقدّمات العلوم على والده الحجة وعلى العالم الشيخ هاشم التبريزى الأرونقى المتوفى سنة ۱۳۲۳ ه، وقرأ الفقه والأصول على الشيخ غلام حسين الدربندى التركى المتوفى ۱۳۲۱ ه والشيخ حسن ميرزا المتوفى ۱۳۱۳ ه، وحضر أبحاث العلماء المعاصرين وبحث والده الشيخ حسن.

مؤلفاته

ألّف كثيراً من الكتب منها: منتهى مقاصد الأنام فى نكت شرائع الإسلام، مناهج المتقين، دورة كاملة فى الفقه، نهاية المقال فى تكملة غاية الآمال فى الخيارات، مرآة الكمال فى الآداب والسنن، مقباس الهداية فى علم الدراية، مخزن المعانى فى ترجمة المامقانى، تنقيح المقال فى أحوال الرجال وهو من خيرة ما كتب. مرآة الرشاد فى الوصية إلى الأحبة والأولاد، الاثناعشرية يتضمن اثنتىعشرة رسالة وهى رسالة وسيلة النجاة فى أجوبة جملة من الاستفتاآت ورسالة مجمع الدرر فى مسائل اثنتىعشرة ورسالة المسائل الأربعين العاملية ورسالة المسائل الخوئية ورسالة فى المسافرة لمن عليه قضاء شهر رمضان مع ضيق الوقت، ورسالة عدم إيراث العقد والوطى لذات البعل شبهة حرمتها عليه أبداً، ورسالة المسألة الجيلانية تتضمن المحاكمة بين علمين من المعاصرين فى فرع من فروع إرث الزوجة من الأراضى، ورسالة كشف الريب والسوء عن إغناء كل غسل عن الوضوء، ورسالة فى إقرار بعض الورثة بدَين وإنكار الباقين، ورسالة كشف الأستار فى وجوب الغسل على الكفار ورسالة غاية المسؤول فى انتصاف المهر بالموت قبل الدخول، ورسالة مخزن اللئالى فى فروع العلم الاجمالى، مطارح الافهام فى

ص: ۵۳

مبانى الأحكام فى الأصول على طرز حسن، هداية الأنام فى أموال الامام عليه السلام، تحفة الصفوة فى الحبوة، رسالة إزاحة الوسوسة عن تقبيل الأعتاب المقدسة طبعت مع مخزن اللئالى فى النجف الأشرف، تحفة الخيرة فى أحكام الحجّ والعمرة فارسية مبسوطة، السيف البتّار فى دفع شبهات الكفّار، رسالة المسائل البصرية، رسالة وسيلة التقى فى حواشى العروة الوثقى، رسالة الجمع بين فاطميّتين لم تطبع، رسالة فى أحكام العزل عن الحرّة الدائمة لم تطبع، رسالة الدر المنضود فيصيغ الإيقاعات والعقود على وجه الاستدلال والبسط وفى حاشيته متن وفيصدر الصفحات أُرجوزة طبعت فى النجف الأشرف وطبعت الأُرجوزة مستقلة أيضاً، وله ترجمة مرآت الكمال بالفارسية سمّاها بسراج الشيعة فى آداب الشريعة، ورسالة المسائل البغدادية فى الفروع، سؤال وجواب فارسى طبع فى تبريز، منهج الرشاد سؤال وجواب فارسى، رسالة مناسك الحج وسيط عربى وفارسى وله حواشٍ على الرسائل العربية والفارسية كذخيرة الصالحين ومنتخب المسائل والجامع العباسى، وله كراريس فى الفوائد الطبية وكراريس فى بعض علم الحروف والأعداد.

وفاته

توفى فى النجف بداء الصدر فى اليوم التاسع عشر من شوال سنة ۱۳۵۱ ه وارتج البلد لموته وشيع تشييعاً حافلًا بالعلماء والوجوه، وغسل خارج النجف بالقناة على بحر النجف، وصلى عليه جماعة من العلماء ودفن فى مقبرة والده الحجة الشهيرة، ولم يخلف إلّا ولداً واحداً لم يبلغ الحلم وثمانى بنات من نساء شتى (۱).

۱- ۱ «معارف الرجال» ۲: ۲۰- ۲۲. ملخّصاً ومقدمة «تنقيح المقال» ۱: ۱.

ص: ۵۴

ص: ۵۵

ص: ۵۶

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم وبه ثقتى

الحمد للّهسبحانه على ما أنعم والصلاة والسلام على أشرف ولد آدم، محمّد وآله مصابيح الظُلَم. وبعد فيقول أحوج الورى إلى عفو اللّه الباقى العبد الفانى عبداللّه المامقانى عفا اللّه سبحانه عن جرائمه: إنّه قد ورد إلىّ من إخوان الدين أسئلة شريفة وفروع لطيفة كانوا ملتمسين الإشارة إلى المستند فأجبتهم إلى ذلك وأحببت جمعصورها لينتفع بها....

راجياً للثواب يوم لا ينفع غير الصالح من العمل. وفّقنا اللّه تعالى وإيّاك للعمل الصالح بمنه وكرمه.... (۱).

السؤال: إنّه قد بلغنا عنكم الإشكال فى تعيين الركن العراقى للكعبة المقدّسة، فالرجاء من عميم فضلكم كشف النقاب عن ذلك.

الجواب: قد سَنَحَ (۲) لى ما غرى إلىّ من الإشكال فى مكّةَ المشرفة حيث شاهدتُ محل الجَدى والشرق والغرب، فرأيتُ أنّ ما تعارفه الفقهاء رضوان اللّه تعالى عليهم فى بابَى القبلة والحجّ من غير نكير حتّى عزاه (۳) فى «فوائد الشرائع» إلى تصريح الأصحاب. وفى «كشف اللثام» (۴) إلى قاطبتهم وبه طفحَت (۵) عبائرهم حتّى المتون كالشرائع (۶) و «القواعد» (۷) وغيرهما، بل و «المقنعة» (۸) وغيرها، بل

۱- ۱ «الاثناعشرية»: ۱.

۲- ۲ «سَنَحَ لى رَأىٌ فى كذا أى عَرَضَ وبابه خضع» «مختار الصحاح»: ۲۰۷.

۳- ۳ «عزاه إلى أبيه: نَسَبَه إليه...» «مختار الصحاح»: ۲۸۰.

۴- ۴ «كشف اللثام» ۳: ۱۴۱.

۵- ۵ «طَفَحَ الإناء امتلأ حتى يَفيضَ وبابه خضع...» «مختار الصحاح»: ۲۵۷.

۶- ۶ «شرائع الاسلام» ۱: ۶۵- ۶۶.

۷- ۷ «قواعد الأحكام»: ۱۵۱.

۸- ۸ «المقنعة»: ۹۶.

ص: ۵۷

شاع ذلك بين أهل مكّة، عوامهم وخواصهم، من تسمية الركن الذى فيه الحَجَر الأسود بالركن العراقى غير مستقيم ولا واضح، ضرورة أنّ نسبة ركن إلى قوم لا تكون إلّاباستقبالهم له فى الصلاة ونحوها.

ومن المعلوم وجداناً أنّ ركن الحَجَر الأسود فى قبال المشرق، وأنّ الذى يستقبل القبلة فى العراق لا يضع المشرق بين كتفيه حتّى يكون ركن الحجر الأسود قبال وجهه، بل يضع الجَدْى خلف المنكب الأيمن.

ومن الوجدانى أنّ الذى فى قبال الجَدْى هو الركن المتّصل بحِجْر إسماعيل من طرف الشمال المسمّى بالركن الشامى، فيلزم من ذلك اتّحاد الركن الشامى والعراقى لاشتراكهما فى وضع الجَدْى وراءه؛ غايته أنّ العراقى يضعه خلف المنكب الأيمن والشامى خلف الكتف الأيسر، بل الشامى أقرب إلى ركن الحَجَر الأسود من العراقى بقدر أربع وستّين درجة سدس الدائرة تقريباً؛ لأنّ انحراف العراقى نحو المغرب إحدى وثلاثون درجة وانحراف الشامى نحو المشرق ثلاث وثلاثون درجة فبينهما أربع وستون درجة، وذلك أزيد من سدس مجموع الدائرة التى هى ثلاثمائة وستّون درجة كما لا يخفى ذلك كلّه على مَن له خبرة بعلم الهيئة. وقد وقع التصريح بذلك فى كتب الفقه أيضاً كالروضة (۱) وغيرها، فما معنى تسمية الركن المتصل بحِجْر إسماعيل الشامى والذى فيه الحَجَرُ الأسود المقابل للمشرق بالعراقى؟

وأيضاً ففى خبر إبراهيم بن أبى محمود قال: قلت للرضا عليه السلام: «أستلم اليمانى والشامى والعراقى والغربى؟ قال نعم» (۲).

۱- ۱ «الروضة البهية» ۱: ۱۹۰.

۲- ۲ «تهذيب الأحكام»: ۵، ۱۰۶، ح ۳۴۳، باب الطواف، ح ۱۵؛ «الاستبصار» ۲: ۲۱۶، ح ۷۴۳ باب استلام الأركان كلها، ح ۱.

ص: ۵۸

وفيه دلالة على أنّ الشامی غير العراقی، فيدور الأمر بين تسمية المتصل من جانب الشمال بحِجْر إسماعيل بالعراقی. والذی فيه الحَجَر الأسود بالشامی وبين العكس. وحيث إنّ انحراف الشامی عن نقطة الجنوب إلى المشرق أزيد من العراقی كان الأوّل متعيّناً دون الثانی فما معنى ارتكابهم الثانی؟

وأيضاً فقدصرّح بعض المتبحرين بكون مقابل اليمن هو العراق دون الشام.

ولازم ذلك كون الركن المتصل بشمال حِجْر إسماعيل هو العراقی لمقابلته الركن اليمانی الذی هو فی سمت الجنوب دون الشامی، بل التأمّل يقضی بعدم تسمية شیء من الاركان بالشامی؛ لعدم محاذاة الشام لشیءٍ منها أو جعل الشامی والعراقی متحداً.

وكلماتهم كخبر إبراهيم المتقدم (۱) تقضی بالتعدّد.

وربما زعم بعض مَن أدخل نفسه فی الصنف عدواناً من أهل العصر اندفاع الإشكال بفرض الأركان عبارة عن الصفحات الأربع.

وفيه أولّا: أنّه لا ـ ينبغی الريب فی كون الأركان عبارة عن الزوايا الأربع دون الصفحات، كما يكشف عن ذلك ما ورد فی النصوص (۲)، وكلمات الفقهاء (۳)رضوان اللَّه تعالى عليهم من استحباب استلام الركن اليمانی، والركن الذی فيه الحَجَر كما فی بعض الأخبار الصحيحة (۴) والذی فيه الأسود كما فی

۱- ۱ تقدّم تخريجه فيص ۵، الحاشية ۲.

۲- ۲ «تهذيب الأحكام» ۵: ۱۰۵- ۱۰۶، ح ۳۴۱، باب الطواف، ح ۱۳؛ «الاستبصار ۲: ۲۱۶- ۲۱۷، ح ۷۴۴، باب استلام الاركان كلها ح ۲.

۳- ۳ كالشيخ فی «المبسوط» ۱: ۳۵۶، وابن إدريس فی «السرائر» ۱: ۵۷۲، وابن حمزة فی «الوسيلة»: ۱۷۲، والمحقق فی «الشرائع» ۱: ۲۶۹، والعلامة فی «تذكرة الفقهاء» ۸: ۱۰۳- ۱۰۵، المسألة ۴۷۰، و «منتهى المطلب» ۲: ۶۹۴.

۴- ۴ «الفقيه» ۲: ۳۱۷، باب الوقوف بالمستجار؛ «وسائل الشيعة» ۵: ۴۰۸، باب استحباب استلام الركن الذی فيهالحجر و...، ح ۱- ۳.

ص: ۵۹

خبر غياث (۱) فإنّ الاستلام يكون فى الزوايا.

وأيضاً فقد نطقت الأخبار (۲) وكلمات الفقهاء (۳) رضوان اللّه تعالى عليهم بأنّ مَن جاوز المستجار وبلغ الركن اليمانى لا يرجع لالتزام المستجار مع أنّ التجاوز والوصول لا يتحقق إلّابوجود الفصل بين المستجار والركن اليمانى، ولو كان الركن هى الصفحة لاتحد المستجار والركن وكان المستجار من جملة الركن.

وتوهّم كون الركن اليمانى هى الصفحة المنتهية إلى الحجر الأسود ليتصور التجاوز والوصول غلط؛ لأنّ اليمن فى قبال آخر الصفحة التى فيها المستجار، لا أوّل الصفحة المنتهية إلى الحجر الأسود كما لا يخفى على مَن له خبرة.

وأيضاً لازم جعل الأركان عبارة عن الصفحات هو كون الصفحة التى فيها باب الكعبة شرقياً وعراقياً وشاميّاً وهو ظاهر الفسّاد.

وأيضاً لو كان مستقبل العراقى ركن الحَجَر؛ لكان اللازم تشريع استحباب التيامن فى العراق حتّى يتوسط الكعبة، فتشريع استحباب التياسر يكشف عن أنّ مستقبله الزاوية المتصلة بحِجْر إسماعيل.

وبالجملة فالإشكال المذكور لم أجد له حالّا. ومَن وفّقه اللّه سبحانه لحلّه فليتبه عليه فى الهامش.

وها أنا أرسم لكصورة الكعبة وموضع الشرق والغرب والجَدْى حتّى

۱- ۱ «الكافى» ۴: ۴۰۸، باب الطواف واستلام الاركان، ح ۸؛ «تهذيب الاحكام» ۵: ۱۰۵، ح ۳۴۱، باب الطواف، ح ۱۳؛ «الاستبصار» ۲: ۲۱۶- ۲۱۷، ح ۷۴۴، باب استلام الأركان كلها، ح ۲.

۲- ۲ «تهذيب الاحكام» ۵: ۱۰۸، ح ۳۵۰، باب الطواف، ح ۲۲.

۳- ۳ كالمحقق فى «الشرائع» ۱: ۲۶۹، ونظر «مدارك الأحكام» ۸: ۱۶۴- ۱۶۵.

ص: ۶۰

يتّضح لك:

ثم إنّى بعد حين عثرتُ على نقل كاشف اللثام (۱) عن بعض معاصريه تخطئة الأصحاب قاطبة فى قولهم: إنّ الركن الذى فيه الحَجَر قبلة أهل العراق. وزعمه أنّ قبلتهم الشامى وأنّه العراقى أيضاً. وتصريحه بأنّ السدس الأخير منصفحة الباب المنتهى إلى حِجْر إسماعيل هو قبلة بغداد والكوفة وسرّ مَن رأى، فحمدتُ اللّٰه سبحانه على وجدان موافق لى فيما ذكرتُ.

وقد بانَ لك أنّ ما سمّاه كاشف اللثام زعماً ملوّحاً إلى تضعيفه هو حقّ اليقين، بل بانَ لك أنّ تسمية الركن المتصل بحِجْر إسماعيل من جانب الشمال بالعراقى حقيقة لمقابلتهم له حقيقة، وبالشامى مجازية لانحرافهم عنه أربعاً وستين درجة.

والعجب كُلّ العجب ممّا أجاب به كاشف اللثام عن كلام معاصره من أنّ

۱- ۱ «كشف اللثام» ۳: ۱۴۱.

ص: ۶۱

العراق وما والاها لمّا ازدادت علی مکّة طولًا وعرضاً، فلهم أنْ یتوجَّهوا إلی ما یقابل الشامی إلی رکن الحَجَر. قال: «وبالجملة إلی أیّ جزءٍ من هذا الجدار من الکعبة فبأدنی تیاسر یتوجّهون إلی رکن الحَجَر، وهو أولی بهم مِن أن یشرفوا علی الخروج عن سمت الکعبة خصوصاً. وسیأتی أنّ الحرم فی الیسار أکثر» (۱). انتهی.

فإنّ فیه: إنّ جواز توجّههم إلی أیّ جزءٍ کان من هذا الجدار غیر نسبة الرکن إلیهم الدائرةمدار مقابلتهمإیّاه. وقدعرفت وقوعهمخلف الرکنالشامی، ومقابلتهم إیّاه، فیلزم تسمیة ذلک الرکن بالعراقی لا الشامی لعدم محاذاة الشام إیّاه، بل محاذاته لما یقابل أربعاً وستّین درجة ممّا بعده إلی جانب الباب. واللّه الهادی إلی الصواب.

وقد عثرتُ بعد حین علی تصریح العلّامة فی «التذکرة» (۲) فی المسألة الأولی من البحث الثانی فی کیفیة الطواف: بأنّ الرکن الشامی یسمّی عراقیاً أیضاً. وهو منافٍ لما فی سائر کلماته. ویحتمل احتمالًا قویّاً أنّ منشأ اشتباه من جعل رکن الحَجَر الأسود عراقیاً أنّه لم یکن قد حجّ حتی یری وجداناً ما رأیناه، ووجد تعبیر المطلع بالحال برکن الحَجَر مریداً به حِجْر إسماعیل، فزعم من اشتبه أنّ الحَجَر بفتح الحاء والجیم فسمیّ رکن الحَجَر الأسود عراقیاً، مع أنّ العراقی بالوجدان هو رکن الحِجْر بکسر الحاء وسکون الجیم، أی حِجْر إسماعیل.

*** السؤال: إنّ حِجْر إسماعیل علی نبیّنا وآله وعلیه السلام داخل فی الکعبة أم لا؟ وعلی الأوّل فما ثمرة النزاع فی الدخول وعدمه؟

الجواب: أمّا وجوب إدخال الحِجْر الذی هو موضع من الرکن الشامی إلی الغربی یحوط بجدار قصیر بینه وبین کل من الرکنین فتحة فی الطواف فمماصرّح به الأصحاب قدیماً وحدیثاً، بل لا خلاف فی ذلک ولا إشکال یحتمل، ونفی العلم

۱- ۱ «کشف اللثام» ۳: ۱۴۱- ۱۴۲.

۲- ۲ «تذکرة الفقهاء» ۸: ۸۷، المسألة ۴۵۳.

ص: ۶۲

بالخلاف فیه بین الأصحاب فی «الذخیرة» (۱) ونفی وجدانه فی «الجواهر» (۲). وجزم بعدم الخلاف فیه فی «الحدائق» (۳)وفی «التذکرة» (۴) أنّه کذلک عندنا. واستظهر فی «مجمع الفائدة» (۵) کونه إجماعیاً، وادّعی إجماع الأصحاب علیه فی «الخلاف» (۶) و «الغنیة» (۷) و «الذکری» (۸) و «الکفایة» (۹) و «الذخیرة» (۱۰) و «المستند» (۱۱) و «الجواهر» (۱۲) ومحکی «المفاتیح» (۱۳) وشرحه، وغیرها. والأصل فی ذلک النصوص المستفیضة:

منها: الصحیح الذی رواه الشیخ رحمه الله بإسناده عن موسی بن القاسم عنصفوان، وابن أبی عمیر عن ابن مسکان عن الحلبی عن أبی عبداللّٰه علیه السلام قال:

قلت: رجل طاف بالبیت فاختصر (۱۴) شوطاً واحداً فی الحِجْر، قال: یعید ذلک الشوط (۱۵). ورواه الصدوق بإسناده عن ابن مسکان أنّه قال: یعید

۱– ۱ «ذخیرة المعاد»: ۶۲۸.

۲– ۲ «جواهر الکلام» ۱۹: ۲۹۲.

۳– ۳ «الحدائق الناضرة» ۱۶: ۱۰۴.

۴– ۴ «تذکرة الفقهاء» ۸: ۹۲، المسألة ۴۵۸.

۵– ۵ «مجمع الفائدة» ۷: ۷۹.

۶– ۶ «الخلاف» ۲: ۳۲۴، المسألة ۱۳۲.

۷– ۷ «غنیة النزوع»: ۱۷۲.

۸– ۸ «ذکری الشیعة» ۳: ۱۷۰.

۹– ۹ «کفایة الأحکام»: ۶۵.

۱۰– ۱۰ «ذخیرة المعاد»: ۶۲۸.

۱۱– ۱۱ «مستند الشیعة» ۲: ۲۲۴.

۱۲– ۱۲ جواهر الکلام» ۱۹: ۲۹۲.

۱۳– ۱۳ «مفاتیح الشرائع» ۱: ۳۶۹.

۱۴– ۱۴ قال الاستاذ آیة اللّٰه حسن زاده آملی حفظه اللّٰه: «اختصر الطریق أی سلک أقربه، یعنی أنّه طاف بالبیت فقطولم یطف بالحِجْر بل أخرجه عن الطواف» «دروس معرفة الوقت والقبلة»: ۵۱۵.

۱۵– ۱۵ «تهذیب الأحکام» ۵: ۱۰۹، ح ۳۵۳، باب الطواف، ح ۲۵.

ص: ۶۳

الطواف الواحد (۱).

ومنها: الصحیح علی الصحیح علی الصحیح الذی رواه الکلینی رحمه الله عن علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن ابن أبی عمیر عن حفص بن البختری عن أبی عبداللّه علیه السلام فی الرجل یطوف بالبیت فیختصر فی الحِجْر. قال: یقضی (۲) ما اختصر من طوافه (۳).

ومنها: الصحیح الذی رواه هو رحمه الله عنه عن أبیه عن ابن أبی عمیر عن معاویة بن عمار عن أبی عبداللّه علیه السلام. قال: من اختصر فی الحِجْر فی الطواف فلیعد طوافه من الحَجَر الأسود (۴).

ومنها: ماروا‌ه الشیخ رحمه الله بإسناده عن الحسین بن سعید عن إبراهیم بن سفیان قال: کتبت إلی أبی الحسن الرضا علیه السلام: امرأة طافت طواف الحجّ، فلمّا کانت فی الشوط السابع اختصرتْ، فطافت فی الحِجْر وصلّت رکعتی الفریضة. وسعت وطافت طواف النساء، ثمّ أتت منی فکتب علیه السلام: تعید (۵).

ومنها: ما رواه فی المستدرکات عن «دعائم الاسلام» عن أبی جعفر محمّد بن علیّ علیهما السلام أنّه قال: فی الطواف من وَراء الحِجْر، ومَن دخل الحِجْر أعاده (۶).

ومنها: ماروا‌ه فیه عنه علیه السلام قال: «والشوط من الرکن الأسود دائراً بالبیت

۱- ۱ «الفقیه» ۲: ۲۴۹، ح ۱۱۹۷، باب مایجب علی من اختصر شوطاً فی الحِجْر، ح ۱.

۲- ۲ قال الاستاذ: «یقضی ما اختصر فی طوافه من الحجر الأسود إلی الحجر الأسود مدخلًا الحِجْر فی الطواف» «دروس معرفة الوقت والقبلة»: ۵۱۵.

۳- ۳ «الکافی» ۴: ۴۱۹، باب من طاف واختصر فی الحِجْر، ح ۱.

۴- ۴ «الکافی» ۴: ۴۱۹، باب من طاف واختصر فی الحِجْر، ح ۲.

قال الاستاذ: «إنّما قال من الحَجَر الأسود؛ إلی الحَجَر الأسود لئلا یتوهم إعادة ما اختصر من ابتداء الحِجْر إلی انتهائه فقط» «دروس معرفة الوقت والقبلة»: ۵۱۶.

۵- ۵ «الفقیه» ۲: ۲۴۹، ح ۱۱۹۹، باب مایجب علی من اختصر شوطاً فی الحِجْر، ح ۳.

قال الاستاذ: «یعنی تعید الشوط السابع فقط؛ لا جمیع الأشواط الماضیة التی أدخلت الحِجْر فی الطواف فیها...» «دروس معرفة الوقت والقبلة»: ۵۱۶.

۶- ۶ «دعائم الإسلام» ۱: ۳۱۴.

ص: ۶۴

والحِجْر إلی الرکن الأسود الذی ابتدأ منه» (۱) إلی غیر ذلک من الأخبار التی لا یبقی معها إشکال.

فائدة: قال فی «المسالک»: «الإجماع واقع من المسلمین علی أنه لیس خارج الحِجْر شیء آخَر یجب الخروج عنه، فیجوز الطواف خلفه ملاصقاًبحائطه من جمیع الجهات وإنّما نبّهنا علی ذلک؛ لأنّه قد اشتهر بین العامّهٔ هناک اجتناب کل ما لا أصل له فی الدین» (۲). انتهی.

وأمّا أنّ الحِجْر هل هو من الکعبهٔ أم لا؟

فقد وقع الخلاف فیه بین أصحابنا فحکی فی «الدروس» (۳) عن الصدوق رحمه الله القطع بعدم کونه منها. وهو الذی أفتی به جُلُّ متأخّری المتأخرین (۴) وأفتی العلامهٔ رحمه الله فی «التذکرهٔ» (۵) بکونه منها حیث علّل عدمصحّهٔ طواف من طاف داخل الحِجْر بأنّه یکون ماشیاً فی البیت. وحکی ذلک عن «النهایهٔ» (۶)، و «المنتهی» (۷). وفی «الدروس» (۸): أنّه المشهور. وفی «الذکری» (۹): إنّ ظاهر الأصحاب (۱۰) أنّ الحِجْر من الکعبهٔ بأسره.

۱- ۱ «دعائم الإسلام» ۱: ۳۱۴.

۲- ۲ «مسالک الأفهام» ۲: ۳۳۳.

۳- ۳ «الدروس الشرعیهٔ» ۱: ۳۹۴.

۴- ۴ راجع «مدارک الأحکام» ۸: ۱۲۸- ۱۲۹.

۵- ۵ «تذکرهٔ الفقهاء» ۸: ۹۱، المسألهٔ ۴۵۸.

۶- ۶ «نهایهٔ الإحکام» ۱: ۳۹۲.

۷- ۷ «منتهی المطلب» ۲: ۶۹۱.

۸- ۸ «الدروس الشرعیهٔ» ۱: ۳۹۴.

۹- ۹ «ذکری الشیعهٔ» ۳: ۱۶۹.

۱۰- ۱۰ کالشیخ فی «المبسوط» ۱: ۳۵۷، والقاضی فی «المهذّب» ۱: ۲۳۳، والمحقق فی «الشرائع» ۱: ۲۶۷.

ص: ۶۵

وقـد اسـتغرب جمع من الأواخر ذلك من الشـهيد رحمه الله لخلوّ كلمات من قبل العلّامـة عن التعرّض للمسألة فضـلًا عن الفتوى بكونه منها. وصرّح فى «الكفاية» (۱) و «الذخيرة» (۲) و «الحدائق» (۳) بعدم الوقوف فى ذلك على رواية.

وأقول: ظنّى أنّ منشأ ماسـمعته من الشـهيد رحمه الله ما مرّ من اتفاقهم على لزوم إدخاله فى الطواف. ولكنّك خبير بعـدم الملازمة بين لزوم إدخاله فى الطواف وبين كونه من الكعبة. وعلى كلّ حالٍ فتظهر ثمرة النزاع فى مقامين:

أحدهما: كفاية اسـتقبال الحِجْر فى الصـلاة على وجه لا يسـتقبل البناء الموجود الآن بناءً على القول الثانى لكونه من الكعبة دون القول الأوّل كما هو ظاهر؛ ولذا حكى عن العلّامة فى «النهاية» (۴) الجزم بالكفاية.

ثانيهما: أنّه على الأوّل لا يجوز البُعد عنه مالم يتجاوز ستّة وعشرين ذراعاً ونصفاً.

توضـيح ذلك أنّ من جملـة شروطصـحّة الطواف عدم التباعد عن البيت فى جميع الجوانب فى الطواف أزيد ممّا بين البيت وبين مقام إبراهيم عليه السـلام؛ لما رواه الكلينى رحمه الله عن محمّـد بن يحيى وغيره عن محمّد بن يحيى وغيره عن محمّد بن أحمد عن محمّد بن عيسـى عن ياسـين الضرير عن حريز بن عبداللّٰه عن محمّد بن مسلم قال: «سألته عن حدّ الطواف بالبيت الذى مَن خرج منه لم يكن طائفاً بالبيت، قال: كان الناس على عهـد رسول اللّٰهصـلى الله عليه و آله يطوفون بالبيت والمقام، وأنتم اليوم تطوفون مابين المقام وبين البيت، فكان الحد من موضع المقام اليوم فمن جازه فليس بطائف، فالحد قبل اليوم واحد قدر ما بين المقام وبين البيت من نواحى

۱- ۱ «كفاية الأحكام»: ۶۵.

۲- ۲ «ذخيرة المعاد»: ۶۲۸.

۳- ۳ «الحدائق الناضرة» ۱۶: ۱۰۵.

۴- ۴ «نهاية الإحكام» ۱: ۳۹۲.

ص: ۶۶

البیت کلّها، فمن طاف فتباعد من نواحیه أکثر من مقدار ذلک کان طائفاً بغیر البیت بمنزلة مَن طاف بالمسجد؛ لأنّه طاف فی غیر حدٍّ ولا طواف له» (۱) الخبر.

ومن الوجدانی أنّ بین المقام والبیت ستّاً وعشرین ذراعاً ونصفاً تقریباً.

وعرض حِجْر إسماعیل علیه السلام عشرون ذراعاً تقریباً. فعلی القول الأوّل لا یجوز التباعد فی الطواف بأزید من ستّة أذرع ونصف تقریباً. وعلی القول الثانی یجوز لکونه من البیت. وإذ قد عرفتَ ذلک فاعلم أنّ حجّة الصدوق رحمه الله ومن تبعه عدّة من الأخبار:

فمنها: الصحیح الذی رواه الکلینی رحمه الله عن محمّد بن یحیی عن أحمد بن محمّد عن الحسین بن سعید عن فضالة بن أیوب عن معاویة بن عمّار قال: سألت أباعبداللّٰه علیه السلام عن الحِجْر أمِن البیت هو، أو فیه شیء من البیت؟ قال: لا ولاقلامة ظفر، ولکن إسماعیل دفن أُمّه فیه فکره أن توطأ فحجّر علیه حجراً، وفیه قبور أنبیاء (۲).

ومنها: الحسن الذی رواه هو رحمه الله عنه عن أحمد بن محمّد عن علیّ بن النعمان عن سیف بن عمیرة عن أبی بکر الحضرمی عن أبی عبداللّٰه علیه السلام قال: إنّ اسماعیل دفن أمّه فی الحِجْر وحجره علیها؛ لئلّا یوطأ قبر أمّ إسماعیل فی الحجر (۳).

ومنها: مارواه هو رحمه الله عن بعض أصحابنا عن ابن جمهور عن أبیه عن محمّد بن سنان عن المفضل بن عمر عن أبی عبداللّٰه علیه السلام قال: الحِجْر بیت إسماعیل علیه السلام. وفیه قبر هاجر وقبر إسماعیل (۴).

ومنها: مارواه هو رحمه الله عن عدّة من أصحابه عن سهل بن زیاد عن محمّد بن

۱- ۱ «الکافی» ۴: ۴۱۳، باب حد موضع الطواف، ح ۱؛ «تهذیب الأحکام» ۵: ۱۰۸، ح ۳۵۱، باب الطواف، ح ۲۳.

۲- ۲ «الکافی» ۴: ۲۱۰، باب حج إبراهیم وإسماعیل وبنائهما البیت ومن ولی البیت بعدهما علیهما السلام، ح ۱۵.

۳- ۳ «الکافی» ۴: ۲۱۰، باب حج إبراهیم واسماعیل و...، ح ۱۳.

۴- ۴ «الکافی» ۴: ۲۱۰، باب حج إبراهیم واسماعیل و...، ح ۱۴.

ص: ۶۷

الوليد شباب الصيرفى عن معاوية بن عمّار قال أبو عبداللَّه عليه السلام: دفن فى الحِجْر ممّا يلى الركن الثالث عذارى بنات إسماعيل رحمه الله (۱).

ومنها: مارواه الصدوق رحمه الله عن النبيصلى الله عليه و آله والائمّة عليهم السلام قال: «صار الناس يطوفون حول الحِجْر ولايطوفون فيه؛ لأنّ أمّ إسماعيل دفنت فى الحِجْر، ففيه قبرها فطيف كذلك لئلّا يوطأ قبرها» (۲). قال: «وروى أنّ فيه قبور الأنبياء عليهما السلام وما فى الحِجْر شىءٌ من البيت ولاقلامة ظفر» (۳). قال: «وروى أنّ إبراهيم عليه السلام لما قضى مناسكه أمره اللَّه بالانصراف فانصرف وماتت أمّ إسماعيل عليه السلام فدفنها فى الحِجْر، وحجر عليها لئلا يوطأ قبرها» (۴).

ومنها: مارواه هو رحمه الله فى محكى «العلل» عن أبيه عن سعد بن عبداللَّه عن أحمد ابن محمّد بن عيسى عن أحمد بن محمّد بن أبى نصر عن أبان بن عثمان عن أبى بصير عن أبى جعفر وأبى عبداللَّه عليهما السلام فى حديث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام قال: «... وتوفى إسماعيل بعده وهو ابن ثلاثين ومائة سنة فدفن فى الحِجْر مع أمّه» (۵).

ومنها: ماروا‌ه إبن إدريس فى مستطرفات السرائر نقلًا عن نوادر أحمد بن محمّد بن أبى نصر البزنطى عن الحلبى عن أبى عبداللَّه عليه السلام قال: سألته عن الحِجْر فقال: إنّكم تسمّونه الحطيم وإنّما كان لغنم إسماعيل عليه السلام وإنّما دفن فيه أُمّه وكره أن يوطأ قبرها فحجر عليه وفيه قبور أنبياء (۶). إلى غير ذلك من الأخبار.

حُجّة العلّامة ومَنْ وافقه أمور:

۱- ۱ «الكافى» ۴: ۲۱۰، باب حج إبراهيم وإسماعيل و...، ح ۱۶.

۲- ۲ «الفقيه» ۲: ۱۲۵- ۱۲۶، ح ۵۴۱، باب علل الحج، ح ۳.

۳- ۳ «الفقيه» ۲: ۱۲۶، ح ۵۴۲، باب علل الحج، ح ۴.

۴- ۴ «الفقيه» ۲: ۱۴۹، ح ۶۵۸، باب نكت فى حج الأنبياء والمرسلينصلوات اللَّه عليهم أجمعين، ح ۸.

۵- ۵ «علل الشرائع»: ۳۸، باب العلة التى من أجْلها تمنى إبراهيم الموت بعد كراهته له، ح ۱.

۶- ۶ أورده الاستاذ دام ظله فى «دروس معرفة الوقت والقبلة»: ۵۱۸.

ص: ۶۸

فمنها: ماتمسّک به فی «الذکری (۱)» من أنّ الطواف یجب خارجه؛ فلولا کونه من الکعبة لجاز الطواف بینه وبین الکعبة.

وفیه: أنّ حکم الطواف تعبّدی لا یدلّ علی الجزئیّة کما هوصریح ما مرّ من الأخبار.

ومنها: ما روته العامّة مِنْ أنّ عائشة قالت: «نذرتُ أنْ أُصلّی رَکعتَیْن فی البَیْت، فقال النبیصلی الله علیه و آله:صلّی فی الحِجْر؛ فإنّ ستة أذرع منه من البیت (۲)». استدل به بعضهم (۳).

وفیه: مضافاً إلی قصور السند بالإرسال والضعف أیُّ ضعف أنّه ملاک المدّعی المستدل وهو کون جمیعه من البیت.

ومنها: ما تمسّک به فی «الذکری (۴)» من دلالة النقل علی «أنّه کان منها فی زمن إبراهیم علیه السلام وإسماعیل علیه السلام إلی أن بنت قریش الکعبة فأعوزتهم الآلات فاختصروها بحذفه، وکان کذلک فی عهد النبیصلی الله علیه و آله، ونقل عنه الاهتمام بإدخاله فی بناء الکعبة، وبذلک احتجّ ابن الزبیر حیث أدخَله فیها، ثُمّ أخرجه الحَجّاج بعده وردّه إلی ما کان».

وقریب منه ما [فی] «التذکرة (۵)» من أنّ البَیْتَ «کان لاصقاً بالأرض، وله بابان شرقی وغربی، فَهَدَمَه السیل قبل مبعث رسول اللّهصلی الله علیه و آله بعشر سنین، وأعادت قریش عمارته علی الهیئة التی هو علیها الیوم، وقصرت الأموال الطیّبة والهدایا والنذور عن عمارته، فترکوا من جانب الحِجْر بعض البیت [...] وخلّفوا الرکنین

۱- ۱ «ذکری الشیعة» ۳: ۱۷۰.

۲- ۲ أورده الرافعی فی «فتح العزیز» ۷: ۲۹۶.

۳- ۳ کابن قدامة المقْدسی فی «المغنی» ۵: ۲۳۰، المسألة ۶۱۸.

۴- ۴ «ذکری الشیعة» ۳: ۱۶۹- ۱۷۰.

۵- ۵ «تذکرة الفقهاء» ۸: ۸۶، المسألة ۴۵۳.

ص: ۶۹

الشاميين عن قواعد إبراهيم عليه السلام وضيّقوا عرض الجدار من الركن الأسود إلى الشامى الذى يليه، فبقى من الأساس شبه الدكان مرتفعاً وهو الذى يسمى:

الشاذروان» انتهى.

ورُدَّ بما سمعتَ من أخبارنا المصرّحة بعدم كونه منها وبعدم الوقوف على هذا النقل فى أخبارنا وبه اعترف جملة من علمائنا، بل الثابت فى نصوصنا المشتملة على قصّة هدم الكعبة خلاف ذلك مثل ما رواه فى الكافى عن على بن إبراهيم وغيره بأسانيد مختلفة رفعوه. قالوا: إنّما هدمتْ قريش الكعبة؛ لأنّ السيل كان يأتيهم من أعلى مكّة فيدخلها فانصدعت وسرق من الكعبة غزال من ذهب رجلاه من جوهر وكان حائطها قصيراً، وكان ذلك قبل مبعث النبيصلى الله عليه و آله بثلاثين سنة (۱) فأرادت قريش أن يهدموا الكعبة ويبنوها ويزيدوا فى عرصتها، ثمّ أشفقوا من ذلك وخافوا إن وضعوا المعاول أن تنزل عليهم عقوبة، فقال الوليد بن المغيرة: دعونى أبدأ فإن كان للّهرضًى لم يصبنى شىءٌ وإن كان غير ذلك كففنا، فصعد على الكعبة وحرّك منه حَجَراً، فخرجت عليه حيّة وانكسفت الشمس، فلمّا رأوا ذلك بكوا وتضرّعوا وقالوا: اللهم إنّا لا نريد إلا الإصلاح فغابت عنهم الحيّة فهدموه ونحّوا حجارته حوله حتى بلغوا القواعد التى وضعها إبراهيم عليه السلام فلمّا أرادوا أن يزيدوا فى عرصته وحركوا القواعد التى وضعها إبراهيم عليه السلام أصابتهم زلزلة شديدة وظلمة فكفّوا عنه، وكان بنيان إبراهيم عليه السلام الطول (۲) ثلاثون ذراعاً والعرض اثنان وعشرون ذراعاً والسمك تسعة أذرع، فقالت قريش: نزيد فى سمكها فبنوها، فلمّا

۱- ۱ قال العلامة المجلسى رحمه الله: «هذا مخالف لما هو المشهور بين أرباب السير، أنّ هذا البناء للكعبة كان فى خمس‌وثلاثين من مولدهصلى الله عليه و آله فيكون قبل البعثة بخمس سنين، وحمله على أنّ عمره فى ذلك الوقت كان ثلاثين سنة بعيد» «مرآة العقول» ۱۷: ۵۷.

۲- ۲ «الطول» مرفوع بالابتداء واللام لعهد فهو مكان العائذ أى طوله، والجملة خبر كان» «مرآة العقول» ۱۷: ۵۸.

ص: ۷۰

بلغ البناء إلى موضع الحَجَر الأسود تشاجرت قریش فی وضعه فقال کل قبیلة:

نحن أولى به، نحن نضعه، فلمّا کثر بینهم تراضوا بقضاء مَن یدخل من باب بنی شیبة، فطلع رسول اللَّهصلى الله علیه و آله فقالوا: هذا الأمین قد جاء، فحکموه فبسط رداءه وقال بعضهم: کساء طارونی (۱) کان له، ووضع الحَجَر فیه ثمّ قال: یأتی من کلّ ربع من قریش رجل فکانوا عتبة بن ربیعة من عبدشمس، والأسود بن المطّلب من بنی أسد بن عبدالعزّى، وأبو حذیفة بن المغیرة من بنی مخزوم، وقیس بن عدی من بنی سهم، فرفعوه فوضعه النبیصلى الله علیه و آله فی موضعه» (۲) الحدیث.

ونحوه وغیره وإن کان أخصر، وکلّها ظاهرة فی أنّ البناء وقع على الأساس القدیم الذی کان من زمان إبراهیم علیه السلام لا أنّهم نقصوا منه بحیث خرج منه شیءٌ فی الحِجْر، فتحصل من ذلک کلّه أنّ خروجه عن الکعبة هو الذی ینبغی الإذعان والفتوى به واللَّه العالم.

فهرس المصادر

۱- «الاثناعشریة» للشیخ العلامة عبداللَّه بن محمد حسن المامقانی (۱۲۹۰- ۱۳۵۱ ق). النجف الأشرف، المطبعة المرتضویة، ۱۳۴۴ ق.

۲- «الاستبصار فیما اختلف من الأخبار» لأبی جعفر شیخ الطائفة محمّد بن الحسن المعروف بالطوسی (۳۸۵- ۴۶۰). إعداد السید حسن الموسوی الخرسان. الطبعة الثالثة، بیروت، دار الأضواء، ۱۴۰۶ ه/ ۱۹۸۵ م.

۳- «تذکرة الفقهاء» للعلّامة الحلّی جمال الدین حسن بن یوسف المطهّر (۶۴۸- ۷۲۶). تحقیق مؤسسة آل البیت: لإحیاء التراث. الطبعة الأُولى، ۱۴۱۷ ه.

۴- «تنقیح المقال فی علم الرجال» للشیخ عبداللَّه بن محمّد حسن المامقانی

۱- ۱ «الطُرْنُ بالضم الخز، والطارونی ضَرْبٌ منه» «القاموس المحیط» ۴: ۳۴۶، «الطُرْن».

۲- ۲ «الکافی» ۴: ۲۱۷- ۲۱۸، باب ورود تبّع وأصحاب الفیل البیت و...، ح ۴.

ص: ۷۱

(۱۲۹۰– ۱۳۵۱). النجف الأشرف، المطبعة المرتضوية، ۱۳۵۲ ه. ق.

۵– «تهذيب الأحكام» لأبى جعفر شيخ الطائفة محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسى (۳۸۵– ۴۶۰) إعداد السيد حسن الموسوى الخرسان. الطبعة الثالثة، بيروت، دار الأضواء، ۱۴۰۶ ه/ ۱۹۸۵ م.

۶– «جواهر الكلام فى شرح شرائع الاسلام» للشيخ محمد حسن بن باقر النجفى (۱۲۶۶ م). إعداد عدة من الفضلاء. الطبعة السابعة، بيروت، دار إحياء التراث العربى، وطهران، دار الكتب الإسلامى، ۱۳۹۸ ه.

۷– «الحدائق الناضرة فى أحكام العترة الطاهرة» للشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدارنى البحرانى (۱۱۰۷– ۱۱۸۶). قم، مؤسسة النشر الإسلامى.

۸– «الخلاف» لأبى جعفر شيخ الطائفة محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسى (۳۸۵– ۴۶۰). تحقيق عدة من الفضلاء. الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامى، ۱۴۰۷ ه.

۹– «الدروس الشرعية فى فقه الإمامية» للشهيد الأوّل شمس الدين محمد بن مكى العاملى (ت ۷۸۶). قم، مؤسسة النشر الاسلامى، ۱۴۱۲ ه.

۱۰– «دروس معرفة الوقت والقبلة» للشيخ حسن زاده الآملى، الطبعة الأُولى، قم، مؤسسة النشر الاسلامى، ۱۴۰۶ ه/ ۱۳۶۴ ش.

۱۱– «دعائم الإسلام» لأبى حنيفة النعمان بن محمد بن أحمد بن حيونى التميمى المغربى، تحقيق آصف بن على أصغر فيضى. القاهرة، دار المعارف، ۱۳۸۳ ه.

۱۲– «ذخيرة المعاد فى شرح الإرشاد» للشيخ محمد باقر السبزوارى. قم، مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث.

۱۳– «ذكرى الشيعة فى أحكام الشريعة» للشهيد الأول شمس الدين محمد بن مكّى العاملى (ت ۷۸۶). قم، مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث، ۱۴۱۹ ه.

۱۴– «الروضة البهية فى شرح اللمعة الدمشقية» للشهيد الثانى، زين الدين بن على بن أحمد العاملى (۹۱۱– ۹۶۵). إعداد السيد محمدكلانتر، تقديم محمد مهدى الآصفى، قم، دار الهادى للمطبوعات، ۱۴۰۳ ه.

ص: ٧٢

١٥- «السرائر الحاوى لتحرير الفتاوى» لمحمد بن منصور بن أحمد بن إدريس العجلى الحلّى (٥٤٣- ٥٩٨). إعداد مؤسسة النشر الإسلامى، الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامى، ١٤١٠- ١٤١١.

١٦- «شرائع الاسلام فى مسائل الحلال والحرام» للمحقق الحلّى، نجم الدين جعفر بن حسن بن يحيى بن سعيد الهذلى (٦٠٢- ٦٧٦) إعداد عبدالحسين محمدعلى البقال، الطبعة الثانية، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٣ ه/ ١٩٨٣ م.

١٧- «علل الشرائع» لأبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمى المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١). تقديم السيد محمدصادق بحر العلوم. الطبعة الأولى، النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، ١٣٨٦ ه/ ١٩٦٦ م.

١٨- «غنية النزوع إلى علمى الأصول والفروع» لأبى المكارم السيد حمزة بن على ابن زهرة الحسينى المعروف بابن زهرة (٥١١- ٥٨٥). تحقيق الشيخ ابراهيم البهادرى، قم، مؤسسة الإمام الصادق ٧، ١٤١٧.

١٩- «فوائد القواعد» للشهيد الثانى «قواعد الأحكام فى معرفة الحلال والحرام».

٢٠- «فتح العزيز فى شرح الوجيز». لأبى القاسم عبدالكريم بن محمّد بن عبدالكريم الرافعى القزوينى (٥٥٧- ٦٢٣). المطبوع مع «المجموع شرح المهذّب». بيروت، دار الفكر.

٢١- «الفقيه» لأبى جعفر محمّد بن على بن الحسين بن بابويه القمى المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١). إعداد السيد حسن الموسوى الخرسان. الطبعة السادسة، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٥ ه/ ١٩٨٥ م.

٢٢- «القاموس المحيط والقابوس الوسيط» لأبى طاهر مجدالدين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادى (٧٢٩- ٨١٧). بيروت، دار إحياء التراث العربى، ١٤١٢ ه/ ١٩٩١ م.

٢٣- «قواعد الأحكام فى معرفة الحلال والحرام» للعلامة الحلّى جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهّر (٦٤٨- ٧٢٦) المطبوع مع «فوائد القواعد» تحقق السيد أبو الحسن المطلبى، قم، مكتب الإعلام الإسلامى، ١٤١٩ ه/ ١٣٧٧ ش.

ص: ۷۳

۲۴- «الكافى» لأبى جعفر ثقة الاسلام محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكلينى الرازى (ت ۳۲۹). تحقيق على أكبر الغفارى. بيروت، دار الأضواء.

۲۵- «كشف اللثام عن قواعد الأحكام» للفاضل الهندى، بهاء الدين محمد بن حسن ابن محمّد الإصفهانى (۱۱۶۲- حوالى ۱۱۳۵). قم، مؤسسة النشر الإسلامى، ۱۴۱۶.

۲۶- «كفاية الأحكام» للمولى محمّد باقر بن المولى محمّد مؤمن الشريف الخراسانى السبزوارى (۱۰۱۷- ۱۰۹۰).

۲۷- «المبسوط» لأبى جعفر شيخ الطائفة محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسى (۳۸۵- ۴۶۰). إعداد السيد محمّد تقى الكشفى ومحمّد باقر البهبودى. الطبعة الثانى، طهران، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ۱۳۸۷- ۱۳۹۳.

۲۸- «مجمع الفائدة والبرهان فى شرح إرشاد الأذهان» للمحقق الأردبيلى أحمد بن محمّد (ت ۹۹۳). إعداد عدّة من العلماء. الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامى، ۱۴۰۲- ۱۴۱۴.

۲۹- «مختار الصحاح». لمحمّد بن أبى بكر بن عبدالقادر الرازى (كان حيّاً فى ۶۶۶).

تحقيق الدكتور مصطفى ديب البُغا. الطبعة الثانية، دمشق، اليمامة، ۱۴۰۷ ه/ ۱۹۸۷ م.

۳۰- «مدارك الأحكام فى شرح شرائع الاسلام» للسيد محمد بن على الموسوى العاملى (۹۵۶- ۱۰۰۹). تحقيق ونشر، قم، مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث، ۱۴۱۰.

۳۱- «مرآة العقول فى شرح أخبار آل‌الرسول» للعلامة محمّدباقر بن محمد تقى المجلسى (۱۰۳۷- ۱۱۱۰). إعداد هاشم الرسولى والسيد محسن الحسينى الأمينى. الطبعة الأُولى، طهران، دار الكتب الإسلامية، ۱۴۰۴- ۱۴۱۱/ ۱۳۶۳- ۱۳۶۹ ه ش.

۳۲- «مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام». للشهيد الثانى، زين الدين بن على ابن أحمد العاملى (۹۱۱- ۹۶۵). قم، مؤسسة المعارف الإسلامية، ۱۴۱۳.

۳۳- «مستند الشيعة فى أحكام الشريعة» للمولى أحمد بن محمد مهدى النراقى

ص: ۷۴

(۱۱۸۵– ۱۲۴۵). طهران، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ۱۳۹۶.

واستفدنا أيضاً من «مستند الشيعة» الطبعة الحديثة: تحقيق ونشر قم المقدسة، مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث، ۱۴۱۵.

۳۴– «معارف الرجال فی تراجم العلماء والأدباء». للشيخ محمّد حرز الدين. نجف، مطبعة الآداب، ۱۳۸۴/ ۱۹۶۴ م.

۳۵– «المغنی». لأبی محمّد عبداللَّه بن أحمد بن محمّد بن قدامة المَقْدسی الحنبلی (۵۴۱ – ۶۲۰). تحقيق الدكتور عبداللَّه بن عبدالمحسن التركی، الدكتور عبدالفتاح محمّد الحلو. القاهرة، هجر، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸ م.

۳۶– «مفاتيح الشرائع». لمحمد بن المرتضی المولی محسن المعروف بالفيض الكاشانی (۱۰۰۷– ۱۰۹۱). تحقيق السيد مهدی الرجائی، قم، مجمع الذخائر الإسلامی، ۱۴۰۱.

۳۷– «المقنعة». لأبی عبداللَّه محمد بن محمد بن نعمان البغدادی المعروف بالشيخ المفيد (۳۳۶– ۴۱۳). قم، مؤسسة النشر الإسلامی، ۱۴۱۰.

۳۸– «منتهی المطلب فی تحقيق المذهب». للعلامة الحلّی جمال الدين حسن بن يوسف ابن المطهّر (۶۴۸– ۷۲۶). الطبعة الحجرية، ايران، ۱۳۲۲.

۳۹– «المهذّب». للقاضی ابن البراج أبی القاسم عبدالعزيز بن نحرير بن عبدالعزيز (حوالی ۴۰۰– ۴۸۱). إعداد عدة من الفضلاء. الطبعة الأولی، قم، مؤسسة النشر الإسلامی ۱۴۰۷– ۱۴۱۳.

۴۰– «نهاية الإحكام فی معرفة الأحكام». للعلامة الحلّی جمال الدين حسن بن يوسف بن المطهّر (۶۴۸– ۷۲۶). إعداد السيد مهدی الرجائی. الطبعة الأولی، بيروت، دار الأضواء، ۱۴۰۶– ۱۹۸۶ م.

۴۱– «وسائل الشيعة». للشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملی (۱۰۳۳– ۱۱۰۴). تحقيق الشيخ عبدالرحيم الربانی الشيرازی. بيروت، دار إحياء التراث العربی.

۴۲– «الوسيلة إلی نَيْل الفضيلة». لعماد الدين أبی جعفر محمّد بن علی الطوسی المعروف بابن حمزة (القرن ۶). إعداد الشيخ محمّد الحسون. الطبعة الأُولی، قم، مكتبة آية اللَّه المرعشی، ۱۴۰۸.

ص: ۷۵

«لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ (۱)

محسن الأسدی

الحجّ دعوةٌ ربّانيّة عظيمة، ونداءٌ سماویّ خالد، ومؤتمرٌ إسلامیّ كبير، وتظاهرةٌ إيمانية رائعة، تضمّ بينصفوفها أجناساً متعدّدة، ومذاهب وطبقات وقوميّات شتّى، جميعاً على موعد واحد، وواد مقدّس، وحرم آمن، وبيت مبارك تهوى إليه أفئدة من الناس.

إنّها جموع مؤمنة، هدفها واحد، مناسكها واحدة، هتافها واحد، تلبيتها واحدة، عبودية خالصة للّهوحده لا شريك له، تسليم وولاء للّهوحده لا شائبة فيه..

حقّاً هی حركة جماهيرية لا مثيل لها، تترك بصماتها وآثارها فی النفوس، فتزيد المؤمنين إيماناً وتسليماً، فيما تزيد الكافرين عجباً ورهبةً وخذلاناً.

عجباً!! إنّها عظمة الحج

يفيض على الأقطار يُمناً ورحمةً ويزأر فی أذن العتاة ويصخب

صفٌّ مرصوص، وبنيان متماسك يشدّ بعضه بعضاً فی فريضة هی محور عبادیّ تلتقی عنده منافع دنيويّة ومنافع أخروية، وتتداخل فيما بينها فی أكثر من موقع ومفصل فی هذه الفريضة المباركة.

إنّ الحجّ محراب عبادة ما أعظمه!

وموسم تجارة ما أنفعه!

ومؤتمر إخاء وتوادٍّ وتعارف ومسؤولية ما أروعه!

إنّه آيةٌ مباركة بل آيات مباركة من سورةٍ مباركة، جاءت لتذكر حِكَماً خمساً للأذان الذی تحمله أو لإتيان الناس هذا الموسم وحضورهم فيه، فكانت المنافع على تفاوت ألوانها وتعدد أشكالها واختلاف أنواعها أُولى هذه الحِكَم. أو هی كما سمّاها بعضهم علّة إتيان الناس الحجّ أو علّة التأذين به (۲).

قال تعالى: وَأَذِّنْ فِی النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِی أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ* ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (۳).

لقد اكتفى الرازی فی تفسيره بأن جعل قوله تعالى: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ حكمةَ الأمر بالحجّ، حيث قال:

وأمّا قوله: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِی أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ففيه مسائل:

المسألة الاولى: أنّه تعالى لمّا أمر بالحجّ فی قوله: وَأَذِّنْ فِی النَّاسِ بِالْحَجِّ...

ذكر حكمة ذلك الأمر فی قوله: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ (۴).

۱- ۱ ابن عاشور، تفسير التحرير والتقرير فی تفسير الآية.

۲- ۱ ابن عاشور، تفسير التحرير والتقرير فی تفسير الآية.

۳- ۲ سورة الحجّ: ۲۷- ۲۸.

۴- ۳ التفسير الكبير للرازی ۲۳: ۲۸ فی تفسير الآية.

ص: ۷۷

فيما ذكرصاحب الأساس فى التفسير أنّ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ أولى الحِكم الخمس التى ذكرت متعاقبة فى الآية الكريمة (۱).

إذن يمكن ترتيب هذه الحكم كالتالى حيث إنّها جميعاً تتضـمّن منافع عظيمة وفوائد جليلة سواءً المقطع الأوّل منها: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ أو المقاطع التالية، وترتيبها:

الأولى: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ.

الثانية: وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ.

الثالثة: ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ.

الرابعة: وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ.

الخامسة: وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ.

فشـهود المنافع تتقدّم تكاليف الحجّ أو حكمه، وكأنّ السماء أرادت بهذا أن تتفضّل بعطائها أولًا (حسنة الدُّنيا وحسنة الآخرة) لضيوف الرحمن الذين لبّوا نداءه، تكرّماً منه تعالى ورحمة قبل تكليفهم بأىّ شىء آخر من الأمور التى تعاقبت فى الآية الأولى وفى الآية الثانية.

فلنقف عند هذا المقطع: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ إعراباً ولغةً وفى الروايات وأقوال المفسّرين وبعد هذا عبر بيانٍ عامّ أخير.

الإعراب واللغة

اللّام: لام التعليل. يشهدوا فعل مضارع من الأفعال الخمسة منصوب بأن المضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون.

۱- ۱ الأساس فى التفسير، سعيد حوى، فى تفسير الآية.

ص: ۷۸

منافع: مفعول به منصوب بالفتحة وهو ممنوع من الصرف.

لهم: جار ومجرور.

يقول العلّامة الطباطبائي: اللّام: للتعليل أو الغاية، والجار والمجرور متعلّق بقوله: يأتوك والمعنى يأتوك لشهادة منافعلهم أو يأتوك فيشهدوا منافع لهم ... (۱).

فيما جوّز أبو البقاء تعلّقها بأذّن. وأن تعلّق ب (يأتوك) (۲).

فيما قال ابن العربي في أحكامه: هذه لام المقصود والفائدة التي ينساق الحديث لها، وتنسّق عليه، وأجلّها قوله تعالى: لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً (۳).

وقد تتّصل هذه اللّام بالفعل كما في الآية محلّ البحث، وتتّصل بالحرف كما في قوله تعالى: لئلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ (۴).

يشهدوا: أي يحضروا؛ لأنّ الشهود بمعنى الحضور.

منافع: النفع ضدّ الضرّ، النفع هو الخير وهوما يتوصّل بهالإنسان إلى مطلوبه.

والمنفعة: الفائدة، يقال: هو حاضر النفيعة أي المنفعة والفائدة.

ومنافع: جمع منفعة، كلّ شيء يُنتفع به.

يقول الراغب في مفرداته: النفع يستعان به في الوصول إلى الخيرات، وما يتوصّل به إلى الخير فهو خير، فالنفع خير وضدّه الضرّ، قال تعالى: لَايَمْلِكُونَ لِانفُسِهِمْ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً (۵)

وقال: قُلْ لَاأَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً (۶). (۷).

۱- ۱ الميزان في تفسير القرآن للعلّامة السيد الطباطبائي ۱۴: ۴۰۵ في تفسير الآية.

۲- ۲ إملاء ما منَّ به الرحمن ۲: ۱۴۳.

۳- ۳ سورة الطلاق: ۱۲.

۴- ۴ سورة الحديد: ۲۹.

۵- ۵ سورة الرعد: ۱۶.

۶- ۶ سورة الأعراف: ۱۸۸.

۷- ۷ المفردات للراغب الاصفهاني: ۵۰۲.

ص: ۷۹

تنكير منافع:

ومنافع جاءت نكرةً، وللمفسّرين آراء في هذا، حيث يقول الفخر الرازي في تفسيره: إنّما نكّر المنافع؛ لأنّه أراد منافع مختصّة بهذه العبادة؛ دينية ودنيوية، لا توجد في غيرها من العبادات (۱).

وأمّا البروسوي فقد قال مثل قول الرازي، فتنكيرها؛ لأنّ المراد به نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة لا يوجد في غيرها من العبادات (۲).

وما أجمل ما ذكره النسفي في تفسيره للآية حيث قال: نكرها لأنّه أراد منافع مختصّة بهذه العبادة دينية ودنيوية، لا توجد في غيرها من العبادة، وهذا لأنّ العبادة شرعت للابتلاء بالنفس، كالصلاة والصوم، أو بالمال كالزكاة، وقد اشتمل الحجّ عليهما، مع ما فيه من تحمّل الأثقال، وركوب الأهوال، وخلع الأسباب، وقطيعة الأصحاب، وهجر البلاد والأوطان، وفرقة الأولاد والخلان، والتنبيه على ما يستمر عليه إذا انتقل من دار الفناء إلى دار البقاء، فالحاجّ إذا دخل البادية لا يتكل فيها إلّاعلى عتاده، ولا يأكل إلّامن زاده، فكذا المرء إذا خرج من شاطئ الحياة، وركب بحر الوفاة، لا ينفع وحدته إلّاما سعى في معاشه لمعاده، ولا يؤنس وحشته إلّاما كان يأنس به من أوراده، وغسل من يُحرم وتأهبه ولبسه غير المخيط، وتطيبه مرآة لما سيأتي عليه من وضعه على سريره لغسله وتجهيزه مطيباً بالحنوط، ملفّفاً في كفن غير مخيط، ثمّ المحرم يكون أشعث حيران، فكذا يوم الحشر، يخرج من القبر لهفان، ووقوف الحجيج بعرفات آملين رَغَباً ورهباً، سائلين خوفاً وطمعاً، وهم من بين مقبول ومخذول، كموقف العرصات، لا تكلّم نفس إلّابإذنه، فمنهم شقيّ وسعيد، والإفاضة إلى المزدلفة بالمساء هو السوق لفصل

۱- ۱ التفسير الكبير، للرازي ۲۳: ۲۹ من تفسير الآية.

۲- ۲ روح البيان للبروسوي ۶: ۲۶.

ص: ۸۰

القضـاء، ومنى هـو موقـف المنى للمـذنبين إلى شـفاعة الشـافعين، وحلق‌الرأس والتنظيف كـالخروج من السـيئات بالرحمـة والتخفيف، والبيت الحرام الـذى مَن دخله كان آمناً، من الإيـذاء والقتال، أنموذج لدار السـلام التى هى من نزلها بقى سالماً من الفناء والزوال، غير أنّ الجنّة حفّت بمكـاره النفس العاديـة، كما أنّ الكعبـة حفّت بمتالف الباديـة، فمرحباً بمن جاوز مهالك البوادى شوقاً إلى اللقاء يوم التنادى) (۱) فيما قال الآلوسـى: «منافع» أى عظيمـة الخطر، كثيرة العـدد، فتنكيرها وإن لم يكن فيها تنوين للتعظيم والتكثير، ويجوز أن يكون للتنويع أى نوع من المنافع الدينيـة والدنيويـة، وتعميم المنافع بحيث تشـمل النوعين، وقـد ذكر رواية ابن عبّاس التى سـتأتى وقد أخرجها ابن أبى حاتم (۲).

فيما يقولصاحب تفسير الفرقان: وتنكير «منافع» هو تنكير تعظيم لما يجهل من منافع، فلم يقل «منافعهم» أو «المنافع» لكى لا يُخيّل إليهم أنّها المنافع المعروفـة لديهم، الحاصـلة فى غير ذلك المؤتمر العالمى، وإنّما «منافع لهم» مجهولة لمن لم يأتوا ذلك المشـهد المسـرح، وهى لهم جميعاً، دون المنافع الفرديـة الحاصلة فى كلّ مطرح! (۳).

فمـا أعظم هـذه المنـافع التى اتّسـمت بالخصوصـيـة، وأنّهـا غير متوفّرة فى كـلّ العبادات الاخرى على عظيم منزلتها!! حتّى راح بعضـهم يفاضل بين العبادات قبل أن يحجّ، فلمّا حجّ فضّل الحجّ على العبادات كلّها لما شاهد من تلك الخصائص.

المراد من المنافع:

أوّلًا: فى روايات أهل البيت عليهم السلام:

لقد ذكرت الروايات تفاسير لهذه المنافع، فذهب أكثر هذه الروايات إلى أنّ

۱- ۱ انظر تفسير النسفى، سورة الحجّ الآية ۲۸.

۲- ۲ روح المعانى للآلوسى ۹: ۱۴۴- ۱۴۵.

۳- ۳ الفرقان فى تفسير القرآن، محمد الصادقى ۱۷: ۶۵.

ص: ۸۱

المراد بها هو عموم المنافع؛ المنافع الأخروية والمنافع الدنيوية بكلّ أبعادها ونواحيها، سواء أكانت منافع فردية للشخص نفسه أو لعموم المجتمع. فهی إذن منـافع عامّـة ومحال أن تكون منافع دنيويـة فقط؛ لأنّه لو كان الأمر كـذلك لكانت دعوة الحـجّ منصبّة على تحقيق منافع الـدُّنيا، وأنّها المقصودة بأذان الحـجّ، وهـذا قطعاً غيرصـحيح، فالحـجّ عبادة خالصة للّه‌تعالى، ينتفع فيها الحاجّ أجراً وثواباً وغفران ذنوب، فيما تكون منافع الدُّنيا تابعة لذلک وليست هی المقصود الأوّل فيها.

إلّا أنّ القليل من الروايات ذهب إلی أنّ المقصود بالمنافع هی المنافع الأخروية.

وهذا لا يضرّ فإثبات إحدی المنفعتين كما يقول السيّد الطباطبائی لا ينفی العموم.

ففی الكـافی بإسـناده عن الربيع بن خثيم أنّه قـال: شـهدتُ أبـا عبـداللّه عليه السـلام وهو يُطاف به حول الكعبـة فی محمل وهو شـديد المرض، فكـان كلّمـا بلغ الركن اليمـانیّ أمرهم فوضـعوه بالأـرض، فـأخرج يـده من كوّة المحمـل حتّی يجرّها علی الأرض، ثمّ يقول: ارفعونی.

فلمّا فعل ذلک مراراً فی كلّ شوط قلت له: جعلت فـداک يابن رسول اللّه، إنّ هـذا يشقّ عليک، فقال: إنّی سـمعت اللّه عزّوجلّ يقول: لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ.

فقلت: منافع الدُّنيا أو منافع الآخرة؟

فقال: الكلّ (۱).

فهی منافع غير مختصّة بالدُّنيا دون الآخرة، أو بالآخرة دون الدُّنيا إنّما هی لكلا الدارين.

وهذا أحد أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام وهو هشام بن الحكم يسأله

۱- ۱ وسائل الشيعة للحرّ العاملی، كتاب الحجّ: ۹.

ص: ٨٢

عن الحجّ: ما العلّة التى من أجلها كلّف اللّه العباد بالحجّ والطواف بالبيت؟

قال الإمام عليه السلام: «إنّ اللّه خلق الخلق... وأمرهم بما يكون من أمر الطاعة فى الدين، ومصلحتهم من أمر الدُّنيا، فجعل فيه الاجتماع من الشرق والغرب؛ ليتعارفوا ولينزع كلّ قوم من التجارات من بلد إلى بلد، ولينتفع بذلك المكارى والجمّال، ولتعرف آثار رسول اللَّهصلى الله عليه و آله وتعرف أخباره، ويذكر ولا ينسى.

ولو كان كلّ قوم إنّما يتّكلون على بلادهم وما فيها هلكوا وخربت البلاد، وسقطت الجلب والأرباح وعميت الأخبار ولم تقفوا على ذلك، فذلك علّة الحجّ» (١).

وهناك تعليل آخر للإمام الرضا عليه السلام وهو ما يرويه الفضل بن شاذان حول منافع الحجّ وآثاره الاجتماعية التى يجنيها الفرد والمجتمع فهو يقول:

«إنّما امروا بالحجّ لعلّة الوفادة إلى اللّه عزّوجلّ، وطلب الزيادة، والخروج من كلّ ما اقترف العبد، تائباً ممّا مضى، مستأنفاً لما يستقبل مع ما فيه من إخراج الأموال وتعب الأبدان والاشتغال عن الأهل والولد، وحظر النفس عن اللذّات شاخصاً فى الحرّ والبرد ثابتاً على ذلك دائماً، مع الخضوع والاستكانة والتذلّل مع ما فى ذلك لجميع الخلق من المنافع، لجميع مَن فى شرق الأرض وغربها، ومَن فى البرّ والبحر، ممّن يحجّ وممّن لم يحجّ، من بين تاجر وجالب وبائع ومشترٍ وكاسب ومسكين ومكارٍ وفقير، وقضاء حوائج أهل الأطراف من المواضع الممكن لهم الاجتماع فيه، مع ما فيه من التفقّه ونقل أخبار الأئمّة إلى كلّصقع وناحية كما قال اللّه عزّوجلّ: فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (٢). ليشهدوا منافع لهم (٣).

١- ١ المصدر نفسه.

٢- ٢ سورة التوبة: ١٢٢.

٣- ٣ وسائل الشيعة، كتاب الحجّ: ٧.

ص: ۸۳

حقّاً ليشهدوا منافع لهم، ليحضروا منافع لهم، كلّ جيل بحسب ما تقتضيه ظروفه وتطوّرها وحاجاته وتجارته وهو بعض ممّا أراده سبحانه وتعالى بالحجّ منذ أن فرضه على المسلمين، ومنذ أن أمر إبراهيم عليه السلام أن يؤذّن به في الناس.

إذن فالمنافع على ضوء هذه الروايات عامّة تشمل منافع الدُّنيا ومنافع الآخرة، إلّاأنّ هناك رواية عن الإمام أبي جعفر الباقر يذكر فيها أنّ المنافع هي:

منافع الآخرة وهي العفو والمغفرة، وهو المروي عن سعيد بن المسيب وعطية العوفي أيضاً (۱). وهذه لا تضرّ العموم أو لا تنفيه كما ذكر سابقاً.

ثانياً: عند المفسِّرين

اختلف المفسِّرون في المراد من المنافع، فعن الشيخ الطبرسي في تفسيره:

فالذي يُروى عن الإمام الباقر عليه السلام هو منافع الآخرة وهي العفو والمغفرة، وهو المروي عن سعيد بن المسيب وعطية العوفي.

وعندئذ يكون المعنى: ليحضروا ما ندبهم اللَّه إليه ممّا فيه النفع لهم في الآخرة (۲).

إذن فالمنافع هنا قد خُصّت بالمنافع الأخروية فقط.

فيما ذهب ابن عبّاس في قولٍ له وسعيد بن جبير إلى أنّها التجارات، وفي قول ثانٍ لابن عبّاس: أسواق كانت، ما ذكر المنافع إلّاللدُّنيا.

وعن مجاهد: التجارة وما يرضى اللَّه من أمر الدُّنيا والآخرة (۳).

استفاد بعض الفقهاء- على ضوء هذه الرواية- جواز الاتّجار في الحجّ، وعلى ضوء الآية الاخرى ۹۸ من سورة البقرة: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ.

فقد ذهب جمع إلى أنّ الفضل الوارد في هذه الآية هو التجارة، فيما نفى القرطبي

۱- ۱ مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ۷: ۱۲۹ في تفسير الآية.

۲- ۲ انظر مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ۷: ۱۲۹.

۳- ۳ المصدر نفسه، وغيره من كتب التفسير للآية.

ص: ۸۴

الخلاف فی أنّ المراد بالفضل فی الآیهٔ التجارهٔ، وذکر ثلاثهٔ أقوال فی المراد من المنافع: المغفرهٔ، التجارهٔ، والعموم أی لیحضـروا منافع لهم أی ما یُرضی اللَّه تعالی من أمر الدُّنیا والآخرهٔ (۱).

أمّا مجاهد وعطاء فقد جمع کلاهما بین الاثنین تجارهٔ الدُّنیا وأجر الآخرهٔ حیث قالا: التجارهٔ فی الدُّنیا والأجر والثواب فی الآخرهٔ (۲).

وهناک قول ثالث لابن عبّاس فی الآیهٔ أخرجه ابن أبی حاتم حیث قال:

منـافع فی الـدُّنیا ومنـافع فی الآـخرهٔ، فأمّـا منافع الآخرهٔ فرضوان اللَّه تعالی، وأمّا منافع الـدُّنیا فما یصـیبون من لحوم البُـدْن (الإبل والبقر ونحوهما) فی ذلک الیوم، والذبائح والتجارات.

إذن فـالمراد من منـافع (التی هی علی قولٍ: المغفرهٔ، وعلی قولٍ آخر: التجـارهٔ) هو عموم المنافع سواء أکانت منافع دنیویـهٔ أو اخرویـهٔ، فالحـجّ دعوهٔ إلی أن یشـهد الحجیـج منـافع تنتظرهم فی موسم الحـجّ بلا تحدیـد لطبیعـهٔ هـذه المنافع ولا تحجیم لها ولا تضـییق، فهی واسـعهٔ شاملـهٔ متعـدّدهٔ جعلهـا اللَّه تعـالی وهو الکریم المتفضّل علی عباده کـذلک، فلماذا نضـیّق الواسع ونحجره؟! وهو ما سـیأتی فی کلمات الإمامین الصادق والرضا علیهما السلام.

إلّا أنّ هناک من قـد یـذهب إلی أنّها فقط المنافع الدنیویهٔ دون الأخرویهٔ باعتبار أنّ الثانیهٔ ذکرت فی قوله تعالی: وَیَذْکُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِی أَیَّامٍ مَعْلُومَاتٍ... فهذا الجانب العبادی.

والجواب أنّه لا بأس بأن تکون المنافع عامّـهٔ للدنیویـهٔ والأخرویـهٔ، ثمّ جاء المقطع الثانی وَیَذْکُرُوا اسْمَ اللَّهِ... خاصّاً بالعبادهٔ، فیکون من باب ذکر الخاصّ

۱- ۱ أحکام القرآن للقرطبی ۱۲: ۴۱.

۲- ۲ مجمع البیان للطبرسی: ۱۲۹.

ص: ٨٥

بعد العام.

وانطلاقاً من عموم المنافع، فقد ذكر المفسّرون تفاصيل متعدّدة لها، نذكر أقوال بعضهم:

يقول الفخر الرازى: واختلفوا فيها، فبعضهم حملها على منافع الدُّنيا، وهى أن يتّجروا فى أيّام الحجّ، وبعضهم حملها على منافع الآخرة وهى العفو والمغفرة عن محمّد الباقر عليه السلام، وبعضهم حملها على الأمرين جميعاً، وهو الأولى (١).

فى حين يقول ابن العربى فى أحكامه: «منافع» فيها أربعة أقوال:

الأوّل: المناسك، الثانى: المغفرة، الثالث: التجارة، الرابع: من الأموال، وهو الصحيح، وذلك كلّه من نسك وتجارة ومغفرة ومنفعة دنيا وآخرة.

ثمّ يقول: والدليل عليه (على كلّ ذلك أنّه المنافع المقصودة): عموم قوله:

منافع فكلّ ذلك يشتمل عليه هذا القول، وهذا يعضده بقوله تعالى: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ (٢)

، وذلك هو التجارة بإجماع من العلماء (٣).

أمّا السيِّد الطباطبائى فى ميزانه فيقول: وقد اطلقت المنافع ولم تتقيّد بالدنيوية أو الأخروية.

ثمّ راح يفصِّل هذه المنافع بشقّيها فيقول:

والمنافع نوعان:

منافع دنيوية: وهى التى تتقدّم بها حياة الإنسان الاجتماعية، ويصفو بها العيش وترفع بها الحوائج المتنوّعة، وتكمل بها النواقص المختلفة من أنواع التجارة والسياسة والولاية والتدبير، وأقسام الرسوم والآداب والسنن والعادات، ومختلف التعاونات والتعاضدات الاجتماعية وغيرها.

١- ١ التفسير الكبير للفخر الرازى ٢٣: ٢٨.

٢- ٢ سورة البقرة: ٩٨.

٣- ٣ أحكام القرآن لابن العربى ٣: ٢٨٢- ٢٨٣.

ص: ۸۶

فإذا اجتمعت أقوام وامم من مختلف مناطق الأرض وأصقاعها على ما لهم من اختلاف الأنساب والألوان والسنن والآداب، ثمّ تعارفوا بينهم وكلمتهم واحدة هى كلمة الحقّ وإلههم واحد وهو اللَّه عزّ اسمه، ووجهتهم واحدة هى الكعبة البيت الحرام، حملهم اتحاد الأرواح على تقارب الأشباح، ووحدة القول على تشابه الفعل، فأخذ هذا من ذاك ما يرتضيه وأعطاه ما يرضيه، واستعان قوم بآخرين فى حلّ مشكلتهم وأعانوهم بما فى مقدرتهم فيبدّل كلّ مجتمع جزئى مجتمعاً أرقى، ثمّ امتزجت المجتمعات فكوّنت مجتمعاً وسيعاً له من القوّة والعدّة ما لا تقوم له الجبال الرواسى، ولا تقوى عليه أىّ قوّة جبّارة طاحنة، ولا وسيلة إلى حلّ مشكلات الحياة كالتعاضد، ولا سبيل إلى التعاضد كالتفاهم، ولا تفاهم كتفاهم الدين.

هذه هى المنافع الدنيوية، أمّا المنافع الأخروية فقد ذكرها قائلًا:

ومنافع أخروية: وهى وجوه التقرّب إلى اللَّه تعالى بما يمثّل عبودية الإنسان من قول وفعل، وعمل الحجّ بما له من المناسك يتضمّن أنواع العبادات من التوجّه إلى اللَّه وترك لذائذ الحياة وشواغل العيش والسعى إليه بتحمّل المشاق والطواف حول بيته والصلاة والتضحية والإنفاق والصيام وغير ذلك.

... إنّ عمل الحجّ بما له من الأركان والأجزاء، يمثّل دورة كاملة ممّا جرى على إبراهيم عليه السلام فى مسيره فى مراحل التوحيد ونفى الشريك وإخلاص العبودية للَّه سبحانه.

فإتيان الناس إبراهيم عليه السلام أى حضورهم عند البيت لزيارته يستعقب شهودهم هذه المنافع أخرويّها ودنيويّها، وإذا شهدوها تعلّقوا بها، فالإنسان مجبول على حبّ الدُّنيا (۱).

أمّا سيّد قطب فيذهب إلى العموم أيضاً حيث يقول:

۱- ۱ الميزان فى تفسير القرآن ۱۴: ۴۰۵- ۴۰۶.

ص: ۸۷

والمنافع التی یشهدها الحجیج کثیر؛ فالحجّ موسم ومؤتمر. الحجّ موسم تجارة وموسم عبادة، والحجّ مؤتمر اجتماع وتعارف، ومؤتمر تنسیق وتعاون، وهو الفریضة التی تلتقی فیها الدُّنیا والآخرة کما تلتقی فیها ذکریات العقیدة البعیدة والقریبة... أصحاب السلع والتجارة یجدون فی موسم الحجّ سوقاً رائجة، حیث تجبی إلی البلد الحرام ثمرات کلّ شیء.. من أطراف الأرض، ویقدم للحجیج من کلّ فجّ ومن کلّ قطر، ومعهم من خیرات بلادهم ما تفرّق فی أرجاء الأرض فی شتّی المواسم. یتجمّع کلّه فی البلد الحرام فی موسم واحد. فهو موسم تجارة ومعرض نتاج، وسوق عالمیة تقام فی کلّ عام.

ویواصل کلامه فیقول:

وهو موسم عبادة تصفو فیه الأرواح، وهی تستشعر قربها من اللَّه فی بیته الحرام، وهی ترفّ حول هذا البیت وتستروح الذکریات التی تحوم علیه وترفّ کالأطیاف من قریب ومن بعید..

ثمّ راح سیّد قطب یذکر تلک الأطیاف فی تفصیلٍ جمیل رائع یذکره فی تفسیره، نکتفی نحن بذکر عناوینها:

طیف إبراهیم الخلیل وهو یودّع البیت ولذة کبده إسماعیل وامّه..

طیف هاجر... وهی تهرول بین الصفا والمروة..

طیف إبراهیم إذ یقول لابنه إسماعیل یَا بُنَیَّ إِنِّی أَرَی فِی الْمَنَامِ أَنِّی أَذْبَحُکَ (۱)..

طیفهما وهما یرفعان القواعد من البیت..

طیف عبدالمطّلب وهو ینذر دم ابنه‌العاشر (عبداللَّه) إن رزقه اللَّه عشرة أبناء ..

ثمّ تتواکب الأطیاف والذکریات، من محمّد رسول اللَّهصلی الله علیه و آله وهو یدرج فی

۱- ۱ سورة الصافات: ۱۰۲.

ص: ۸۸

طفولته وصـباه فوق هذا الثرى، حول البيت... وهو يرفع الحجر الأسود بيديه الكريمتين فيضـعه موضـعه ليطفئ الفتنة التى كادت تنشب بين القبائل.. وهو يصلّى..

وهو يطوف.. وهو يخطب.. وهو يعتكف... (۱).

أمّاصاحب تفسـير التحرير والتنوير فقـد ذكر فى تفسـير هذه الآية وقوله تعالى: ليشـهدوا يتعلّق بقوله: يأتوك فهو علّة لإتيانهم الذى هو سبب على التأذين بالحجّ، فآل إلى كونه علّة فى التأذين بالحجّ.

ومعنى ليشهدوا ليحضروا منافع لهم، أى ليحضروا فيحصّلوا منافع لهم، إذ يحصّل كلّ واحد ما فيه نفعه.

وأهمّ المنافع ما وعـدهم اللَّه على لسان إبراهيم عليه السـلام من الثواب، فكُنى بشـهود المنافع عن نيلها. ولا يعرف ما وعـدهم اللَّه على ذلك بالتعيين، وأعظم ذلك اجتماع أهل التوحيد فيصعيد واحد؛ ليلتقى بعضهم بعض ما به كمال إيمانه.

أمّا بخصوص تنكير «منافع» للتعظيم المراد منه الكثرة وهى المصالح الدينية والدنيوية؛ لأنّ فى مجمع الحج فوائد جمة للناس؛ لأفرادهم من الثواب والمغفرة لكلّ حاجّ، ولمجتمعهم لأنّ فى الاجتماعصلاحاً فى الدُّنيا بالتعارف والتعامل.

ثمّ قـال: وخصّ من المنافع أن يـذكروا اسم اللَّه فى أيّامٍ معلومات على ما رزقهم من بهيمـة الأنعام، وذلك هو النحر والذبـح للهـدايا... (۲).

وأمّا مغنية فيقول:

الحـجّ هو العبادة الوحيـدة التى تجمع بين المنافع الدينيـة والدنيويـة، أمّا الدينيـة فطاعـة اللَّه بأداء الفريضة، والتوبة من الخطايا والذنوب واستشعار الهيبة والجلال.

ثمّ يذكر عن ابن عربى فى الفتوحات المكّية أنّه قال: كنت فى ذات يوم أطوف

۱- ۱ فى ظلال القرآن لسيّد قطب ۴: ۲۴۱۸- ۲۴۲۰.

۲- ۲ تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور ۱۷: ۲۴۵- ۲۴۶.

ص: ۸۹

بالكعبة، فرأيتها فيما خُيِّل إلى أنّها ارتفعت عن الأرض، وتوعدتنى بكلام، واللّه سمعتُه، وهى تقول: «تقدّم حتّى ترى ما أصنع بك، لِمَ تضع من قدرى، وترفع من قدر بنى آدم؟!».

ثمّ يردف مغنية قائلًا: فنقول عن يقين: ما من أحد يسعى أو يطوف فى بيت اللّه بإخلاص إلّاويستشعر شيئاً من هذا النوع (۱).

بيان أخير

على ضوء كلّ ما تقدّم من تفسيرٍ للآية الكريمة عبر الروايات وأقوال جمع من المفسّرين، يمكننا أن نقول:

إنّ الإنسان بما أنّه لم يكن ذا بُعد واحد بل تجتمع فيه أبعاد متعدّدة، وهى ليست منفصلة عن بعضها بل هى متكاملة، يلتقى فيها البُعد الفردى لشخصيته بالبُعد الاجتماعى، البُعد الروحى بالبُعد المادّى، فلا يستطيع كلّ بُعد من هذه الأبعاد أن يحقّق وجوده ويثبت كيانه بمفرده بعيداً عن البُعد الآخر المكمّل له، فهذه الأبعاد بكلّ مفاصلها أبعاد ممتزجة مختلطة؛ متوقّف بعضها على بعض، ويشدّ كلّ بُعد أزر البُعد الآخر، ويتفاعل معه سلباً أو إيجاباً، فيغدو الإنسان سالماً بسلامتها، ومعيباً إذا عيب ولو بعدٌ منها.

لهذا راحت نظرة السماء شاملةً لهذه الأبعاد التى تتضمّنها النفس الإنسانية، فنراها فى أحكامها ومفاهيمها ومبادئها سواء أكانت عبادية أم حياتية ترعى هذه الأبعاد وتهتمّ بها وتجعلها مواضيع لأحكامها... وغدت تشريعاتها تصاغ لتنظيم حياة هذا الكائن الذى كرّمه اللّه وفضّله على جميع مخلوقاته دون أن تهمل بُعداً من أبعاد شخصيته. أَوَيصحّ أن تهمل السماء بُعداً من أبعاد كيانه وشخصيته وقد أناطت

۱- ۱ التفسير الكاشف لمحمد جواد مغنية ۵: ۳۲۳.

ص: ٩٠

به مسؤولية كبرى ألا وهى الخلافة إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (١)

؟ أوليس النظر إلى بعض أبعاده دون بعضها الآخر خلاف التكريم وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ... (٢) بل وخلاف العدل؟ حاشَ للّهأن يظلم عباده وما ربّك بظلّامٍ للعبيد (٣).

إذن فالإسلام فى جميع تشريعاته.. لاـ يفرط ببُعد من تلك الأبعاد ولاـ يهمل بُعداً على حساب البُعد الآـخر، فتشريعاته ومفاهيمهصيغتصياغة خاصّة لتلبّى كلّ هذه الأبعاد الروحية والمادّية فى النفس الإنسانية، بل راحت تحثّ على رعايتها وعلى التوازن بينها، محذّرةً من رعاية بعضها دون الآخر أو إهمال شيء منها «ليس منّا من ترك دنياه لآخرته، ومن ترك آخرته لدنياه» وهذا رعاية لمتطلّبات وحاجات الجسد وتلبية لما تشتاق إليه الروح وتهفو إليه النفس «اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً» إنّه إخلاص لكلا الحياتين الدنيوية والأخروية ودقّة فى التفانى لبنائهما وتعميرهما بجدٍّ وصبر ومثابرة.

وعلى هذا الأساس بنيت أحكام الإسلام وتشريعاته وهى تحمل هذا الهمّ الكبير وهذا الهدف العظيم (بناء الشخصية المؤمنة بناءً محكماً) وهى نواة لبناء المجتمع المؤمن بناءً محكماً أيضاً، ولا يتمّ هذا البناء ولا يتكامل، بل ولا يسلم من أن ينهدّ إلّابمراعاة جميع خصوصيات هذا الكائن المادّية والمعنويّة.

وفريضة الحجّ واحدة من تلك التشريعات العبادية قد جاءت بكلّ مناسكها لتحمل ذلك الهدف العظيم، وتحقّق لهذه الشخصية المؤمنة ولكلّ جانب من جوانبها حركة روحية خاصّة قد لا تتوفّر فى غيرها من العبادات الاخرى، إلّاأنّها تمتاز عليها بمشقّة أكبر وثمار أعظم.. وبالتالى تمتدّ هذه الحركة وتتّسع لبناء مجتمع إيمانىّ

١- ١ سورة البقرة: ٣٠.

٢- ٢ سورة الإسراء: ٧٠.

٣- ٣ سورة فصلت: ۴۶.

ص: ۹۱

کبیر ینصهر فی بوتقته الأفراد المؤمنون جمیعاً.

المنافع المعنویة:

أوّلًا: من منافع الحجّ الکبری أنّه دورة إیمانیة جاء لتعمیق الارتباط بالسماء بذکر اللَّه سبحانه المتواصل الدائم فی هذه الأیّام المعدودة وَاذْکُرُوا اللَّهَ فِی أَیَّامٍ مَعْدُودَاتٍ... (۱)، فیترک هذا الارتباط بصماته علی حیاة الحاج الیومیة، ویستشعر عظمة اللَّه تعالی فی کلّ أنفاسه وخطواته، ویرقبه فی کلّ أعماله وسکناته.

کما یربّی الحاج نفسه فی هذه الأیّام ویصوغها علی الطاعة والانقیاد والصبر علیهما، تأمره الشریعة فیأتمر، وتنهاه فینتهی، لا یشغله شاغل عن ذلک، ولا یصرفه أحد عمّا فیه رضا اللَّه.

تقول الروایة وهی عن الإمام الصادق علیه السلام: «إذا أردت الحجّ فجرِّد قلبک للَّه عزّوجلّ- من قبل عزمک- من کلّ شاغل وحجاب حاجب، وفوّض امورک کلّها إلی خالقک، وتوکّل علیه فی جمیع ما یظهر من حرکاتک وسکناتک، وسلِّم لقضائه وحکمه وقدره، ودع الدُّنیا والراحة».

إذن فالحجّ مدرسة عظیمة ودورة تربویةصالحة یعدّ فیها الحاجّ فرداً وجماعةً إعداداً تربویاًصالحاً، ففیها یتجذّر إیمانه ویترسّخ یقینه أکثر فأکثر، وتزداد نفسه سموّاً وارتقاءً وتحلیقاً فی عالم المُثُل والقیم والمبادئ.

إنّ الحاجّ فی هذا الموسم المبارک یتحلّی بأخلاق جمیلة وصفات حمیدة، فتراه وقد عوّد نفسه علی الصبر وتحمّل المشاقّ والأتعاب، وعلی الإنفاق والبذل والعطاء، واتّصف بالشهامة والتواصل والتواضع...

وکلّ هذا نجده فی کلام أئمّة أهل البیت علیهم السلام:

۱- ۱ سورة البقرة: ۲۰۳.

ص: ۹۲

يقول الإمام على عليه السلام: «وجعله (حجّ بيته الحرام) سبحانه علامةً لتواضعهم لعظمته وإذعانهم لعزّته».

ومن كلام للإمام الرضا عليه السلام: «مع ما فيه من إخراج الأموال وتعب الأبدان والاشتغال عن الأهل والولد، وحظر النفس [الأنفس] عن اللّذات شاخصاً فى الحرّ والبرد ثابتاً على ذلك أبداً مع الخضوع والاستكانة والتذلّل».

فقد ألغى الحجّ كلّ ما يؤدّى إلى الفوارق بينهم، فظهروا بلباس بسيط واحد، يشير أن لا فرق لأحدهم على الآخر، مظهر هذا اللباس واحد غير متميّز لا بشكله ولا بلونه، فهو شكل واحد ولون واحد يرتديه العالم والجاهل، الرئيس والمرؤوس، الأبيض والأسود، الوجيه ومَنْ هو أدنى وجاهةً منه، الغنىّ ومن هو أقلّ غناءً منه.. فتراهم مجرّدين عن كلّ ميزة وآصرة إلّاميزة الإسلام وآصرته وصبغته، فقد ألغى الإسلام أىّ سمة لقريش التى تضمّ ثلاث وعشرين قبيلة، فكانوا لا يقفون فى عرفات حيث يقف الحجاج الآخرون ولا يفيضون من حيث يفيضون، فأمرهم جميعاً ب ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس... (۱)

فلا- ميزة لأحد على آخر ولا- لطائفة على اخرى.. الكلّ متساوون حيث لا تفاضل بينهم إلّا بالتقوى، فيحسّون بوحدتهم، ويستشعرون أصلهم أنّهم لآدم وآدم من تراب، فهم أهل أصل واحد، ودين واحد، وبلد واحد، لا حدود ولا فواصل تشتتهم وتفرّقهم،صحيح أنّهم لا تجمعهم لغة واحدة، فهم أهل لغاتٍ مختلفة، بل هم أهل تقاليد وعادات ومستويات مختلفة، وهذا أمرٌ لا ينكره أحد، إلّاأنّهم أهل عقيدة واحدة، وكفى بها جامعاً لهم مانعاً للتباعد والاختلاف وما يترتّب عليه من جدلٍ ونفرةٍ ونزاعٍ بل وقتال..

لهذا تراهم لبّوا نداء العقيدة هذه واستجابوا ل وَأَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ

۱- ۱ سورة البقرة: ۱۹۹.

ص: ۹۳

رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (۱).

جاءوا إلى هـذه البقاع وقـد قطعوا آلاف الأميال جوّاً وبرّاً وبحراً، كم هو عظيم أثر العقيـدة على النفوس! وليس هناك أقوى منها تأثيراً على القلوب وصياغةً للأرواح!

وعندئـذٍ يلتفت كلّ واحـد وكلّ جماعة منهم إلى أنّهم بتلبيتهم هذه اخوة يدفعهم أذان واحد وعقيدة واحدة، وأنّ الذى باعد بينهم هو الحدود التى رسمتها الأنانيات والأطماع.

يقول سيّد قطب: والحـجّ مؤتمر جامع للمسـلمين كافّة، مؤتمر يجدون فيه أصـلهم العريق الضارب فى أعماق الزمن منذ أبيهم إبراهيم الخليل: مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُم الْمُسْلِمينَ مِنْ قَبْلُ وَفِى هَذَا.. (۲)..

يجـدون محورهم الـذى يشدّهم جميعاً؛ هذه القبلة التى يتوجّهون إليها جميعاً ويلتفّون عليها جميعاً، ويجدون رايتهم التى يفيئون إليها، رايـة العقيـدة الواحـدة التى تتوارى فى ظلّهـا فوارق الأجنـاس والألـوان والأوطـان.. ويجـدون قوّتهم التى قـد ينسونها حيناً، قوّة التجمّع والتوحّـد والترابـط الـذى يضمّ الملايين، الملايين التى لا يقف لهـا أحـد لو فاءت إلى رايتها الواحـدة التى لا تتعـدّد.. رايـة العقيـدة والتوحيد (۳).

فالحـجّ إذن تربيةصالحـة للجسم والروح، ودورة إيمانية وأخلاقية لسـلوك الإنسان المسـلم، تتهذّب فيها أخلاقه، ويسـمو فيها سـلوكه، ويتعوّد الالفة مع الآخرين وإن اختلفوا عنه، فتنمو فى نفسه الروح الاجتماعية والتفاعل بشكل رائع وبأرقى درجاته وأجلى مراتبه.

۱- ۱ سورة الحجّ: ۲۷.

۲- ۲ سورة الحجّ: ۷۸.

۳- ۳ فى ظلال القرآن لسيّد قطب ۴: ۲۴۱۹- ۲۴۲۰.

ص: ۹۴

ثانياً: الحجّ فريضة تتضمّن مناسك عبادية تؤدّى هنا وهناك فى أوقات مخصوصة وأماكن معيّنة وبقاع محدودة، يترتّب عليها أجر عظيم وثواب جزيل قد تكفّل اللّه بهما وبالمغفرة والرضوان، فعن ابن حزم قال:

قلت لأبى عبداللّه عليه السلام: ما يصنع اللّه بالحاج؟

قال: مغفور واللّه لهم لا أستثنى فيه.

وعن الصادق عليه السلام فى سؤال موسى عليه السلام جبرئيل عليه السلام: ما لمن حجّ البيت بنيّةٍصادقة ونفقة طيّبة؟

قال: فرجع إلى اللّه عزّوجلّ، فأوحى إليه قل له: أجعله فى الرفيق الأعلى مع النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وفى رواية قال رسول اللّهصلى الله عليه و آله: للحاجّ والمعتمر إحدى ثلاث خصال؛ إمّا أن يُقال له: قد غفر لك ما مضى، وإمّا أن يُقال له: قد غفر لك ما مضى فاستأنف العمل، وإمّا أن يقال له: قد حفظت فى أهلك وولدك وهى أخسّهنّ.

وفى رواية اخرى: مَن حجّ فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته امّه.

ثالثاً: التعارف: وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا (۱)

وعلى مستوى الوضع العام، يلتقون فى مؤتمر كبير يضمّهم جميعاً يتعارفون فيه، ف (الحجّ عرفة) يتذاكرون فيه شؤونهم ومشاكلهم وما ينتظرون من حلول لها وإجابات عمّا يطرحونه من تساؤلات، وعمّا يصبون إليه من أهدافهم وآمالهم وطموحاتهم، يتدارسون كلّ ما يخصّ عقيدتهم الإسلامية التى كان وما يزال الحجّ علماً لها كما يقول الإمام على عليه السلام «وجعله سبحانه وتعالى للإسلام علماً»

۱- ۱ سورة الحجرات: ۱۳.

ص: ۹۵

ويتعرّفون على دوره العظيم وقدرته على الدفاع عنهم، يتبادلون تجاربهم ويستفيدون من خبراتهم، ويستنيرون بآرائهم وأفكارهم، ويتشاورون فيما بينهم، ويطّلعون على أخبارهم ومعلوماتهم ومشاكلهم وكلّ ما يحدث فى بلدانهم، وحتّى على العادات المختلفة لشعوبهم وآثارها، فلكلّ شعب عاداته وقصصه وآثاره...

وبذلك تسقط أغلبية أوكل الحواجز سواء أكانت مادية أو نفسية، التى هى نتيجة للفواصل القوميّة والعرقية بين بنى البشر، يجمعهمصعيد الإيمان الواسع بعيداً عن الدوائر الضيقة المنطوية على نفسها... فهو مؤتمر وعى حيث تتمّ فيه توعية المسلمين على أهداف دينهم ومبادئه، وفى الوقت نفسه يتمّ فضح مخطّطات الأعداء وردّ شبهاتهم.

يقول سيِّد قطب: «وهو مؤتمر للتعارف والتشاور وتنسيق الخطط وتوحيد القوى وتبادل المنافع والسلع والمعارف والتجارب» (۱).

فيعود الحاج وهو يحمل ثقافة اخرى، ومعلومات قد لا يستطيع أن يجدها مدوّنةً فى كتاب أو مطروحةً فى محفل من المحافل التى تعوّد على ارتيادها، بل ولم يسمع بها أو يعثر عليها، يجدها فى هذا المؤتمر العظيم الذى يزيده ثروة علمية وثقافية، بل وخبرة مضافة تسعفه فى حياته وتفتح له آفاقاً اخرى غير ما اعتاده من الآفاق.

هذا إضافةً إلى أنّه سيعيش الهمّ الإسلامى الكبير بأن يفكِّر خارج دائرته الشخصية والعائلية أو الاجتماعية الضيّقة، فيصوّب ناظريه إلى حيث إخوانه الذين يبعدون عنه آلاف الأميال، يهمّ بهمّهم ويهمّون به، يرصد أخبارهم ويرصدون أخباره... لعلّه كان يسمع أنّ هناك مسلمين فى غابات أفريقيا وفى مجاهيلها، وفى آسيا وأوربا والأمريكيتين... فإذا به يتعرّف عليهم وعلى ثقافاتهم وعاداتهم،

۱- ۱ فى ظلال القرآن ۴: ۲۴۲۰.

ص: ۹۶

فيأتى يتحدّث بها بين أهله وعشيرته وإخوانه... فينمو الترابط والتواصل بين الجميع و يترسّخ الحبّ و تنمو العلاقات، و تُستشعر المسؤولية بشؤون الامّة الإسلامية مهما ترامت أطرافها، وتشحذ الهمم للإصلاح والبناء والتغيير والتطوّر، فينبرى من له القدرة والكفاءة لتأسيس المشاريع هنا وهناك وإنشاء المؤسسات والمراكز بمستوياتها الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، وتبدأ الاستعانة بالخبرات، فتصبح الامّة وكأنّها جسد واحد وكيان واحد وروح واحدة.

فالتعارف إذن من المنافع التى تتوفّر على الجانبين المعنوى والمادى وتتكامل عندها المنفعتان بشكل جلىّ وواضح.

فهذه الثمار والمعطيات أو التى أسماها القرآن المنافع، معنوية أيضاً يمكن أن يجنيهاالفرد فى الدار الدُّنيا استقامة على الصراط وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ (۱)

إيمان أكثرصدقاً وخُلق عال وعلم غزير ومعرفة وثقافة واسعة، يتبعه أجر فى الآخرة ويرافقه عفو ومغفرة.

المنافع المادّية:

فإضافةً إلى كون الحجّ فريضة عبادية يجنى الحاجّ من أدائها تلك المنافع المعنوية.. فى الدنيا والآخرة تربيةصالحة وإيمان واعٍ وغفران للذنوب... وأجر عظيم وثواب جزيل.. تتداخل جميعها فى أكثر من مفصل وموقع مع المنافع المادية، لتكتمل دائرتها التى تلبى تلك الأبعاد والحاجات المتعدّدة للنفس البشرية؛ لهذا فإنّ الفصل بين المنافع المعنويّة والماديّة قد لا يكون أمراً ميسوراً.

فهو مناسبة كبيرة وفرصة عظيمة تنضج فيها ثمار يستطيع الحاج بإخلاصه وصدقه اقتطافها، على مستوى الفرد باعتباره نواة المجتمع الكبير، وعلى مستوى المجتمع باعتباره الإطار العام الذى يتواجد فيه الأفراد ويتألّف منهم، ويقوى

۱- ۱ سورة الشورى: ۱۵.

ص: ۹۷

بتلاحمهم وتقدّمهم واتّحادهم ويضعف بضعفهم وتخلّفهم وتفرّقهم.

فهناك منافع تعمّ الجميع، أفراداً ومجتمعات، وتتوزّع على نواحٍ متعدّدة فی حياتنا فمنها منافع اقتصادية واخرى اجتماعية وثالثة سياسية.. تساهم جميعها فی بناء الجماعة المسلمة وبالتالی المجتمع الإسلامی الكبير، وتزيد فی تطويره ومعرفته وعلمه ووعيه، وفی توجيهه الوجهة الحسنة، فيما تساهم أنشطة هذه المنافع فی حلّ مشاكل أجيالنا المعاصرة والتعاون وفی تثبيت مواقعها وتنشيط مسيرتها نحو التطوّر والتكامل.

وتستفيد هذه الأجيال من منافع الحجّ بحسب تنوّع قدراتها وتطوّر إمكانياتها، وبحسب ظروفها وأزمنتها ومستوياتها، فلا تتوقّف هذه المنافع عند جيل معيّن وقدرات محدودة، ثمّ تنتهی بنهاية ذلک الجيل، وتتوقّف وتنضب، بل هی تتجدّد على مرّ الأزمان.

يقول السيِّد الإمام الخمينی قدس سره: «الحجّ كالقرآن مائدة ينتفع منها الجميع» جميع الأجيال وفی جميع الأحوال.

فما شهده مجتمع إبراهيم الخليل عليه السلام من منافع مادّية غير تلک التی شهدها جيل رسول اللَّهصلی الله عليه و آله وغير التی نشهدها نحن فی عصرنا الحاضر. فهی فی تطوّر مستمرّ وتوالد متواصل، وعطاء وافر يتجدّد بألوان متنوّعة وأشكال متعدّدة.

ومنافع الحجّ كثيرة وهی كما ذكرنا متداخلة، وقد ذكرنا أشياء منها، ونكتفی هنا- وباختصار- بذكر محور مهمّ من محاورها، وهو يشكّل أهمّ محور فی حياتنا لدوره الخطير ولما يتركه من آثار على مجمل أوضاعنا المعنوية والمادية.

المنافع الاقتصادية

أمّا على المستوى الاقتصادی فالحجّ يعدّ تجمّعاً بشريّاً يتّصف بالقوة والضخامة والكثافة والثراء، يستقطب الحشود الكبيرة من المسلمين من شتّى البقاع والأمصار، فيولّد حركة هائلة يترتّب عليها وضع اقتصادی وتجاری ومالی

ص: ٩٨

ضخم، فالسفر والنقل وحمل البضائع والاستهلاک، وتبادل العملات وشراء الهدايا والأضاحی، وما يحتاجه الحجّ ويستلزمه من مال يدفع ورسوم تؤخذ ومواد تصرف وبضائع تستهلک وأماکن تستأجر وسياحة وتجارة... کلّ هذه الحرکات والأنشطة الاقتصادية والمالية والتجارية والسياحيّة... يشهدها مجتمع الحجّ وموسمه، فتدرّ على الجميع خيراً عميماً وربحاً وفيراً شريطة أن يحسن التصرّف، بعيداً عن التبعيّة والإسراف والتبذير والتقتير وما إلى ذلک.

صحيح أنّ الذی نلاحظه فی مواسم الحجّ هو أنّ المستفيد من الوضع الاقتصادی والتجاری هو الآخر البعيد عن الإسلام بل المتحرّک ضدّه والمتآمر عليه، إلّاأنّ هذا يحدث لسوء تصرّفاتنا وعدم وعينا بخطورة السوق التی استولى عليها الآخرون؛ لتأخّرنا وتقدّمهم، وتکاسلنا ونشاطهم، ولعدم شعورنا بالمسؤولية الملقاة على عاتقنا دولًا ومجتمعات وأفراداً، فراح الآخر يملأ أسواقنا بما يعود عليه من نفع کبير، ورحنا نتسابق لشراء ما يقدِّمه لنا دون الاهتمام بإنتاجنا وبتطويره، ولأنّنا مبهورون به وببضاعته وإن ضعفت واشمئزازنا منصناعاتنا وإن قويت.. هذه الروح التی تمکّن أعداؤنا من زرعها فی نفوسنا، روح التخاذل والضعة والصغار، والشعور بالضعف والهوان، نزعت الثقة منّا وبالتالی فقدنا کلّ شیء، فصار عطاء هذا الموسم يصبّ فی جيوب أعدائنا بأضعاف ما نحصل عليه.

وليس هذا عيباً فی الآية الکريمة أو نقصاً فيها، لا أبداً، بل هی دعت الناس المؤمنين بأداء هذه الفريضة للاستفادة من منافع الحجّ ولم تدعو أعداءها وأعداءهم والمتربّصين بهم، بل نحن الذين دعوناهم وفتحنا لهم أسواق هذه المواسم، لقد کانت الدعوة خاصّة بمن يؤدّی المناسک ويؤمن بها وَيَذْکُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِی أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ... وبالتالی فهم الذين ينبغی بل يجب أن يقتطفوا ثمار هذه المواسم وخيراتها لا غيرهم.

وها هو الإمام الخمينی رضوان اللَّه تعالى عليه وقد تنبّه إلى ذلک الأمر الخطير

ص: ۹۹

فراح يطلق تحذيراته المتكرّرة حيث يقول:

«إنّ أسواق البلدان الإسلامية أصبحت مركز تنافس بضائع الغرب والشرق، حيث تتّجه إليها سيول البضائع الأمريكية والأوربية واليابانية، الكمالية منها واللعب والاستهلاكيات.

ومع الأسف الشديد فإنّ مكّة المعظّمة وجدّة والمشاهد المشرّفة في الحجاز...

حيث مركز الوحي ومهبط جبريل وملائكة اللَّه، ومحلّ تحطيم الأصنام والبراءة منها، أصبحت مملوءة ببضائع الأجانب، وغدت سوقاً رائجاً لأعداء الإسلام وأعداء الرسول الأعظمصلى الله عليه و آله» (۱)..

وقد عدّ الإمام عرض هذه البضائع مخالفةًصريحة لمقاصد الحجّ ولأهدافه ومنافعه.. وليس هذا فقط بل إنّ شراءها يعدّ هو الآخر دعماً لأعداء اللَّه ورسوله فيقول:

«... فإنّ عرضها مخالف للأهداف الإسلامية بل مخالف للإسلام تماماً، وشراءها دعم لأعداء الإسلام وترويج للباطل، فيجب الاجتناب عنها» (۲).

وختاماً، فإنّ منافع هكذا بيت مبارك يحجّ إليه منذ نداء نبيّ اللَّه إبراهيم عليه السلام وإلى يومنا هذا، لا تقف عند حدٍّ، وهي التي تجدّد بتجدّد الأزمان وتطوّر أجيالها وعلومها ومعارفها ووسائلها وأدواتها التقنية... وتنبثق من كلّ منسك من مناسكها، ويلمسها كلّ من وفّقه اللَّه تعالى لأداء هذه الفريضة بقلب طاهر ونيّة خالصة، وهو الذي يستفيد منها ويتحسّسها ويستشعرها أكثر من الآخر الذي لا همّ له إلّاإسقاط واجب تعلّق بذمّته.

۱- ۱ من خطاب الإمام في ۲۸ ذي القعدة/ ۱۴۰۵ ه.

۲- ۲ المصدر نفسه.

ص: ۱۰۰

منهج الرشاد لمن أراد السداد

منهج الرشاد لمن أراد السداد (۲)

منهج الرشاد لمن أراد السداد (۲)

رسالة کاشف الغطاء إلی عبدالعزیز آل سعود

تقدیم وتحقیق: الدکتور جودت القزوینی

المقصد الأوّل: فی تحقیق ضروب الکفر:

وأقسامه کثیرة:

أوّلها: کفر الإنکار بإنکار وجود الإله، أو إثبات أنّ غیر اللّه هو اللّه، أو بإنکار المعاد، أو نبوّة نبیّنا أشرف العباد.

ثانیها: کفر الشرک بإثبات شریک للواحد القهّار، أو فی النبوّة للنبیّ المختار.

ثالثها: کفر الشکّ، بالشکّ فی إحدی الثلاثة التی هی اصول الإسلام فی غیر محلّ النظر، ولا عبرة بالأوهام (۱).

رابعها: کفر الهتک لهتک حرمة الدین، بالبول علی المصحف، أو فی الکعبة، أو سبّ خاتم النبیّینصلی الله علیه و آله.

خامسها: کفر الجحود، بأن یجحد باللسان أُصول الإسلام، ویعتقدها

۱- ۱ فی المطبوع زیادة عبارة: «التی هی کخیالات المنام».

ص: ١٠١

بالجَنان، قال تعالى: وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ (١).

سادسها: كفر النفاق، بأن ينكر فى الجنان، ويقرّ باللسان، كما قال تعالى:

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٢).

سابعها: كفر العناد، بأن يقرّ بلسانه، ويعتقد بجنانه، ولم يدخل نفسه فى ربقة العبودية، بل يتجرّأ على الحضرة القدسية، كإبليس (لعنه اللَّه).

ثامنها: كفر النعمة، بأن يستحقر نعمة اللَّه، ويرى نفسه كأنّه ليس داخلًا تحت مِنّة (٣) اللَّه.

تاسعها: كفر إنكار الضرورى (۴).

عاشرها: إسناد الخلق إلى غير اللَّه على قصد الحقيقة.

وليست جميع المعاصى العظام مخرجة عن الإسلام، فإنّ المعاصى لا تنفك على الدوام، حتّى فى مبدأ حدوث الإسلام؛ ولذلك وضعت الحدود والتعزيرات، واقيمت الأحكام على ممرّ الأوقات.

نعم قد يُطلق على كثير منها اسم (الكفر) تعظيماً للذنب، وتحذيراً منه، وتشبيهاً لمؤاخذته؛ لعظمها بمؤاخذة الكفر.

فهو إذن فى الشرع قسمان: كفرٌصغير، لا يُخرجُ عن اسم الإسلام. وكبيرٌ مخرجٌ عن اسمه بلا كلام.

ولو بنينا على أنّ كلّ ما أطلق عليه اسم الكفر يكون مكفّراً، لم تنجُ إلّا شرذمةٌ قليلة من الورى. فإطلاق اسم الكفر قد يكون استعظاماً للذنب- كما مرّ-، وقد يراد أنّه ربما انجرّ بالأخرة إلى ذلك. كما ورد فى الحديث: إنّ فى قلب المؤمن

١- ١ سورة النمل: ١۴.

٢- ٢ سورة البقرة: ٨.

٣- ٣ فى المطبوع: نعمة.

۴- ۴ فى المطبوع: الإنكار للضرورى.

ص: ۱۰۲

نكتة بيضاء، فإذا عصى اللَّه اسودّ منها جانب، وهكذا إلى أن يتمّ سوادها، فذلك الذى طبع اللَّه على قلبه (۱).

وممّا يدلّ على أنّ لفظ (الكفر) يُطلق على سائر المعاصى كثيراً فى كلام الشارع منها: ما رواه أنس، عن النبيّصلى الله عليه و آله أنّه قال: لا دين لمن لا عهدَ له (۲).

وعن أبى هريرة، عن النبيّصلى الله عليه و آله أنّه قال: لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يقتل حين يقتل وهو مؤمن (۳).

وعن أبى هريرة، عن النبيصلى الله عليه و آله: إنّ علامة النفاق الكذب، وسوء الخلق، والخيانة (۴).

وعن عبداللَّه بن عمرو، عن النبيّصلى الله عليه و آله: إنّ النفاق عبارة عن أربع: الخيانة، والكذب، والغدر، والفجور (۵).

وعن أبى هريرة، عن النبيّصلى الله عليه و آله: إنّ المرآء فى القرآن كفر (۶).

وعن النبيّصلى الله عليه و آله أنّه قال: لا يترك (۷) حضور الجماعة إلّامنافق (۸).

وعن أبى ذرّ، عن النبيّصلى الله عليه و آله: المسلم من سَلِمَ المسلمون من يده ولسانه (۹).

۱- ۱ الموطأ باب الكلام، باب ۱۸.

۲- ۲ مسند أحمد بن حنبل ۳: باب ۱۳۵، ۱۵۴، ۲۱۰، ۲۵۱.

۳- ۳صحيح البخارى كتاب الأشربة، حديث ۵۲۵۶؛ وصحيح مسلم كتاب الأيمان، حديث ۸۶؛ والنسائى كتاب قطع السارق، حديث ۴۷۸۷.

۴- ۴صحيح مسلم، حديث ۱۰۷.

۵- ۵ أيضاً، حديث ۱۰۶.

۶- ۶ سنن أبى داود كتاب السنّة، حديث ۴؛ ومسند أحمد بن حنبل الباب الثانى، حديث ۲، ۲۵۸، ۲۸۶.

۷- ۷ فى المطبوع: يُفَوِّت.

۸- ۸صحيح مسلم ۱: ۴۵۱.

۹- ۹ البيهقى ۱۰: ۱۸۷.

ص: ۱۰۳

وعن عبداللَّه بن مسعود، عن النبيّصلى الله عليه و آله: إنّ الرُقى والتمائم من الشرك (۱).

وعن أبی‌هريرة، عن‌النبيّصلى الله عليه و آله أنّه قال: مَنْ قال: مطرنابكوكب‌كذا، فهو كافر (۲).

وعن زيد بن خالد (۳)، عن النبيّصلى الله عليه و آله أنّه مَنْ قال: مطرنا بنوء كذا، فهو كافر (۴).

وعن أبی هريرة قال: قال رسول اللَّهصلى الله عليه و آله: من أتى حائضاً أو امرأة فی دبرها، فقد كفر بما أُنزل على محمّد، رواه الدارقطنی، وابن ماجة، والترمذی (۵).

وروى عمر بن لبيد، عن النبيّصلى الله عليه و آله: إنّ الرياء الشرك الأصغر (۶).

وعن أبی سعيد، عن النبيّصلى الله عليه و آله: إنّ الرياء الشرك الخفيّ (۷).

وعن عمر بن الخطّاب، عن النبيّصلى الله عليه و آله: إنَّ يسير الرياء شرك.

وعن شدّاد بن أوس (۸)، عن النبيّصلى الله عليه و آله: منصلّى برياء (۹)، فقد أشرَكَ، ومَنْصام برياء، فقد أشرك، ومَنْ تصدّق برياء، فقد أشرك.

وروى: إنَّ تارك الصلاة كافر (۱۰)، إلى غير ذلك.

بل قلّما يسلم شیء من المعاصی ومن إطلاق اسم الكفر، فلا تبقى ثمّة حدود ولا تعزيرات، ولزم الحكم بالارتداد، وكفر العباد، ولا ينجو من الكفر إلّاقليلٌ من الأحياء والأموات، ولنادت الخطباء بذلك على رؤوس الأشهاد، ولشاع ذلك فی

۱- ۱ المستدرك للحاكم ۴: ۲۱۷.

۲- ۲صحيح مسلم ۱: ۸۴.

۳- ۳ زيد بن خالد الجهنی المدنی، أبو عبد الرحمن،صحابی، أقام بالكوفة، وتوفی فی المدينة سنة ۶۸ ه/ ۶۸۷ م.

۴- ۴صحيح مسلم باب بيان كفر مَنْ قال مطرنا بالنوء.

۵- ۵ سنن ابن ماجة ۱: ۲۰۹، حديث ۶۳۹، وسنن الترمذی ۱: ۲۴۳.

۶- ۶ مسند أحمد بن حنبل ۵: ۴۲۸.

۷- ۷ ابن ماجة ۲: ۱۴۰۶، حديث ۴۲۰۴.

۸- ۸ شدّاد بن أوس بن ثابت الخزرجی، تُوفی سنة ۵۸ ه/ ۶۷۸ م عن ۷۵ عاماً.

۹- ۹ فی المطبوع: «وهو يُرائی».

۱۰- ۱۰ سنن ابن ماجة ۱: ۳۴۲.

ص: ۱۰۴

أقاصی البلاد، مع أنّ المعهود من سیرة النبیّصلی الله علیه و آله والصحابة، والتابعین، وتابعی التابعین معاملة الناس علی الاکتفاء بإظهار الشهادتین.

وعنهصلی الله علیه و آله: امرتُ أن اقاتل الناس حتّی یقولوا الشهادتین.

وعن أبی هریرة أنّ رسول اللَّهصلی الله علیه و آله أُتی بمخنّث قد خضب یدیه ورجلیه بالحنّاء، فقال: ما بال هذا؟ قالوا: یتشبّه بالنساء، فنفاه إلی (البقیع)، فقیل:

یارسول اللَّه ألا تقتله؟ فقال: نُهیتُ عن قتل المصلِّین.

وروی عبداللَّه بن مسعود، عن النبیّصلی الله علیه و آله: إنّ قتال المسلمین کفر (۱).

وعن ابن عمر، عن النبیّصلی الله علیه و آله: إنّ نسبة المسلم إلی الکفر کفر (۲).

وعن أبی هریرة، عن النبیّصلی الله علیه و آله: إذا قال الرجل هلک الناس فهو أهلکهم (۳).

وعن ابن عمر قال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله: أُمرت أن اقاتل الناس حتّی یشهدوا أن لا إله إلّااللَّه، وأنّ محمّداً رسول اللَّه، ویقیموا الصلاة، ویؤتوا الزکاة، فإنْ فعلوا ذلک عصموا منّی دماءهم وأموالهم، وحسابهم علی اللَّه (۴).

وعن أنس أنّه قال: قال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله: مَنْصلّیصلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأکل ذبیحتنا، فذلک المسلم الذی له ذمّة اللَّه وذمّة رسوله (۵).

إلی غیر ذلک من الأخبار.

ولیس غرضی أنّه لا طریق للکفر سوی ذلک، ولکن یستفاد منها أنّه بعد إظهار الشهادتین یبنی علی الإسلام ما لم یُعلم شیء ینافیه، ولا حاجة إلی التجسّس، بل نهی اللَّه تعالی عنه.

۱- ۱صحیح مسلم ۱: ۸۱. باب بیان قول النبیّصلی الله علیه و آله سباب المسلم فسوق وقتاله کفر.

۲- ۲صحیح مسلم ۱: ۷۹ باب بیان حال إیمان من قال لأخیه المسلم یا کافر.

۳- ۳ مسند أحمد بن حنبل ۲: ۴۶۵.

۴- ۴صحیح مسلم ۱: ۵۳، حدیث ۳۶.

۵- ۵ النسائی باب المناسک، حدیث ۲۱۱.

ص: ۱۰۵

وبيان الأمر على التحقيق: هو أنّه قد عُلم أنّ لسان الشارع جارٍ على نحو لسان العرب، ففيه حقائق، ومجازات، واستعارات، وكنايات، وخطابات، تشتمل على المبالغات، كما أنّ لساننا يشتمل على ذلك من غير إنكار، فإنّ الذنب إذاصدر من شخص وأردنا استعظامه،صحَّ لنا أن نُسمِّيه كفراً، وأنْ نسمّى فاعله كافراً. ولا يزال ذلك يقع على مرور الأزمان من أيّام النبيّصلى الله عليه و آله إلى هذا الآن، مع أنّه ليس فى ذلك إنكار، بل قد يُعَدُّ من أفعال الأبرار، على أنّ كُلَّ مَنصدر منه ذنبٌ ولوصغير، لم يفِ بجزاء نِعَم اللطيف الخبير.

فإطلاق الكفر لعلّه من باب الكفر ببعض النعم الذى هو كفرصغير.

على أنَّ أنظار الأنبياء والأولياء ليس إلى المعاصى، حتّى يكون فيهاصغيرٌ وكبير، بل إلى مَنْ عصاه الناس وهو اللطيف الخبير.

فإذا لاحظت أنّ المعصية كانت فى حقّ اللّه، تجدها- ولوصغرت- أكبر من الجبال الرواسى، حتّى أنّه بلسان الورع والتقوى دون الفقه والفتوى، ربما لا- يفرق بين الصغائر والكبائر. بل ربما نقل عن بعض الأولياء أنّه لا فرق بين المكروه والحرام، والمسنونات وفرائض الأحكام، قال: لأنّ الكُلّ مطلوب للملك العلّام.

وإذا بُنى على هذا استُحسن هذا الإطلاق، وحسن إطلاق اسم المعاصى والمحرّمات على فعل المكروهات، والفرائض والواجبات على فعل المستحبّات والمندوبات، وكبائر الخطيئات عليصغائر التبعات، والكفر والكفّار على كلّ مَنْ عمل ما يوجب دخول النار.

ولولا- ذلك للزم كفر أكثر من فى الأرض؛ لأنّه قلّما خلت معصية من هذا الغرض، ولو عملنا بجميع ظواهر الأخبار؛ لاختلّت علينا أحكام ملّة النبىّ المختار، وفّقنا اللّه وإيّاك، وهدانا اللّه إلى الحقّ وهداك (۱).

۱- ۱ فى المطبوع: وفّقنا اللّه وإيّاكم، وهداك إلى الحقّ المبين.

ص: ۱۰۶

المقصد الثانی: فی تحقیق معنی العبادهٔ

لاریب أنّه لا یراد بالعبادهٔ التی لا تکون إلّالِلَّه، ومن أتی بها لغیر اللَّه، فقد کفر مطلق الخضوع والخشوع والانقیاد، کما یظهر من کلام أهل اللغهٔ، وإلّا لزم کفر العبید والأُجراء، وجمیع الخدّام لُلامراء، بل کفر الأبناء فی خضوعهم للآباء، وجمیع مَن تواضع للاخوان، أو لأحد من أصحاب الإحسان.

وإنّما الباعث علی الکفران، الانقیاد لبعض العباد مع اعتقاد استحقاقهم ذلک بالاستقلال من دون توجّه الأمر من الکریم المتعال، وأنّ لهم تدبیراً واختیاراً.

ولفظ (العبد) و (العبادهٔ) قد یُطلق علی مطلق المطیع والطاعهٔ، فقد ورد: أنّ العاصی عبد الشیطان، وأنّه عبد الهوی، وأنّ الإنسان عبد الشهوات، وأنّ مَنْ أصغی إلی ناطقٍ فقد عبده.

ثمّ مَنْ اتبع قول قائل؛ لأنّه مُخْبِرٌ عن غیره، فهو عابد للمُخْبَر عنه، لا للمُخْبِر. ومَن خدم شخصاً بأمر آمر، فالمعبود هو الآمر، ومن تبرّک بشیء لأمره، کان ذلک من عبادهٔ الآمر، فالملائکهٔ فی سجودهم لآدم، ویعقوب فی سجوده لیوسف، والناس فی تقبیلهم للحجر الأسود والأرکان، لم یعبدوا سوی مَن أمرهم بذلک.

ثمّ السجود والخضوع لعروض بعض الأسباب، لا یُنافی الإخلاص لربّ الأرباب.

روی أبو داود والترمذی، عن عکرمهٔ، قال: قیل لابن عبّاس: ماتت (فلانهٔ)- بعض أزواج النبیّصلی الله علیه و آله-، فخرَّ ساجداً، فقیل له: تسجد فی هذه الساعهٔ؟

فقال: قال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله: إذا رأیتم آیهً فاسجدوا، وأیّ آیهٔ أعظم من ذهاب

ص: ۱۰۷

أزواج النبيّصلى الله عليه و آله (۱).

فعلى هذا لو سجَدَ مَنْ رأى ميّتاً، أو قبراً، أو شيئاً عجيباً، ذاكراً لعظمة اللّه- كما يصنعه بعض العارفين- لم يكن به بأس.

وعبادة الأصنام وبعض الصالحين، مع نهى الأنبياء والمرسلين الذين دلَّتْ عليصدقهم المعاجز (۲) والبراهين، محض عناد وخلاف على ربّ العباد، ولو أنّهم أخذوا عن قول اللّه ورسله، لم يكن عليهم إيراد.

كما أنّ (السيّد) لو قال لعبده: تبرّك بثياب (فلان)، ونعله، وترابه، فَفَعلَ، كان عابداً للمولى، وأمّا لو نهاه المولى، أو أخذ بمجرّد الظنّ الذى لا يُغنى عن الحقّ شيئاً، أو الخَرْص (۳)، لكان عاصياً مخالفاً.

ألا- ترى أنّ مَن جعل المرضعات امّهات، ليس كمن جعل المصاهرات، ومَنْ حرّم الوصيلة، والسائبة، والحام (۴)، ليس كمن حرم الجلالة (۵) من الأنعام؟

وليس تحريم الأشهر الحرام كتحريم غيرها من باقى أشهر العام، وليسصيام آخر شهر رمضان كصيام أوّل شوّال. كلّ ذلك للفرق بين الأمر والاختراع،

۱- ۱ سنن أبى داود ۱: ۳۱۱، حديث ۱۱۹۷؛ وسنن الترمذى ۵: ۶۶۵، حديث ۳۸۹۱.

۲- ۲ فى المطبوع: المعجزات.

۳- ۳ الخرْص: الحدس، والكذب والافتراء.

۴- ۴ من معتقدات العرب أنّ الوصيلة من الغنم وهى الشاة إذا ولدت أُنثى فهى لهم، وإذا ولدت ذكراً- أوقفوه لآلهتهم، فإنْ ولدت ذكراً وانثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم.

أمّا السائبة فقد كان الرجل إذا نذر للقدوم من سفر، أو الشفاء من علّة، فإنَّ ناقته ستكون سائبة أى لا تستخدم للانتفاع بها، ولا تخلّى عن ماء، أو تمنع عن مرعى.

والحامهو الذكر منالإبل إذا أنتجت منصُلب الفحل عشرة أبطن. قالالعرب قدحمى ظهره، فلايُحمل عليه.

وقد حرّم القرآن هذه المعتقدات كما ورد فى سورة المائدة، آية ۱۰۳ قوله تعالى: «مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَايَعْقِلُونَ».

والبحيرة هى الشاة التى تُبحرُ أُذنُها أى تُشقّ علامة على تحريم الانتفاع بها.

۵- ۵ الحيوان الجلّال: هو الذى يأكل العذرة، وقد ورد النهىّ عن أكل لحمه، وشرب لبنه.

ص: ۱۰۸

والقول بمجرّد الابتداع (۱).

ثمّ (العبادة) تختلف باختلاف النیّات، فمَنْ قصد حقیقة العبادة اختراعاً وابتداعاً، ومخالفة لأمر اللَّه سبحانه کان کافراً، سواءً قصد القرب إلی اللَّه زلفی أو لا، بل هذا فی الحقیقة عین العناد والشقاق بعد نهی الأنبیاء والرُّسل.

کما قال قوم (شعیب) له: یَا شُعَیْبُ أَصَلَاتُکَ تَأْمُرُکَ أَنْ نَتْرُکَ مَا یَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِی أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ (۲).

وقال الصدِّیق: یَاصَاحِبَیِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَیْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ* مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّیْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُکُمْ (۳).

وحکی اللَّه عن قوم نوح وعاد وثمود أنّهم ردّوا أیدیهم فی أفواههم، وقالوا:

إِنَّا کَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِی شَکٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَیْهِ مُرِیبٍ (۴)

إلی غیر ذلک من الآیات الدالّة علی ردّهم علی الأنبیاء، وبنائهم علی الاختراع والابتداع.

وفی الاحتجاج: فی حدیث طویل عن النبیّصلی الله علیه و آله أنّه أقبل فی مشرکی العرب، فقال لهم: وأنتم فلِمَ عبدتم الأصنام من دون اللَّه؟ فقالوا: نتقرّب بها إلی اللَّه زُلفی، فقال: أوهی سامعة مطیعة عابدة لربّها حتّی تتقرّبوا بها إلی اللَّه؟ قالوا: لا، قال:

أفأنتم نحتّموها بأیدیکم؟ فقالوا: نعم، قال: فلئن تعبدکم هی أحری من أن تعبدوها، إذا لم یکن أمرکم بتعظیمها من هو العالم بمصالحکم، وعواقبکم، والحکیم فیما یکلّفکم (۵).

۱- ۱ فی المطبوع: للفرق بین الأمر والاتباع، والقول بمجرّد الاختراع والابتداع.

۲- ۲ سورة هود: ۸۷.

۳- ۳ سورة یوسف: ۳۹- ۴۰.

۴- ۴ سورة إبراهیم: ۹.

۵- ۵ أوردها أحمد بن علی الطبرسی من علماء القرن الخامس الهجری فی کتاب الاحتجاج ۱: ۲۶ بیروت، ۱۹۸۱.

ص: ۱۰۹

فإذا كان اللَّه قد نهى على لسان أنبيائه عن عبادة الأصنام والصالحين من الأنام، على نحو عبادة الصلاة والصيام، ففعلُهم بعد ذلك ردٌّ لكلام العليم العلّام.

وكشف الحقيقة: إنّ العبادة إن اريد بها مجرّد الامتثال والطاعة، كانت الزوجة، والأَمَة، والعبد، والخادم، والأجير، ونحوهم، عابدين لغير اللَّه.

وإن اريد الامتثال والانقياد للعظيم في ذاته، المستوجب للطاعة، لا بواسطة أمر غيره، فأين ذلك من أفعال المسلمين؟!

فاقسمُ عليك بمَنْ سلّطَكَ على طائفة من عباده، ومكّنك من كثير من بلاده، أنْ تخلي نفسك من حب الانفراد، الباعث على الامتياز بين العباد، وتحذر من قولهم «لكلّ جديد لذّة»، و «خالِف تُعرفْ». كما أنّي احذِّر نفسي، وأصحابي من حبّ اتّباع الآباء والأجداد، وإرادة الدخول في الجماعة، وكراهة الانفراد.

وأمّا ماصدر من أهل الإسلام، فإنّما هو عن أمر زعموه، فإنْ كان حقّاً أُثيبوا، أو كان خطأً فكذلك.

فأين حال المسلمين من حال مَنْ جعل الآلهة ثلاثة، أو اثنين، واتّخذ الملائكة أرباباً، واتّخذ بعض المخلوقين أنداداً وشركاء، يُعبَدُون من دون اللَّه أو مع اللَّه، إمّا لأهليّتهم، أو لترتّب التقرّب إلى اللَّه زُلفى من دون أمر اللَّه لهم بذلك، قال تعالى: مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ (۱)

؟!

ورُوى أنّ (قريشاً) كانوا يعبدون الأصنام، ويقولون: ليقرّبونا إلى اللَّه، ولا طاقة لنا على عبادة اللَّه، وسيجيء في بعض المقامات الآتية ما يكشف عن حقيقة ذلك.

وإن أردتَ تمام الكلام في هذا المقام، فانظر بعين البصيرة إلى ما نحاول في هذا المقام تحريره.

۱- ۱ سورة يوسف: ۴۰.

ص: ۱۱۰

اعلم أنّ الألفاظ اللغويـة والعُرفيـة العامّـة، قد تبقى على حالها من المعانى القديمة، فتلك لا تحتاج إلى بيان، سواءً وردت فى السنّة أو القرآن.

وأمّا إذا نُقلتْ عن المعانى الأوّلية إلى غيرها، أو استُعمِلت فى المعانى الثانوية على وجه المجازية، فهى من المجمل المحتاج إلى البيان، كلفظ الصلاة والصيام والحجّ، فإنّه لو لم يبيّنها الشرع لبقيت على إجمالها، حيث لا يراد منها مطلق الدعاء والإمساك والقصد، بل معنى جديد، تتوقّف معرفته على بيان وتحديد.

ومن هذا القبيل ما نحن فيه من لفظ العبادة والدعاء ونحوهما، فإنّه لا يراد بهما فى لحوق الشرك بهما المعنى القديم، وإلّا للزم كفر الناس من يوم آدم إلى يومنا هذا؛ لأنّ العبادة بمعنى الطاعة، والدعاء بمعنى النداء والاستغاثة للمخلوق لا يخلو منها أحد.

ومن أطوع من العبد لسيِّده، والزوجة لزوجها، والرعية لملوكها، ولا زالوا ينادونهم، ويطلبون إعانتهم ومساعدتهم، بل الرؤساء لم يزالوا يستغيثون بجنودهم وأتباعهم ويندبونهم.

فعُلِمَ أنّه لا يُراد بهذه المذكورات، المعانى السابقات، وتعيَّن إرادة المعانى الجديدة، فصارت بذلك من المجملات والمتشابهات، فلا يجوز الحكم بمقتضاها، إلّا فى الموضع المعلوم دون المشكوك والموهوم.

وإنّما هو خطاب الوضيع لمن شأنه رفيع، على أن يكون مالك التصرّف، أو خدمته الخاصّة لرفعته الذاتية، وشرافته الأصلية، من دون أمر آمر، ولا تكليف مكلّف، بل من مجرّد الابتداع والاختراع.

وأمّا ما كان عن أمر آمر، فالمعبود هو الآمر، ولا فرق بين أن يقول: ضع جبهتك فى الصلاة على الأرض، أو على بدن إنسان، أو غير ذلك، وبين أن يقول:

ضعها على (قبر) كذا، أو (حجر) كذا.

وإنّما كُفِّرَ عبدةُ الأصنام؛ لأنّهم فعلوا ما يُعدُّ عبادةً من دون أمر اللّه، ولأنّهم

ص: ۱۱۱

خالفوا أنبياء اللَّه فى نهيهم عن تلك الأشياء، فكانت قصد تقرّبهم فيما نهى اللَّه عنه.

إمّا بناءً على أنّ الأصنام للجبّار قاهرون، فيقرّبونهم قهراً، أو كان استهزاءً بالرسل، وتكذيباً لهم، وكلّ من الكُفْرَين أعظم من الآخر، فإنَّ المتقرّبين محصّل كلامهم أنّا نخالف أمر اللَّه وأمر رسوله، ونعبد ما نُهينا عن عبادته ليقرّبنا إلى اللَّه!

المقصد الثالث: فى الذبح لغير اللَّه

لا ـ يشكّ أحدٌ من المسلمين فى أنّ من ذبح لغير اللَّه ذبح العبادة (كما يذبح أهل الأصنام لأصنامهم حتّى يذكروا على الذبائح أسماءهم، ويهلون بها لغير اللَّه) خارجٌ عن ربقة المسلمين (۱)، سواءً اعتقدوا إلهيّتهم، أو قصدوا أن يقرّبوهم زُلفى؛ لأنّ ذلك من عبادة غير اللَّه تعالى.

وأمّا من ذبح عن الأنبياء أو الأوصياء أو المؤمنين ليصل الثواب إليهم، كما يُقرأ القرآن ويُهدى إليهم، ونصلّى لهم وندعو لهم، ونفعل جميع الخيرات عنهم، ففى ذلك أجرٌ عظيم، وليس قصد أحد من الذابحين للأنبياء أو لغيرهم سوى ذلك.

أمّا العارفون منهم، فلا كلام. وأمّا الجُهّال، فهم على نحو عرفائهم.

وقد رُوى عن النبيّصلى الله عليه و آله أنّه ذبح بيده، وقال: اللّهمَّ هذا عنّى، وعن مَنْ لم يُضح من امّتى. رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى (۲). وفى سنن أبى داود أنّ عليّاً كان يُضَحّى عن النبيّصلى الله عليه و آله بكبش، وكان يقول: أوصانى أن اضحّى عنه دائماً (۳).

وعن على عليه السلام أنّ النبيّصلى الله عليه و آله أوصانى أن اضحّى عنه (۴).

۱- ۱ هكذا فى الأصل.

۲- ۲ مسند أحمد بن حنبل ۳: ۳۵۶؛ وسنن أبىداود ۳: ۹۹، حديث ۲۸۱۰؛ وسنن الترمذى ۴: ۷۷، حديث ۱۵۰۵.

۳- ۳ سنن أبى داود ۳: ۹۴، حديث ۲۷۹۰.

۴- ۴ مسند أحمد بن حنبل ۱: ۱۵۰.

ص: ۱۱۲

وعن بُريدة، عن النبيّصلى الله عليه و آله أنّ امرأةً سألتْهُ هل تصوم عن امّها بعد موتها؟ وهل تحجّ عنها؟ قال: نعم (۱).

وعن ابن عبّاس عن النبيّصلى الله عليه و آله أنّه قال: تقضى البنتُ نذْرَ امِّها (۲).

ورُوى أنّ العاص بن وائل أوصى بالعتق، فسأل ابنه عمرو النبيّصلى الله عليه و آله عن العتق له، فأمره به.

ورُوى عن عائشة أنّ النبيّصلى الله عليه و آله قال عند الذبح: اللّهمَّ تقبّل من محمّد وآله، وامّته.

والحاصل، لا ـ كلام ولا ـ بحث فى أنّ أفعال الخير تُهدى إلى الموتى، ومَنْ أولى بالهدايا من أنبياء اللّه وأوصيائه، فليس الذبح لهم وباسمهم، حتّى يكون الإهلال لذكرهم، وإنّما ذلك عملٌ يُهدى إليهم ثوابه كسائر الأعمال، حتّى أنّه لو ذكر اسمهم على الذبيحة، كان ذلك عند المسلمين منكراً، فهو ذبح عنهم لا لهم.

وإنّى- والذى نفسى بيده- منذ عرفتُ نفسى إلى يومى هذا، ما رأيتُ، ولا سمعتُ أحداً من المسلمين ذبحَ أو نحرَ، ذاكراً لاسم نبىّ، أو وصىّ، أو عبدصالح، وإنّما يقصدون إهداء الثواب إليهم، فإن كان فى أطرافكم قبل تسلّطكم مثل ذلك، (فصاحب الدار أدرى بالذى فيها).

ولا شكّ أنّ نجداً وأعرابها قبل أن تُظْهِروا فيها أمر الصلاة والصيام، وتأمروهم بالملازمة لعبادة الملك العلّام، كانوا كالأنعام أو أضلَّ سبيلًا، وقد رفع اللّه عنهم الشقاق، وحصل بينهم الاتّفاق، وفرّقوا بين الحلال والحرام، وتوجّهوا لأوامر الملك العلّام.

ويؤيّد ذلك ما رواه ابن عمرو عن النبيّصلى الله عليه و آله أنّه قال: اللّهمَّ بارك لنا فى

۱- ۱صحيح مسلم ۲: ۸۰۵، حديث ۱۱۴۹.

۲- ۲ سنن ابن ماجة ۲: ۹۰۴.

ص: ۱۱۳

شامنـا، اللَّه بـارک لنـا فی یمننـا، قـالوا: یارسول اللَّه وفی نجـدنا، فقال: اللّهمَّ بارک لنا فی شامنا، وفی یمننا، ثمّ قالوا: یارسول اللَّه وفی نجدنا، فأظنّه قال فی الثالثهٔ: هناک موضوع الزلازل والفتن، وبها (مطلع) قرن الشیطان، رواه البخاری (۱). وإلحاق غیر أهل (نجد) بهم من قیاس الشاهد علی الغائب.

وکیف یخفی علی فحول العلمـاء وأساطین الفقهاء الـذین أقاموا الجمعات والجماعات، وأقاموا الأحکام، وأوضـحوا الشـبهات، وأمعنوا نظرهم فی فهم الآیات والروایات، أنّ الذبح لا یکون إلّالجبّار السماوات؟ مع أنّ ذلک تلقّاه عن الأکابر الأصاغر، وعن الأوائل الأواخر.

فلم یزل أهل الإسلام من قدیم الأیّام یذبحون للأنبیاء والأوصیاء والعباد الصالحین، ویهدون الثواب إلیهم طلباً لمرضاهٔ ربّ العالمین.

واختیارهم للأماکن الشـریفهٔ، کحرم النبیّصـلی الله علیه و آله ونحوه، لما ورد من أنّ الأعمال یتضاعف أجرُها لشـرف الزمان والمکان، کشرف الکوفهٔ.

روی الأصبغ بن نباتهٔ (۲) عن أمیر المؤمنین علیه السلام أنّ الخضر قال له: إنّک فی مدینهٔ لا یریدها جبّار بسوء إلّاقصمه اللَّه.

ورُوی أنّ البرکهٔ فیها علی اثنی عشر میلًا من سائر جوانبها.

وإنّ المسـلمین کافّهٔ یتبرّؤون ممّن یـدعو غیر اللَّه، أو یسـتغیث بغیر اللَّه، أو یذبـح وینحر لغیر اللَّه، أو یحلف بغیر اللَّه، علی النحو الذی وقع فی نظرکم أنّهم یقصدونه ویتعمّدونه، ومعاذ اللَّه أن یکونوا کذلک.

والـذی فلق الحبّـهٔ، وبرأ النسـمهٔ، لو علمتُ منهم ذلک، لکفرتُهم، وهاجرتُ عنهم، معتقداً وجوب ذلک علیَّ، لکن وحقِّ مَنْ اشـتقّ من ظُلمهٔ العدم نور

۱- ۱صحیح البخاری ۹: باب الفتن، حدیث ۱۶؛ وسنن الترمذی کتاب المناقب، حدیث ۷۳.

۲- ۲ الأصبغ بن نباتهٔ المجاشعی التمیمی الکوفی، تُوفی أوائل القرن الثانی الهجری.

ص: ۱۱۴

الوجود، ما وجدتُ ذلك منهم، ولاصدرَ ذلك عنهم، ولا بأس عليكم فربّما افترى الحاضرون لديكم تقرُّباً بذلك إليكم، فاقتصر على حدودِك التى أنت فيها، فإنّ النفس إذا قنعت، قليلٌ من الدُّنيا يكفيها.

وفى المشكاة: عن رسول اللَّهصلى الله عليه و آله: إنّى لستُ أخشى عليكم أن تشركوا بعدى، ولكن أخشى عليكم الدُّنيا أن تنافسوا فيها فتهلكوا، كما هلك مَنْ كان قبلكم (۱).

وبعد التأمّل الصادق لا نجد- عند مَنْ شاهدناه ممّن يدّعى الإسلام وينتسب إلى ملّة سيّد الأنام- ذبحاً، ولا نحراً، ولا نذراً، ولا عتقاً، ولا تصدّقاً، ولا وقفاً، ولا شيئاً من العبادات ممّا يتعلّق بالماليّات أو البدنيّات، ولا توسّلًا، ولا تقرّباً، إلّا إلى جبّار الأرضين والسماوات، ولو أعلمُ ذلك منهم لما قبلت كلمة الإسلام الصادرة عنهم.

فمهلًا يا أخى مهلًا، فإنّ القوم ليس حالهم كما وصل إليكم، وورد عليكم، فإنّى بهم خبير، وبأحوالهم بصير، وليس غرضى تزكيتهم، ولكن- واللَّه- هذا الذى علمتُهُ من سيرتهم، واللَّه الموفّق.

المقصد الرابع: فى النذر لغير اللَّه

هذا المقام من مزال الأقدام، وإنّما كثرت فيه الأقاويل، لخفاء الموضوع إلّا على القليل، فإنّه لا ينبغى الشكّ فى أنّ النذر لغير اللَّه على أنّه أهل لأنْ يُنذرَ له، لأنّه مالك الأشياء وبيده زمامها من الكفر والشرك، لأنّ النذر من أعظم العبادات، وإن اريد أنّه ينعقد بذلك وإن لم يُذكَر اسم اللَّه عليه فهى مسألة فقهية فرعية. واعتقاد

۱- ۱صحيح البخارى كتاب المغازى، حديث ۱۷؛ و كتاب الجهاد، حديث ۳۸؛ وصحيح مسلم كتاب الزكاة، حديث ۱۲۱؛ وسنن ابن ماجة كتاب الفتن، حديث ۱۸؛ ومسند أحمد بن حنبل، الباب الخامس، حديث ۴۸.

ص: ۱۱۵

ذلك لا عن دليل تشريع حرام، لا يُخرِج عن ملّة الإسلام.

وليس المعروف فى هذه البلدان النذر لغير اللَّه إلّاعلى معنى أنّهصدقة يُهدَى ثوابها إلى أولياء اللَّه، فمعنى النذر للنبيّصلى الله عليه و آله مثلًا أنّهصدقة منذورة يُهدى ثوابها له، وهكذا النذر لسائر الأولياء. فلا يزيد هذا على من نذر لأبيه وامّه، أو حلف، أو عاهد أن يتصدّق عنهم، كما رُوى عنهصلى الله عليه و آله أنّه قال للبنت التى نذرت لُامّها عملًا: فِ بنذْرِكِ (۱).

فإن كان النذر للآباء والامّهات كفراً، كان هذا كفراً، وإلّا فلا. فمَنْ حاول بالنذر حصول الثواب والتقرّب إلى اللَّه زُلفى من المنذور له، على أن يكون الفعل له لا على أن يكون الثواب له، فهو ضالٌّ مضلٌ. وأمّا مَنْ قصد خلاف ذلك، فلا بأس عليه.

واختيار بعض الأمكنة للنذور طلباً لشرف المكان، حتّى يتضاعف ثواب العبادة، كما يختار بعض الأزمنة لبعض العبادات، لا بأس به، بل لا بأس بتخصيص بعض الأمكنة المباركة، وهو مستفادٌ من الأخبار، كما لا يخفى على من حام حول الديار.

روى ثابت بن الضحّاك (۲)، عن النبيصلى الله عليه و آله أنّ رجلًا سأله أنّه نذر أن يذبح ببوّانة، قال: هل كان فيها وثن يُعبد؟ قال: لا، قال: فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟ فقال: لا، فقال: فِ بنذرك (۳).

۱- ۱صحيح البخارى كتاب الاعتكاف، حديث ۵، ۱۵، ۱۶؛ وصحيح مسلم كتاب الأيمان، حديث ۲۷؛ سنن أبى داود كتاب الأيمان، حديث ۲۲؛ سنن الترمذى كتاب النذور، حديث ۱۲؛ وابن ماجه كتاب الطلاق، حديث ۳۶.

۲- ۲ ثابت بن الضحّاك بن خليفة بن ثعلبة بن عدى الأنصارى مات سنة ۴۵ ه/ ۶۶۵ م.

۳- ۳ سنن أبى داود كتاب الأيمان و حديث ۲۲؛ سنن ابن ماجة باب الكفّارات، حديث ۱۸؛ مسند أحمد بن حنبل، الباب الأوّل، حديث ۹۰.

ص: ۱۱۶

ثمّ إنّی أعلم واللَّه أنّک لو وضعت منادیاً ینادی فی بلاد الإسلام، ویُعلن بصوته فی کلّ مقام، لیجد شخصاً یُعَدُّ من نوع الإنسان یقصد بنذره غیر وجه الملک الدیّان، لرجع إلیکصفر الیدین، ولم یجد ناذراً للنبیّصلی الله علیه و آله، أو الصحابة، أو الحسنین علیهما السلام.

وکیف یقصدونهم بنذورهم وعباداتهم مع علمهم بمماتهم؟ وإذا دخلوا إلی مواضع قبورهم قرأوا لهم القرآن، وأهدوا إلیهم منصلاتهم بعض ما کان، ودعوا لهم برفعة الدرجات، وزیادة الأجر عند ربّ السماوات، فإن کانوا معبودین باعتقادهم، فکیف یهدون إلیهم عبادة العبید؟!

لیتَ شعری کم من الفرق بین مَن یَعبدُ لیُقرَّب إلی اللَّه زُلفی، وبین من یُعْبَدُ اللَّه عنه لیُقرِّبه اللَّه زُلفی.

واللَّه ما نُـذِرتْ نـذور، ولا جُزِرَتْ جزور، ممّن یتّصف بالایمان، ویقرُّ بالشـهادتین بالقلب واللسان، إلّالوجه الملک الدیّان، وطلباً لرضا الواحد المنّان.

فمن کـانت هـذه مقاصـدهم، وعلی ذلک بنوا قواعـدهم، کیف ینسبون إلی عبادة غیر اللَّه، ویُشَبَّهُون بعبـدة الأصـنام المُثْبِتین شـریکاً للملک العلّام؟!

لیتَ شعری لو أنّ الرُّسل جاءت بالسجود للأحجار، أو لبعض الکواکب والأشجار، لم یکن ذلک السجود إلّاعبادة للملک الجبّار؛ لأنّ الطاعة للآمر لا لمن یکون له فی ذلک الاظهار.

ولو أنّ الناظر لصور الکواکب وهیئة الأفلاک، تدبّرها تفکُّراً فی عظمة الخالق، وسجد، کان عابداً لمدبِّرها.

ثمّ لیس المراد بالعبادة مجرّد الخضوع والتذلّل، کما هو المعنی القدیم، بل یُراد معنی جدید، وهو التذلُّل الخاصّ، علی شرط أن یکون فی کمال الصفاء والإخلاص.

وعلی فرض أن یصدر من بعض أعوام المسلمین؛ لعدم قربهم من محالّ

ص: ۱۱۷

العلماء العاملين، فلا ينبغى معاملة الجميع بهذه المعاملات، والبناء على نسبتهم إلى الشرك من دون قيام البيّنات.

فقف يا أخى فى مواضع الشبهات؛ لئلّا تقع فى الهلكات. وإنّى- واللَّه- فرحٌ مسرورٌ بدفعك عن أبناء السبيل كلّ محذور، وأمرك بالصلاة والصيام، وإنفاذ ما شرع النبى (صلّى اللَّه عليه) من الأحكام، إلّاأنّى أخشى عليك أن تأخذ العالم بذنب الجاهل، والمنصف بورطة المعاند المجادل، وفّقنا اللَّه لطريق الصواب، والفوز برضاه فى يوم الحساب، فإنّه أرحم الراحمين.

المقصد الخامس: فى القسم بغير اللَّه

لا- يرتاب مسلم فى أنّ القَسَمَ بغير اللَّه، على وجه إرادةصاحب العظمة والكبرياء والملكوت والقدرة والجبروت، باعث على الخروج عن ربقة المسملين (۱).

وأمّا إرادة مجرّد التأكيد، فلا يلزم منه كفر ولا إشراك بديهةً، إذ ليس مدار الكفر على مجرّد العبارات. ويدلّ على ذلك أنّه قد ورد القسَم بغير اللَّه متواتراً فى كلام الصحابة والتابعين، بل فى كلام خاتم النبيّينصلى الله عليه و آله.

ففى كتاب على عليه السلام إلى معاوية: لعمرى، لإنْ نظرتَ بعقلك دون هواك، لتجدنى أبرأ الناس من دم (عثمان) (۲).

وفى كلام له آخر: وأمّا تحذيرك إيّاى أن يحبط عملى وسابقتى فى الإسلام، فلعمرى، لو كنتُ الباغى عليك لكان لك أنْ تحذِّرنى ذلك.

۱- ۱ هكذا فى الأصل.

۲- ۲ نهج البلاغة: ۳۶۷.

ص: ۱۱۸

وفی کتاب معاویة: فإن کنت أبا حسن إنّما تحارب عن الإمرة والخلافة، فلعَمْری، لوصحّت خلافتک لکنت قریباً من أن تعذر فی حرب المسلمین.

وقد وقع هذا القَسَمُ بلفظ (لَعَمْری) فی کلام الصحابة والتابعین، فی نثرهم وشعرهم کثیراً، بحیث یتعذّر ضبطه.

وعن بعض أهل البیت أنّ واحداً من أصحابه حلفَ عنده: وحقّ رسول اللّهصلی الله علیه و آله، وحقّ علیٍّ ما فعلت (کذا)، وأقرّه علی ذلک.

وفی حدیث طلحة: إنّ رجلًا من أهل (نجد) جاء یسأل عن الإسلام، فقال:

أفلح الرجل- واللَّه- إنْصدق (۱).

وفی شرح مصابیح الطیبی عنهصلی الله علیه و آله: أفلح الرجل وأبیه- واللَّه-.

وحُمِلَ علی أنّها لم یرد بها حقیقة القَسَم، وإنّما تجری علی اللسان لمجرّد التأکید.

وروی نصر بن مزاحم (۲)، عن رجاله، عن عمرو بن العاص أنّه سمعَ رسول اللّهصلی الله علیه و آله وهو یقول لعمّار: تقتُلک الفئة الباغیة، وکان ذکره لأهل الشام قبل وقعة (صفّین) بعشرین سنة، فسمعه عبداللَّه بن عمر العَبْسی، وکان أعبد أهل زمانه، فخرج لیلًا وأصبح فی عسکر علی علیه السلام، فحدَّث الناس بقول عمرو، وقال شعراً:

والراقصاتُ برکب عابدینَ له إنّ الذی جاء من عمروٍ لمأثورُ

ما فی مقال رسول اللَّه فی رجلٍ شکٌّ، ولا فی مقال الرسل تحبیرُ

ومن الشعر المنقول عن علی بن الحسین قوله:

«نحنُ وبیت اللَّه أولی بالنبیّ»

۱- ۱صحیح البخاری کتاب الأیمان، حدیث ۳؛ وسنن أبی داود کتاب الصلاة، حدیث ۱؛ سنن النسائی کتاب الصلاة، حدیث ۴؛ سنن الدارمی کتاب الصلاة، حدیث ۲۰۸.

۲- ۲ وقعةصفّین لنصر بن مزاحم: ۳۴۳.

ص: ۱۱۹

وکمللصحابة والتابعین من حلف بشیبة رسول اللّه، وضریحه وعینیه، وتربته، ولیس هذا من القَسَم الحقیقی فی شیء، إذ المراد مجرّد التأکید والتثبّت دون حقیقة القَسَم التی هی مدار القضایا والحکومات، وتدور علیها ما لزم من الکفّارات.

فما ورد عن ابن عمر، عن النبیّصلی الله علیه و آله؛ إنّ اللّه نهاکم أن تحلفوا بآبائکم (۱).

وفی الصحیحین: إنّ اللّه ینهاکم أنْ تحلفوا بآبائکم، فمَنْ کان حالفاً فلا یحلف إلّا باللّه، أو یصمت (۲).

وعن عبد الرحمن بن سمرة، عن النبیّصلی الله علیه و آله: لا تحلفوا بالطواغی، ولا بآبائکم، رواه مسلم (۳).

وعن أبی هریرة عن النبیصلی الله علیه و آله أنّه قال: لا تحلفوا بآبائکم، ولا بامّهاتکم، ولا بالأنداد، رواه أبو داود، والنسائی (۴).

وعن بریدة، قال: قال رسول اللّهصلی الله علیه و آله: من حلف بآبائه فلیس منّا (۵).

فهذه الأخبار محمولة علی من قصد الیمین الحقیقی المثبتة والنافیة التی تترتّب علیها الکفّارة، فإنّها لا تکون إلّاباللّه، کما یرشد إلیه ذکر الطواغیت، والأنداد.

ونُقِلَ عن أحمد أنّ الحلف بالنبیّصلی الله علیه و آله ینعقد؛ لأنّه أحد رکنی الشهادة، أو یُحمَلُ علی الکراهة، کما فی شرح (المنهاج) وفیه: الحلف بالمخلوق کالنبیّ، والکعبة، وغیرهما مکروه، لقولهصلی الله علیه و آله: لا- تحلفوا بآبائکم، ولا- بامّهاتکم، ولا تحلفوا إلّاباللّه.

والتحقیق أنّ الحلف غیر المقصود معناه لا بأس به.

۱- ۱ سنن النسائی کتاب الأیمان والنذور ۴: ۴.

۲- ۲صحیح مسلم کتاب الأیمان، باب النهی عن الحلف بغیر اللّه تعالی، حدیث ۳.

۳- ۳صحیح مسلم کتاب الأیمان، حدیث ۶. والطواغی هی الأصنام. ومفردها طاغیة. وکلّ مَن طغی وجاوزَ الحدّ المعتاد من الشرّ سُمّی طاغیة.

۴- ۴ سنن أبی داود ۳: ۲۲۲، حدیث ۳۲۴۸؛ وسنن النسائی کتاب الأیمان والنذور ۴: ۵.

۵- ۵ سنن أبی داود ۳: ۲۲۳، حدیث ۳۲۵۳.

ص: ۱۲۰

روی أبو هريرة عن النبیّصلی الله عليه و آله أنّه قال: اليمين علی نيّة المستحلف (۱).

القسم الثانی: أن يُراد به الإثبات والنفی، فإن كان مأخوذاً عن دليل، لم يكن فيه بأس، وترتّب عليه الأثر عند الفقيه المُثْبِت له، ولم يكن عليه شیء، وإن قصد بالحلف بالمخلوق أنّه ذو الكبرياء والجبروت والمُلك والملكوت، فهو كفر.

وربّما نزل عليه ما رواه ابن عمر، عن النبیّصلی الله عليه و آله: إنَّ مَنْ حلف بغير اللَّه فقد أشرك، رواه الترمذی (۲).

وروی عن ابن عمر، عن النبیّصلی الله عليه و آله: إنَّ مَن حلف بغير اللَّه فقد كفر.

أو ينزّل هذا علی المبالغة، كما ورد فی كثير من فعل المعاصی وترك الواجبات، وما عدا هذا القسم والذی قبله بناؤه علی الكراهة، إذ لو كان حراماً ماصدر من الصحابة بمحضر من الناس، ولم ينكر عليهم.

مضافاً إلی أنّه ممّا توفّر الدواعی علی نقله، ولو كان محرَّماً للهجتْ به ألسنة الخطباء والوعّاظ، ولم يخفَ علی الصبيان، فضلًا عن العلماء الأعيان، وليس الغرض المهمّ سوی دفع الكفر عن الناس إذاصدر منهم مثل ذلك.

وتفصيل الحال: أنَّ القَسَمَ والعهد بغير اللَّه إن قُصِدَ بهما ذو العزّة والجلال، والعلو فوق كلّ عال، كما يحلف المربوب بربّه، فلذلك كفرٌ وإشراك.

وإنْ قصد ترتّب الأحكام عليه من إثبات حقوق الناس، ولزوم الكفّارات، فذلك تشريعٌ وعصيان، إلّامَنْ أثبت ذلك بزعم الدليل والبرهان، وإن رأی وجوب العمل بذلك لمجرّد الإكرام؛ لأنّ عدم العمل ينافی الاحترام، فلا أری فيه بأساً فی المقام.

وإنْ اريد به مجرّد التأكيد من دون ترتّب بشیء من الأحكام، فأولی بالدخول

۱- ۱ هذا هو القسم الأوّل.

۲- ۲ سنن الترمذی كتاب النذور، باب ۹؛ وسنن النسائی كتاب الأيمان، باب ۴، وابن ماجة كتاب الكفّارات، باب ۲؛ سنن الدارمی كتاب النذور، باب ۶.

ص: ۱۲۱

فی المباح، والخروج من الحرام. وإنْ وقعَ لغواً وهـذراً من غیر قصـد، فلا یُعـدُّ من الأیمان، ولا مـدار علیه فی شـیء کائناً ما کان، واللَّه الموفّق.

المقصد السادس: فی الاستغاثهٔ

لاـ یخفی أنّ الاسـتغاثهٔ بـالمخلوق علی أنّه الفاعل المختار مـدخل للمسـتغیث فی أقسام الکفّار، وإنّما المراد منه طلب الشـفاعهٔ وسؤال الدعاء.

وقد روی النسائی والترمذی فی حدیث الأعرابی أنّ النبیّصلی الله علیه و آله علّمه قول:

یا محمّد إنّی توجّهت بک إلی اللَّه، ونحوه ما فی حدیث ابن حنیف (۱).

وروی البیهقی فی خبرٍصـحیح أنّه فی أیّام عمر رضـی الله عنه جاء رجل إلی قبر النبیّصلی الله علیه و آله، فقال: یا محمّد استسق لُامّتک فَسُقَوا (۲).

وروی الطبرانی وابن المقری وأبو الشیخ أنّهم کانوا جیاعاً، فجاؤوا إلی قبر النبیّصلی الله علیه و آله فقالوا: یارسول اللَّه الجوعَ، فأُشبعوا.

وروی البیهقی عن مالک الدار خازن عمر رضی الله عنه، قال: أصاب الناس قحط، فذهب إلی قبر النبیّصلی الله علیه و آله فقال: استسق لُامّتک فقد هلکوا، فأتاه النبیّصلی الله علیه و آله فی المنام، وقال له: قُلْ لعمر: إنّهم سقوا.

ومن ذلک قوله تعالی: فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِی مِنْ شِیعَتِهِ عَلَی الَّذِی مِنْ عَدُوِّهِ (۳).

وعن معاذ أنّه لمّا کان فی الیمن جاءه نعی النبیّصلی الله علیه و آله، فرجع وهو یقول:

یا محمّداه، یا أبا القاسماه، وبقی علی ذلک برههٔ من الزمان. وفیه ظهور بالاستغاثهٔ.

۱- ۱ سنن الترمذی کتاب الدعوات، باب ۱۱۸؛ وسنن ابن ماجهٔ کتاب إقامهٔ الصلاهٔ والسنّهٔ فیها، باب ۱۸۹، حدیث ۱۳۸۵. وابن حنیف هو عثمان بن حنیف الأنصاری، سکن الکوفهٔ، ومات فی خلافهٔ معاویهٔ.

۲- ۲ سنن البیهقی ۳: ۳۲۶.

۳- ۳ سورهٔ القصص: ۱۵.

ص: ۱۲۲

وعن أبی بکر بن محمّد بن الفضل أنَّ (بلالًا) لمّا أخذ فی النَزْع، قالت امرأته:

وا ویلاه وا حزناه، فقال لها: لا تقولی وا حزناه، فإنّی قصدتُ الذهاب إلی محمّدٍ وحزبه.

وروی الکازرونی ندبهٔ الزهراء علیها السلام، وروی ندبهٔ معاذ النبیّصلی الله علیه و آله. وعن النعمان ابن بشیر، قال: أُغمی علی عبداللَّه بن رواحهٔ، فجعلت اخته عمرهٔ تبکی وتقول:

وا جبلاه (١).

وما رُوی عن أبی موسی عن النبیّصلی الله علیه و آله أنّه ما من میّت یموت، فیقوم باکیه ویقول: وا جبلاه، وا سیّداه إلّاوکّل اللَّه به ملکین یلهزانه، ویقولان له: أکان هکذا؟! فمبنیٌّ علی النهی عن العزاء والبکاء.

وفی قصّهٔ إدریس أنّ المطر انقطع عن قومه عشرین سنهٔ، فجاؤوا إلیه یدعو لهم.

وعن رسول اللَّهصلی الله علیه و آله أنّ ملکاً غضب اللَّه علیه، فأُهبط من السماء، فأتی إدریس، فاستشفع به، فدعا له، فأذن له فی الصعود، فصعد.

وفی الحقیقهٔ أنّ المستغیث بالمخلوق إن أراد طلب الدعاء والشفاعهٔ من المُستَغاث به، فلا بأس به، وإن أراد إسناد الامور بالاستقلال إلیه، فالمسلمون منه براء.

علی أنّا بیّنا فیما سبق أنّ الاستغاثهٔ بدار (زید)، وصفاته، وغلمانه، وخَدَمه، ربّما ارید بها الاستغاثهٔ به، فیکون هذا أولی فی بیان ذلّ المستغیث، وأنّه لا یری لسانه أهلًا لأن یجری علیه اسم المولی؛ ولهذا تری أنّ طاعهٔ اللَّه تُذکر بعدها طاعهٔ رسول اللَّهصلی الله علیه و آله ورضاه یذکر بعد رضا اللَّه ورسوله، وإذا انفردت إحداهما دخلت فیها الاخری.

١- ١ سنن البیهقی ۴: ۶۴.

ص: ۱۲۳

روی أبو هريرة عن النبيّصلى الله عليه و آله أنّه قال؛ مَنْ أطاعنی فقد أطاع اللّه، ومَنْ عصانی فقد عصی اللّه، ومَن يُطع الأمير فقد أطاعنی، ومَنْ يَعْص الأمير فقد عصانی (۱).

وكيف يُستغاث حقيقةً بمن لا يدفع عن نفسه ضُرّاً ولا شرّاً، ولا يملك رزقاً، ولا موتاً، ولا حياةً ولا نشوراً، المبدأ من تراب، ثمّ نطفة مودعة فی الأصلاب، ثمّ جسم مُعرَّض للبليّات، ثمّ بعدها يكون من الأموات.

وإنّما شرّفه بالعبودية والانقياد للحضرة القدسية، ولولا أمر اللّه ما سُمِعَ له كلام، ولا رُفع له مقام، وليس بيننا وبينه ربط سوی أمر الملك العلّام.

فليس المراد بالاستغاثة إلّاطلب الدُّعاء من المُستغاث به، لما فی الحديث القدسی: يا موسی ادعنی بلسانٍ لم تَعْصِنی فيه، فقال: ياربّ وأين ذلك؟ فقال:

لسان الغير.

فالمستغيث إن طلب أصالةً واستقلالًا من المستغاث به، كان معوّلًا عليه فی كلّ أمر يرجع إليه، وإلّا فالمستغاث به حقيقةً هو الذی تنتهی إليه الامور.

وكذلك الدعاء إن قُصِدَ أنّ المدعوّ هو الفاعل المختار الذی تنتهی إليه الأشياء، فذلك كفر بربّ السماء، وإن اريد المجاز، فلا يدخل تحت حقيقة الدعاء.

ولا ريب أنّ كلّ مَنْ قال لشخص: أعنّی علی بناء الدار، أو قضاء الدَّين، أو قال: أعطنی، أو غير ذلك، بقصد الدعاء، أعنی: طلب المربوب من الربّ، فهو كفرٌ وإشراك. وإن قصد الطلب لا علی ذلك النحو، لم يكن كفراً.

ولو كان المدار علی هذه الصورة، لكُفِّرت الخلائق من يوم آدم إلی يومنا هذا، بلصدور هذه العبارات عن الأنبياء والأوصياء أبين من الشمس.

۱- ۱صحيح البخاری كتاب الجهاد، باب ۱۰۹؛صحيح مسلم كتاب الامارة، باب ۲۳؛ سنن النسائی كتاب البيعة، باب ۲۷؛ ابن ماجة المقدّمة، باب ۱. وقد رويت الإمام، أميری.

ص: ۱۲۴

وكذلك (الاستجارة)، و (الندبة)، ونحوهما، فإن كانت على الطور المعهود، كقوله تعالى: وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ (۱)

، فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِی مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِی مِنْ عَدُوِّهِ (۲) فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ (۳)

، فلا محيص عن القول بجوازه. فتفاوت العبارات باختلاف النيّات.

فمن كان داعياً دعاء الأصنام وسائر الأرباب، أو مستغيثاً كذلك، فهو كافر مشرك. وإن أراد المُتَعارف بين سائر الناس، فليس به بأس.

فبحقٍّ مَنْ شقَّ سمعك وبصرك، أن تُمْعِن فی هذا المقام نظرَك، وتُصفِّی نفسك عن حبّ الانفراد، كما يلزمنا التخلية عن حبّ متابعة الآباء والأجداد.

ولا فرق بين الأحياء والأموات؛ لأنّ من استغاث بالمخلوق أو استجار على أنّه فاعلٌ مختار، فقد دخل فی أقسام الكفر، فالاستغاثة بعيسى أو بمريم، حيّين أو ميّتين، تقع على القسمين.

واعتقاد أنّ الميّت يسمع أو لا يسمع، ليس من عقائد الدين التی تجب معرفتها على المسلمين، فمن اعتقدَها: فإمّا أن يكون مصيباً مأجوراً، أو مخطئاً معذوراً.

ومن ذلك القبيل الألفاظ التی تفيد الرجاء، والتوكّل، والاعتماد، والتعويل، والالتجاء، والاستعانة بغير اللَّه، فإنّ هذه العبارات لو بُنی على ظاهرها لم يبقَ فی الدُّنيا مسلمٌ، إذْ لا يخلو أحدٌ من الاستعانة على الأعداء، والاعتماد على الأصدقاء، والالتجاء إلى الامراء، ونحو ذلك.

إلّا أنّه إن قصد الملتجأ إليه والمعوّل عليه من المخلوقين له اختيارٌ وتدبيرٌ فی العالم لنفسه لا عن أمر اللَّه، فذلك كفرٌ باللَّه، وإلّا فلا بأس.

وممّا يناسب نقله فی هذا المقام ما نقله القتيبی، قال: كنت جالساً عند قبر

۱- ۱ سورة التوبة: ۶.

۲- ۲ سورة القصص: ۱۵.

۳- ۳ سورة البقرة: ۶۱.

ص: ۱۲۵

رسول اللَّهصلى الله عليه و آله فجاء أعرابيٌّ، فسلَّمَ على النبيّصلى الله عليه و آله، ثمّ أنشأ يقول:

يا خير مَن دُفنت بالقاع أعظمُهُ فطابَ من طيبهنّ القاعُ والأكمُ

نفسى الفداء لقبرٍ أنت ساكنُهُ فيه العفافُ، وفيه الجودُ والكرمُ

ثمّ قال: ها أنا ذا يارسول اللَّه، فقد ظلمتُ نفسى، وأنا أستغفر اللَّه وأسألك يارسول اللَّه أن تستغفر لى. قال القتيبى: ثمّ نمتُ، فرأيتُ النبيّصلى الله عليه و آله فى المنام، فقال: يا قتيبى أدرك الأعرابى وبشِّره أنّه قد غَفَرَ اللَّه له، قال: فأدركتُهُ وبشّرتُه.

المقصد السابع: فى التوسّل

ولا ريب أنّه من سنن المرسلين، وسيرة السلف الصالحين، ودلّت عليه الأخبار والآثار.

نُقِل أنّ آدم لمّا اقترف الخطيئة، قال: ياربّى أسألك بحقِّ محمّدصلى الله عليه و آله لما غفرت لى، فقال: يا آدم كيف عرفت؟ قال: لأنّك لمّا خلقتنى نظرتُ إلى العرش، فوجدتُ مكتوباً فيه: (لا إله إلّااللَّه، محمّدٌ رسول اللَّه)، فرأيتُ اسمه مقروناً مع اسمك، فعرفتُهُ أحبّ الخلق إليك.صحّحه الحاكم (۱).

وعن عثمان بن حنيف أنّ رجلًا ضرير البصر أتى النبيّصلى الله عليه و آله فقال: ادعُ اللَّه أن يعافينى، فقال النبيّصلى الله عليه و آله: إن شئتصبرتَ فهو خيرٌ لك، وإن شئت دعوت، قال:

فادْعُهُ، فأمره أن يتوضّأ، ويدعو بهذا الدعاء: (اللّهمَّ إنّى أسألُك وأتوجّه إليك بنبيِّك محمّد نبىِّ الرّحمة، يا محمد إنّى توجّهتَ بك إلى ربّى فى حاجتى ليقضيَها، اللّهمَّ شفِّعْهُ فىَّ) (۲).

۱- ۱ مستدرک الحاکم ۲: ۶۱۵.

۲- ۲ سنن الترمذى كتاب الدعوات، باب ۱۱۹، حديث ۳۵۷۸؛ وسنن ابن ماجة كتاب إقامة الصلاة، باب ۱۸۹، حديث ۱۳۸۵.

ص: ١٢۶

وفيه دلالة على جواز الشفاعة فى الدُّنيا، وعلى الاستغاثة، رواه الترمذى، والنسائى، وصحّحه البيهقى، وزاد: فقام وقد أبصر.

ونقل الطبرانى عن عثمان بن حنيف أنَّ رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفّان فى حاجته، فكان لا يلتفت إليه، فشكا ذلك لابن حنيف، فقال له: اذهب وتوضّأ وقل:... (وذكر نحو ما ذكر الضرير)، قال: فصنع ذلك، فجاء البوّاب، فأخذه وأدخله على (عثمان)، فأمسكه على (الطنفسة) وقضى حاجته (١)..

وروى أنّه لمّا دعا النبيّصلى الله عليه و آله لفاطمة بنت أسد، قال: اللّهمَّ إنّى أسألك بحقّ نبيّك والأنبياء الذين من قبلى... (إلى آخر الدعاء) (٢).

وفى الصحيح عن أنس أنّ عمر بن الخطّاب رضى الله عنه كان إذا أقحط الناس استسقى بالعبّاس، فقال: اللّهمَّ إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبيِّك فتسقينا، وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبيِّك، ونستشفع إليك بشيبته، فَسُقوا (٣).

وروى الشيخ عبد الحميد (بن أبى الحديد) عن على عليه السلام أنّه قال: كنتُ من رسول اللَّه كالعضد من المنكب، وكالذراع من العضد، وربّانيصغيراً، وواخانى كبيراً، سألته مرّةً أن يدعو لى بالمغفرة، فقام فصلّى، فلمّا رفع يديه سمعته يقول:

اللّهمَّ بحقّ على عندك اغفر لعلى، فقلتُ: يارسول اللَّه ما هذا؟ فقال: أوَ أحدٌ أكرم منك عليه، فأستشفعُ به إليه؟ (۴).

وفى هذين الخبرين دلالةٌ على شفاعة الدُّنيا.

وفى مسند ابن حنبل أنّ عائشة قال لها مسروق: سألتك بصاحب هذا القبر ما الذى سمعت من رسول اللَّه (يعنى: فى حقّ الخوارج)؟ قالت: سمعته يقول: إنّهم

١- ١ سنن ابن ماجة كتاب إقامة الصلاة، باب ١٨٩، حديث ١٣٨۵.

٢- ٢ كنز العمّال ۶: ١٨٩.

٣- ٣صحيح البخارى كتاب الاستسقاء، باب ٣؛ و كتاب فضائل أصحاب النبىّ، باب ١١.

۴- ۴ شرح نهج البلاغة ۴: ۵۵٨.

ص: ۱۲۷

شرُّ الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم عند اللّه وسيلة (۱).

وعن الأعمش أنّ امرأةً ضريرةً بقيت ستّة ليال تُقْسِمُ على اللّه بعليّ، فعوفيت.

فما رواه جبير بن مطعم عن النبيّصلی الله عليه و آله أنّه أتاه أعرابی، فقال: جهدت الأنفس، وجاع العيال، فاستسق لنا، فإنّا نستشفع بک إلی اللّه، ونستشفع باللّه عليک، فقال النبيّصلی الله عليه و آله: «ويحک إنّه لا يستشفع باللّه علی أحد، شأن اللّه أعظم»، فليس ممّا نحن فيه؛ لأنّه نهی عن الاستشفاع باللّه لا بأحد إلی اللّه.

وعن عليّ أنّه قال لسعد بن أبی وقّاص: أسألک برحم ابنی هذا، وبرحم حمزة عمّی منک ألّا تکون مع عبد الرحمن (۲).

وعن عائشة (رض) أنّ النبيَّ أسرَّ إلی فاطمة سرّاً، فبکتْ بکاءً شديداً، فسألتها، فقالت: ما کنت لأفشی سرَّ رسول اللّهصلی الله عليه و آله، فلمّا قُبِضَ سألتُها وقلتُ لها:

عزمتُ عليک بما لی عليک من الحقّ، (... الخبر) (۳).

وروی أبو مخنف عن أبی الخليل، قال: لمّا نزل طلحة والزبير فی موضع (کذا)، قلت: ناشدتکما اللّه وصُحبة رسول اللّهصلی الله عليه و آله.

وعن علی عليه السلام أنّ يهودياً جاء إلی النبيّصلی الله عليه و آله، فقام بين يديه، وجعل يحدّ النظر إليه، فقال: يا يهودی ما حاجتُک؟ فقال: أنت أفضل أم موسی؟ فقال له: إنّه يکره للعبد أن يزکّی نفسه، ولکن قال اللّه تعالی: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ (۴)

إنّ آدم لمّا أصابته خطيئته التی تاب منها کانت توبته (اللّهمَّ إنّی أسألُکَ بمحمّد وآل محمّد لما

۱- ۱ سنن الدارمی کتاب الجهاد، باب ۳۹؛ مسند أحمد بن حنبل ۱: ۱۴۰؛ سنن ابن ماجه المقدّمة، باب ۱۲، حديث ۱۷۰.

۲- ۲ الترمذی ۵: حديث ۱۷۰.

۳- ۳صحيح البخاری ۴: ۲۱۰؛ وصحيح مسلم ۴: ۱۹۰۵؛ والترمذی ۵: ۶۵۸.

۴- ۴ سورة الضحی: ۱۱.

ص: ١٢٨

غفرت لی)، فغُفِرَ له (۱).

وعن علی علیه السلام أنّه بعد دفن النبیّصلی الله علیه و آله قام عند قبره الشریف، فقال مخاطباً له:

طبتَ حیّاً وطبتَ میّتاً، انقطع عنّا بموتک ما لم ینقطع بموت أحد سواک من النبوّة والأنباء، وأخبار السماء، (والحدیث طویل) إلی أن قال: بأبی أنت وامّی اذْکُرْنا عند ربّک، واجعلنا من بالک وهمک.

ونقل الشیخ عبد الحمید أنّ معاویة سأل عقیلًا عن علیّ علیه السلام، فقال له عقیل:

یا معاویة جاءته زقاق عسل من الیمن، فأخذ الحسین منها رطلًا واشتری إداماً لخبزه، فلمّا جاء علیّ لیقسّمها قال: یا (قنبر) أظنُّ أنّه قد حَدَثَ بهذا حدثٌ؟ قال:

نعم، وأخبره بقصّة الحسین علیه السلام فغضب، وقالعَلیَّ (بحسین) فرفع الدرّة علیه، وقال:

بعمّی (جعفر)، (وکان إذا سُئل بحقّ جعفر سکن)، فأجابه (الحسین) بما أجاب.

ونقل الشیخ عبد الحمید أنّ رجلًا وفد من مصر، فاستعاذ بعُمر.

وکیف کان فقد بانَ أنّ مَنْ توسّل إلی اللَّه (بمعظَّم) من: قرآن، أو نبیّ، أو عبدصالح، أومکانشریف، أو بغیر ذلک، فلا بأس علیه، بلکان آتیاًبماهوأولی وأفضل.

ولا بأس بالتوسّط بحقّ المخلوقات، فإنّ للمولی علی عبده حقّ المالکیة، وللعبد حقّ المملوکیة، وللخادم حقّ الخدمة، وللأرحام حقّ الرحم، وللصدیق حقّ الصداقة، وللجار حقّ الجوار، وللصاحب حقّ الصحبة. فالحقّ عبارة عن الرابطة بأیّ نحوٍ اتّفقت، وعلی أیّ جهةٍ کانت.

وعلی ذلک جرت عادة السلف من أیّام النبیّصلی الله علیه و آله إلی یومنا هذا، لا ینکره أحدٌ من المسلمین، والدعوات، والمواعظ مشتملة علیه، والإجماع منعقدٌ علیه، فلم یبقَ فی المقام إشکال، ولا بقی محلّ للقیل والقال، واللَّه ولیّ التوفیق، وهو أرحم الراحمین.

۱- ۱ کنز العمّال ۱۱: ۴۵۵.

ص: ۱۲۹

طواف النساء ونبذة من أحكامه فى فقه الشيعة

طواف النساء ونبذة من أحكامه فى فقه الشيعة

طواف النساء ونبذة من أحكامه فى فقه الشيعة

عبد الكريم آل نجف

يقع البحث الفقهى فى طواف النساء من جهات متعدّدة نأتى عليها تباعاً:

اختصاص الفقه الإمامى بهذا الطواف

يعدّ القول بوجود طواف فى الحج اسمه طواف النساء من جملة مختصّات الفقه الإمامى، قال السيّد المرتضى فى الانتصار: «وممّا انفردت الإماميّة به القول: بأنّ من طاف طواف الزيارة فقد تحلّل من كلّ شىء كان به محرّماً إلّاالنساء فليس له وطؤهنّ إلّابطواف آخر متى فعله حللن له وهو الذى يسمّونه طواف النساء» (۱).

وليس لدى المذاهب الاخرى طواف بهذا الاسم وهذه الصفة، وقد لخّص ابن قدامة أطوفة الحجّ عند الجمهور بقوله: «الأطوفة المشروعة وطواف القدوم وهو سنّة لا شىء على تاركه، وطواف الوداع واجب ينوب عنه الدم إذا تركه، وبهذا قال أبو حنيفة وأصحابه والثورى... وما زاد على هذه الأطوفة فهل نفل» (۲)

۱- ۱ الانتصار: ۲۵۵.

۲- ۲ المغنى، عبد الدين قدامة ۳: ۴۶۸ ط دار الكتاب العربى.

ص: ۱۳۰

وعلّق عبد الرحمن بن قدامة علی کلام المغنی بما یؤیّده وذلک فی الشرح الکبیر (۱).

إلّا أنّ الذی یراجع الفقه الزیدی یجد فیه عنوان طواف النساء مذکوراً کتسمیة من تسمیات طواف الزیارة لا کطواف مستقلّ. ففی کتاب الأحکام لحسین ابن الحسین (ت ۲۹۸) نقرأ أنّ طواف النساء هو طواف الزیارة (۲).

وفی شرح الأزهار لأحمد المرتضی (ت ۸۴۰) نقرأ فی بعض التعلیقات والحواشی: «أنّ طواف الزیارة یقال له طواف النساء وطواف الإفاضة وطواف الفرض؛ لأنّه یحلّ به النساء ولأنّ فیه زیارة البیت العتیق ولا یتمّ الحجّ إلّابه» (۳).

وواضح أنّ ما یقوله الإمامیة شیء غیر التسمیة، وهو أنّ طواف الزیارة یحلّل ما غیر النساء من المحرّمات، وأنّ النساء لا تحلّ إلّابإتیان طواف آخر یکون فی نهایة الحجّ اسمه طواف النساء.

هل یقوم طواف الوداع مقام طواف النساء؟

والمسألة لا خلاف عندهم فیها سوی خدشة وردت من مصادر متعدّدة، وأفادت بأنّ طواف الوداع یقوم مقام طواف النساء.

فقد ورد فی التهذیب عن إسحاق بن عمّار عن الصادق علیه السلام قال: «لولا ما منَّ اللّه به علی الناس من طواف الوداع؛ لرجعوا إلی منازلهم ولا ینبغی لهم أن یمسّوا نساءهم...» (۴).

ونقل العلّامة فی المختلف عن الصدوق الأب قوله: «ومتی لم یطف الرجل طواف النساء لم یحل له النساء حتّی یطوف، وکذلک المرأة لا یجوز لها أن تجامع حتّی تطوف طواف النساء، إلّاأن یکونا طافا طواف الوداع فهو

۱- ۱ المصدر نفسه ۳: ۴۶۹ عبارة الشرح الکبیر فی هامش المغنی.

۲- ۲ الأحکام ۱: ۲۹۷، ۳۰۲.

۳- ۳ شرح الأزهار ۲: ۱۲۹، طصنعاء.

۴- ۴ تهذیب الأحکام ۵: ۲۵۳، ح ۸۵۶. تحقیق السیّد حسن الخرسان.

ص: ۱۳۱

طواف النساء..» (۱).

ثمّ جاء من بعده ابنه الصدوق الثانی فقال فی من لا یحضره الفقیه:

«وروی فیمن ترک طواف النساء أنّه إن کان طاف طواف الوداع فهو طواف النساء» (۲).

فأصبحت هذه النقولات الثلاثة مثار بحث بین فقهاء الإمامیة حول حقیقة طواف الوداع وما له من دور فی التحلیل.

فقد استشکل العلّامة علی کلام ابن بابویه بأنّ «هذا القول فی غایة الإشکال فإنّ طواف الوداع مستحبّ وطواف النساء واجب، فکیف یجزئ طواف الوداع عن طواف النساء» (۳).

وتعرّض إلی روایة التهذیب فقال: «فإن استند إلی روایة إسحاق بن عمّار عن الصادق علیه السلام... قلنا: إنّ فی إسحاق بن عمّار قولًا ومع ذلک فهی معارضة بغیرها من الروایات، وابن الجنید سمّی طواف النساء طواف الوداع وأوجبه» (۴).

وعلی هذا المعنی مشهور الفقهاء فنجد فی المتأخّرینصاحب الجواهر یقول:

«وعلی کلّ حال فظاهر ما سمعته من النصّ والفتوی وجوب قضائه وإن کان قد طاف طواف الوداع مضافاً إلی کونه مستحبّاً فلا یجزئ عن الواجب، لکن قال الصادق علیه السلام فی خبر إسحاق: لولا ما منَّ اللّه به علی الناس من طواف الوداع...

الخ، بل عن علی بن بابویه مع إمکان اختصاصه بالعامّیة الذین لا یعرفون وجوب طواف النساء وإرادة المنّة علی المؤمنین بالنسبة إلی نسائهم الغیر العارفات، وکون المراد أنّ الإتفاق علی فعل طواف الوداع سبب لتمکّن الشیعة من طواف النساء إذ

۱- ۱ المختلف ۴: ۲۰۲. ط جماعة المدرّسین- قم.

۲- ۲ من لا یحضره الفقیه ۲: ۳۹۱. ط جماعة المدرّسین- قم.

۳- ۳ المختلف ۴: ۳۰۲، کذلک: ۲۰۲.

۴- ۴ المصدر نفسه: ۲۰۳.

ص: ۱۳۲

لولاه لزمتهم التقيّة بتركه غالباً» (۱).

سوى أنّ المحقّق البحرانى نـاقش العلّامـة الحلّى فأورد كلامه السابق ثمّ علّق عليه بقوله: «أقول: لا يخفى عليك أنّ مسـتند الشـيخ على بيانه فى غير موضع وهـذه العبارة عين عبارته عليه السـلام فى الكتاب المـذكور، ولكنّ الجماعـة لم يصل إليهم الكتاب فاعترضوا عليه بمثل ما هو مـذكور هنا وغيره، وإلى هـذه الرواية أشار ابنه فى من لا يحضـره الفقيه أيضاً حيث قال بعد رواية معاوية بن عمّار عن أبى عبداللّه عليه السلام...

وروى فى من نسى طواف النساء أنّه إن كان طاف طواف الوداع فهو طواف النساء. وظاهر جملة من الأصحاب منهم شيخنا الشهيد فى الدروس حمل الناس فى رواية إسحاق بن عمّار المذكورة على العامّة، والظاهر أنّ الوجه فيه من حيث إنّ العامّة لا يرون وجوبه، وكان برجوعهم دون الإتيـان به تحرم عليهم النسـاء، فوسّع اللّه بكرمه عليهم جعل طواف الوداع لهم قائماً مقامه فى تحليل النساء لهم، إلّا أنّه لما ورد فى أخبارنا كما عرفت من كلامه عليه السلام فى كتاب الفقه ثبوت ذلك للناس أيضاً، فالواجب حمل خبر إسحاق على ذلك فيكون من نسـى طواف النساء منّا فإنّه تحلّ له النساء بطواف الوداع وإن وجب عليه التـدارك، ولا بعـد فى ذلك بعـد قيام الدليل عليه وإن لم يكن مشـهوراً عنـدهم، وأمّـا مـا اعتـلّ به فى المختلف من أنّ طواف الوداع مسـتحبّ ولا ـ يجزئ عن الواجب فهو على إطلاـقه ممنوع فإنّصيام يوم الشكّ مستحبّ من شعبان ويجزى عن شهر رمضان لو ظهر كونه منه واللّه العالم» (۲).

ووافق الفيض الكاشانى كلام البحرانى فى قيام طواف الوداع مقام طواف النساء مع لزوم التدارك (۳).

۱- ۱ جواهر الكلام ۱۹: ۳۹۰ ط دار الكتب الإسلامية.

۲- ۲ الحدائق ۱۶: ۱۸۵- ۱۸۶، ط جماعة المدرّسين- قم.

۳- ۳ الوافى ۱۴: ۱۲۳۱، ط اصفهان.

ص: ۱۳۳

وهنا عدّة مواقع للنظر:

۱- فی السند، فإنّ العلّامة حاول الخدشة فيه حينما قال: إنّ فی إسحاق بن عمّار قولًا، وغرضه ما قاله الشيخ فی الفهرست عن إسحاق بن عمّار الساباطی:

كان فطحياً إلّاأنّه ثقة، فمع التوثيق تُعدّ فطحيته خدشة فيه، وقد قال بعض أعلام الرجال إلى اتّحاده مع إسحاق بن عمّار الساباطی الذی ذكره النجاشی ووصفه بأنّه:

شيخ من أصحابنا ثقة.. وهو فی بيت كبير من الشيعة (۱).

فترفع الخدشة بذلك كلّياً.

۲- حاول المحقّق البحرانی أن يؤكّدصحّة متن رواية إسحاق بمرسلة الصدوق الابن معتبراً كلام الصدوق الابن إشارة إليها، وأكّدها أيضاً بأنّ كلام علی بن بابويه الصدوق الأب يستند إلى كلام الإمام الرضا عليه السلام فی الكتاب المنسوب إليه باسم فقه الرضا وأنّ متن عبارته وارد فی الكتاب المذكور. إلّاأنّ الذی يطالع النسخة المطبوعة حاليّاً وفی الكتاب لا يجد فيها ما يطابق رواية إسحاق، ولعلّ نسخة البحرانی غيرها. كما أنّ الفقه الرضوی احتمل فيه الأعلام احتمالات عديدة أضعفها نسبته إلى الإمام الرضا عليه السلام، وهو الاحتمال الذی اعتقده المجلسی الأب والابن ومن قارب عصرهما ومنهم المحقّق البحرانی، وأقواها نسبته إلى الشلمغانی وأنّه كتاب التكليف الذی كتبه فی أيّام استقامته ورواه عنه علی بن بابويه القمّی رحمه الله (۲)، كما هو الرأی الذی اعتقده السيّد حسن الصدر، واستدلّ عليه فی كتابه «فصل القضاء فی الكشف عن حال فقه الرضا».

ومهما يكن من أمر فإنّ كلام الصدوقين الأب والابن يصلح لتعضيد رواية إسحاق ويجعلها فی مقام تستحقّ فيه اعتباراً كافياً.

۱- ۱ معجم رجال الحديث ۳: ۲۲۲- ۲۲۳، ط ۵.

۲- ۲ الذريعة ۱۶: ۲۳۴.

ص: ۱۳۴

۳- أمّا ما نقله العلّامة عن ابن الجنید من أنّه سمّی طواف النساء طواف الوداع وأوجبه فإنّه یصلح شاهداً للطرفین معاً، ولا تختصّصلاحیته بمعارضة من یقول بقیام طواف الوداع مقام طواف النساء، بل قد یدّعی هذا القائل بأنّ دلالة عمل ابن الجنید علی ذلک أکبر من دلالته علی عدم قیام طواف الوداع مقام طواف النساء، فلعلّ ابن الجنید یرید بذلک أنّ طواف النساء عندنا هو نفسه الذی یسمّیه العامّة بطواف الوداع سوی أنّهم لم یلتفتوا إلی أثره فی تحلیل النساء علی الرجال وبالعکس فادّعوا استحبابه، وغفلتهم هذه لا تؤثّر فی الواقع الشرعی شیئاً. ولا أقلّ من إجمال لأدلّة عمل ابن الجنید، فلا یکون مرجّحاً لقول علی آخر.

۴- أمّا مسألة أنّ المستحبّ لا یقوم مقام الواجب فکلام البحرانی فیها أولی بالاعتبار من کلام العلّامة. وإضافة إلی ما قاله البحرانی فی ردّه فإنّ القائل بقیام طواف الوداع مقام طواف النساء فی التحلیل ینظر إلی نفس العمل ویعتبر التسمیة أمراً طارئاً لا أثر له فی الواقع الشرعی. فمن أدّی هذا العمل ترتّب علیه الأثر الشرعی سواء کان ذلک العمل اسمه طواف الوداع أم طواف النساء. وما دام المکلّف یقصد امتثال التکلیف فإنّ الأثر الشرعی یترتّب وإن کان المکلّف قد اشتبه الحال علیه اجتهاداً أو تقلیداً وتصوّر بأنّ ما جاء به مستحبّاً وکان فی الحقیقة واجباً.

۵- أمّا مسألة احتمال أن یکون المقصود به العامّة فهو احتمالصحیح جدّاً، لکنّه ینفع القائل بقیام طواف الوداع مقام طواف النساء، ولا ینفع من ینفی ذلک، فإنّ کلام الإمام علیه السلام فی روایة إسحاق یجری مجری الامتنان علی العامّة بأنّ قیامهم بطواف الوداع ینفعهم فی التحلیل بحیث کأنّهم یأتون بطواف النساء وإن لم یقصدوه، بما یعنی أنّ قصد الوجه لیس دخیلًا فی أن یأخذ طواف الوداع اثر طواف النساء، فالمهمّ أن یأتی المکلّف فی نهایة الحجّ بطواف، فإن أتی به نفعه فی التحلیل سواء کان بهذا الاسم أم بذاک، أو بلا اسم أصلًا، ولا خصوصیة للعامّی فی هذه

ص: ۱۳۵

المسألـة حينئـذٍ، فكلاـم الإمـام وإن كان موجّهاً نحو العامّـة إلّاأنّ النتيجـة المأخوذة منه أعمّ وهى احتياج المكلّف إلى طواف فى آخر الحجّ تحلّ به النساء له، وأنّ العامى والإمامى يأتيان بهذا الطواف أحدهما يسـمّيه طواف الوداع والثانى يسمّيه طواف النساء ولولا إتيان العامّى بـذلك لما حلّت له النساء، كما أنّ العامّيـة المتزوّجة من إمامى ما كان يحلّ لها فراش زوجها لولا ما تأتى به من ذلك الطواف الـذى تسـمّيه بطواف الوداع. وتفسـير روايـة إسـحاق بهـذا الوجه يطـابق القول بقيام طواف الوداع مقام طواف النساء، ومن الغريب أن يحملصاحب الدروس وصاحب الجواهر كلمة الناس فيها على العامّة، ثمّ يردّا القول بقيام طواف الوداع مقام طواف النساء.

۶- وبذلك ينتفى التعارض بين رواية إسحاق وبين الروايات الاخرى الدالّة على أنّ من نسى طواف النساء لم تحلّ له النساء حتّى يأتى به أو يبعث من يؤدّيه نيابة عنه، فكأنّ العلّامة فهم التعارض بين الطرفين فرجّح روايات من نسى طواف النساء على رواية إسحاق باعتبار أنّها رواية واحدة من غير إمامى، وتلك روايات عديدة من مشاهير الإمامية فلا تصلح رواية إسحاق لمعارضتها.

وقـد اتّضـح الآن عـدم وجود تعارض بينهما، ولا تحتاج إلى الترجيـح، ضـرورة أنّ الذى يتمّ به التحليل إنّما هو الطواف لا التسـمية ولا قصـد من يقصدها، فإذا جاء المكلّف به حلّت النساء للرجال والرجال للنساء وإن لم يأتِ به لم يحصل التحليل بغضّ النظر عن التسـمية وعن قصـد من يقصدها. وعلى هذا فروايات من نسـى طواف النساء ليست معارضة لرواية إسـحاق بن عمّار؛ لأنّ الجميع بقوّة أن يقول القائـل: من نسـى الطواف الـذى تحـلّ به النسـاء على الرجال... الـخ وهـذا العنوان ينطبق على كلّ طواف يؤتى به فى آخر الحـجّ مهما كانت تسميته فإن نسيه الحاج ولم يأتِ به وجب عليه العود والإتيان به أو أن يُنيب عنه من يأتى به.

۷- وبذلك اتّضح عدم وجاهة ما ذهب إليهصاحب الحدائق من لزوم

ص: ۱۳۶

التـدارک حتّی علی من أتی بطواف الوداع تقیّـداً منه بروایات من نسـی طواف النساء، وکأنّ الذی جاء بطواف الوداع قد نسـی طواف النسـاء فوجب علیه التـدارک وأنّ طواف الوداع قـد نفعه فی حلّیـةالنساء فقط. ثمّ قال: ولا بعـد فی ذلک بعـد قیام الـدلیل علیه وإن لم یکن مشـهوراً عنـدهم، فکأنّصاحب الحـدائق قد جمع بین الدلیلین بهذه الصورة. وقد اتّضح أنّ الدلیلین لا یحتاجان إلی الترجیح الذی ذهب إلیه العلّامـة ولاـ إلی الجمع الـذی ذهب إلیه البحرانی، بـل إنّهما بمثابـة دلیل واحـد؛ لأنّ الفرق بین من یأتی بطواف الوداع ومن یأتی بطواف النساء فرق فی التسـمیة فقط، والتسـمیة لا أثر موضوعی لها فی البین، فروایات من نسـی ناظرة إلی من نسی الطواف الذی یکون به تحلیل النساء علی الرجال وهـذا العنوان یصـدق علی طواف الوداع، ومن یأتی به لا یکون ناسـیاً للطواف الـذی یتمّ به التحلّل من حرمة النساء، فلا یکون مورداً لتلک الروایات، ولا یکون ملزماً بالعود ولا الاستنابة.

وجوب طواف النساء

اسـتدل الشـریف المرتضی فی الانتصار علی وجوبه ب «الإجماع المتردّد ولأنّه لا خلاف أنّ النبیّصلی الله علیه و آله فعله وقد روی عنه علیه السـلام: خـذوا عنّی مناسـککم. وروی أیضاً عنه أنّه علیه السـلام قال: من حـجّ هـذا البیت فلیکن آخر عهده الطواف وظاهر الأمر الوجوب» (۱).

واستدلّ علیه الشیخ فی الخلاف بإجماع الفرقة وطریقة الاحتیاط (۲).

واستدلّ علیه العلّامة فی المختلف بأنّ النبیّصلی الله علیه و آله فعله، وروایة منصور بن حازم عن الصادق علیه السلام: ثمّ قد حلّ له کلّ شیء إلّاالنساء حتّی یطوف بالبیت طوافاً آخر

۱- ۱ الانتصار: ۲۵۶. ط جماعة المدرّسین.

۲- ۲ الخلاف ۲: ۱۹۸. ط جماعة المدرّسین.

ص: ۱۳۷

ثمّ قد حلَّ له النساء، وبالإجماع (۱).

واستدلّ علی وجوبه فی التذکرة بما رواه العامّة عن عائشة قالت: فطاف الذین أهلّوا بالعمرة وبین الصفا والمروة ثمّ حلّوا ثمّ طافوا طوافاً آخر، ومن طریق الخاصّة قول الرضا علیه السلام فی قول اللّه عزّوجلّ: وَ لْیَطَّوَّفُوا بِالْبَیْتِ الْعَتِیقِ قال: هو طواف النساء (۲).

والخلاصة أنّ وجوبه ممّا لا ینبغی الشکّ فیه ولا طریق للوسوسة إلیه؛ لاستفاضة الأخبار عن الأئمّة علیهم السلام فیه وقیام الإجماع علیه، إنّما یقع البحث فی تفاصیل وجوبه فی کونه واجباً فی نفسه أم لأجل تحلیل النساء؟ وهل نسیانه مبطل للحجّ أم لا؟ وهل تلزم الکفّارة بترکه أم لا؟ وهل وجوبه خاصّ بمن له إربة فی النساء أم عام یشمل غیره؟ وهل یجب فی کلّ حجّ وعمرة أم لا؟ وهل تحریم النساء بنسیان الطواف یشمل العقد علیهن أم لا؟ وما حکم المواقعة قبل طواف النساء؟

وأمثال هذه الجهات التی ترتبط بوجوب طواف النساء وتستحقّ البحث والدراسة.

نوع الوجوب فی طواف النساء

إنّ کلّ أمر یطلب الإتیان به من قبل الشارع فی عبادة من العبادات لابدّ وأن یکون علی واحدة من عدّة مراتب:

۱- أن یکون رکناً فی تلک العبادة، بمعنی أنّ الإخلال به سهواً أو عمداً یبطل تلک العبادة فیحتاج المکلّف إلی إعادتها من جدید.

۲- أن یکون واجباً غیریّاً لا یقصد به لنفسه وإنّما یقصد به التوصّل إلی غرض آخر مترتّب علیه.

۱- ۱ المختلف ۴: ۳۰۱. ط جماعة المدرّسین.

۲- ۲ التذکرة ۸: ۳۵۳.

ص: ۱۳۸

۳- أن يكون واجباً نفسياً يقصد به لنفسه.

۴- أن يكون واجباً غيريّاً من جهة ونفسيّاً من جهة اخرى.

۵- أن يكون واجباً تترتّب على تركه الكفّارة.

وفى ضوء ذلك نتساءل عن رتبة طواف النساء ضمن هذه المراتب.

أمّا الرتبة الاولى فقد اتّفقت كلمات الأعلام على نفيها عن طواف النساء، قال الشهيد الأوّل فى الدروس: «كلّ طواف واجب ركن إلّاطواف النساء» ثمّ قال: «لا يبطل تعمّد ترك طواف النساء، ويجب الإتيان به ولو كان تركه نسياناً» (۱).

وأيّده السيّد العاملى فى المدارك (۲) والمحقّق البحرانى فى الحدائق (۳) والشهيد الثانى فى المسالك (۴) وادّعى الإجماع عليه. وقال الشيخ النجفى فى الجواهر: «هو غير ركن فلا يبطل النسك بتركه هيئته من غير خلاف كما عن السرائر لخروجه عن حقيقة الحجّ، قال الصادق عليه السلام فى حجّ الحلبى: وعليه- يعنى المفرد- طواف بالبيت وصلاة ركعتين خلف المقام وسعى واحد بين الصفا والمروة وطواف بالبيت بعد الحج» (۵) فإنّ تعبيره عن طواف النساء بأنّه طواف بعد الحجّصريح فى كونه خارجاً عن حقيقة الحجّ.

والاحتمال الثانى هو المتبادر من النصوص ومن كلمات الفقهاء، ففى الصحيح عن معاوية بن عمّار عن الصادق عليه السلام: فى رجل نسى طواف النساء حتّى أتى الكوفة؟ قال: لا تحلّ له النساء حتّى يطوف بالبيت، قلت: فإن لم يقدر؟ قال: يأمر

۱- ۱ الدروس ۱: ۴۰۳- ۴۰۴، ط جماعة المدرّسين.

۲- ۲ المدارك ۸: ۱۷۳، ط مؤسسة آل البيت.

۳- ۳ الحدائق الناضرة ۱۶: ۱۵۷، ط جماعة المدرّسين.

۴- ۴ مسالك الافهام ۲: ۳۴۸، مؤسسة المعارف الإسلامية.

۵- ۵ جواهر الكلام ۱۸: ۳۷۲، دار الكتب الإسلامية.

ص: ۱۳۹

من يطوف عنه (۱). وفتاوى الفقهاء على ذلك، قال الشيخ فى النهاية: «ومن ترك طواف النساء متعمّداً لم يبطل حجّه إلّاأنّه لا تحلّ له النساء حتى يطوف» (۲) وعادة ما يعدّ الفقهاء طواف النساء التحليل الثالث فى الحجّ (۳).

ولذاصرّح السيّد الخوئى بأنّ وجوب طواف النساء «لأجل تحلة النساء ولو كان جزءاً للحجّ وجب عليه الإتيان به حلّت به النساء أم لا، فيعلم أنّه لا ـ مانع من حيث الحكم الوضعى من الرجوع إلى البلد بدون طواف النساء إلّامن حيث حلّية النساء، فكأنّه فرض لهم جواز الرجوع اختياراً ولكن لا ـ تحلّ لهم النساء، والحاصل طواف النساء وإن كان يجب الإتيان به ولا يجوز تركه بالمرّة، ولكن يظهر من الرواية أنّ وجوبه ليس بملاك وجوب الإتيان بأعمال الحجّ وأجزائه بل لأجل تحلّة النساء» (۴).

ولكن مع ذلك كلّه يصعب القطع بهذه النتيجة لوجود ما ينافيها، وأبرز ما ينافيها الروايات الدالّة على لزوم قضاء الولد عن أبيه إن فاته طواف النساء، فإنّ أصل هذا الحكم يناسب الواجب النفسى، كما أنّ التعبير عنه بالقضاء يؤكّده؛ لأنّ القضاء يكون فى واجبات نفسية كالصوم والصلاة وأصل الحجّ والكفّارات ونحو ذلك.

ففيصحيحة معاوية بن عمّار عن الصادق عليه السلام ورد قوله عليه السلام: فإن هو مات فليقض عنه وليّه أو غيره، فأمّا ما دام حيّاً فلا يصلح أن يقضى عنه (۵).

۱- ۱ وسائل الشيعة، أبواب الطواف، باب ۵۸، ح ۴، ج ۱۳: ۴۰۶، انظر الحديث الثانى والسادس من الباب ط دارالأندلس- بيروت.

۲- ۲ النهاية: ۲۷۲.

۳- ۳ الخلاف ۲: ۳۲۸ ط دار الأندلس.

۴- ۴ المعتمد ۲: ۳۵۸.

۵- ۵ وسائل الشيعة ۱۳: ۴۰۶. ط آل البيت.

ص: ۱۴۰

وفی روایـة اخری: فـإن توفّی قبل أن یطاف عنه فلیطف عنه ولیّه (۱)، وفی روایـة ثالثة: یأمر أن یقضـی عنه إن لم یحجّ، فإن توفّی قبل أن یطاف عنه فلیقض عنه ولیّه أو غیره (۲)، وفی رابعة: یأمر من یقضی عنه إن لم یحجّ (۳).

فلو کـان طواف النساء بملاک تحلـة النساء فقط، فلا معنی لأن یقوم الولی به بعـد وفاة أبیه، ولا معنی أن یسـمّی عمل الولی بأنّه قضاء عن أبیه، ولو کان الرجوع اختیاراً إلی البلد بلا طواف للنساء جائزاً فی نفسه، فما الذی یقضیه الولد عن أبیه بعد وفاته؟

إنّ القضاء یحکی عن ذمّـة مشـغولة بتکلیف متروک، وهـذا ما یجعلنا نؤمن بأنّ طواف النساء وإن لم یکن رکناً فی الحجّ ولا جزءاً من أجزائه، إلّاأنّه واجب لابدّ من الإتیان به بعد الحجّ فإن ترکه عمداً أو سـهواً بقیت ذمّته مشـغولة به فی حیاته وبعد مماته، واسـتمرّ حکم تحریم النساء علیه، ولا تبرأ ذمّته ولا ینقطع تحریم النساء علیه إلّابالعود ثانیاً إلی مکّة وتدارک ما فاته من طواف النساء أو إنابة شخص محلّه، وفی حال الوفاة تبرأ ذمّته بقضاء ولیّه عنه.

وهذا المعنی یتناسب مع الاحتمال الرابع وهو أن یکون طواف النساء واجباً نفسیّاً وغیریّاً فی آن واحد.

بقی الاحتمـال الخـامس وهو أن تترتّب الکفّـارة عی ترکه فقـد ورد ذلک فی روایـة لعمّار الساباطی عن أبی عبـداللّه علیه السـلام عن الرجل نسی أن یطوف طواف النساء حتّی رجع إلی أهله قال: علیه بدنة ینحرها بین الصفا والمروة» (۴).

۱- ۱ المصدر نفسه: ۴۰۷.

۲- ۲ المصدر نفسه: ۴۰۸.

۳- ۳ المصدر نفسه: ۴۰۸.

۴- ۴ وسائل الشیعة ۱۳: ۴۰۷، ط آل البیت.

ص: ۱۴۱

إلّا أنّ الشهيد في الدروس حملها على من واقع بعد الذكر (۱)، وحملها السبزواري في الذخيرة على الاستحباب (۲)، وحملها البحراني على المواقعة مطلقاً أو مع الذكر (۳).

ثمّ يقول في موضع لاحق: «ما تضمّنته موثّقة عمّار من وجوب البدنة على من نسي طواف النساء حتّى يرجع إلى أهله لم أرَ به قائلًا ولا عنه مجيباً ولعلّه من جملة غرائب أحاديث عمار، فإنّ الأخبار المعتضدة فاتّفاق كلمة الأصحاب دالّة على أنّ الحكم في ذلك الرجوع أو الاستنابة مع ما تقدّم في جملة من الأخبار أنّه لا كفّارة على الناسي والجاهل إلّافي الصيد خاصّة» (۴).

ومهما يكن من حال فإنّها رواية واحدة شاذّة ومن تراث الفطحية فلا يمكن الاعتماد عليها.

من يجب عليه طواف النساء

لا ـ يختصّ طواف النساء بمكلّف دون آخر، بل يجب الإتيان به على الجميع؛ النساء والرجال والكبار والصغار، ولا يختصّ بمن له إربة في النساء. وفي ذلك روايةصريحة رواها الحسين بن علي بن يقطين قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الخصيان والمرأة الكبيرة أعليهم طواف النساء؟ قال: نعم عليهم الطواف كلّهم (۵).

قال الشيخ في النهاية: «وطواف النساء فريضة على النساء والرجال والشيوخ والخصيان لا يجوز لهم تركه على حال» (۶).

۱- ۱ الدروس ۱: ۴۶۴.

۲- ۲ ذخيرة العاد.

۳- ۳ الحدائق الناضرة ۱۶: ۱۸۲.

۴- ۴ الحدائق الناضرة ۱۷: ۲۹۱.

۵- ۵ وسائل الشيعة ۱۳: ۲۹۸، ط آل البيت.

۶- ۶ النهاية: ۲۶۵.

ص: ۱۴۲

وقال العلّامة فی التذكرة: «طواف النساء واجب عند علمائنا أجمع على الرجال والنساء والخصيان من البالغين وغيرهم..» (۱). وعلى ذلكصاحب الجواهر فی جواهره (۲).

وهذا الحكم يشهد للقول بأنّ طواف النساء واجب فی نفسه إضافة إلى كونه شرطاً فی التحلّل من تحريم النساء فی الحجّ.

مواطن وجوب طواف النساء

اتّفقت كلمة أكثر الفقهاء على وجوب طواف النساء فی الحجّ بأقسامه والعمرة المبتولة؛ دون العمرة التی يتمتّع بها إلى الحجّ.

قال الشيخ فی النهاية: «واعلم أنّ طواف النساء فريضة فی الحجّ وفی العمرة المبتولة وليس بواجب فی العمرة التی يتمتّع بها إلى الحجّ..» (۳)، ثمّ قال: «والطواف بالبيت إن كان متمتّعاً ثلاثة أطواف طواف للعمرة وطواف للزيارة وطواف للنساء وإن كان قارناً أو مفرداً طواف للحجّ وطواف للنساء» (۴). وهكذا قال العلّامة فی قواعد الأحكام (۵).

وقال فی التذكرة: «ليس فی إحرام عمرة التمتّع طواف النساء بل فی إحرام العمرة المبتولة؛ لأنّ أبا القاسم مخلد بن موسى الراى كتب إلى الرجل يسأل عن العمرة المبتولة هل عليصاحبها طواف النساء؟ وعن العمرة التی يتمتّع بها إلى

۱- ۱ تذكرة الفقهاء ۸: ۳۵۳، ط جماعة المدرّسين.

۲- ۲ جواهر الكلام ۱۹: ۲۶۰، ۴۱۰.

۳- ۳ النهاية: ۲۶۵.

۴- ۴ النهاية: ۲۷۱.

۵- ۵ قواعد الأحكام ۱: ۴۲۹، ط جماعة المدرّسين.

ص: ۱۴۳

الحجّ، فكتب: أمّا العمرة المبتولة فعليصاحبها طواف النساء، وأمّا التی يتمتّع بها إلی الحجّ فليس عليصاحبها طواف النساء» (۱).

ثمّ قال: «وهـذا الطواف واجب فی الحـجّ والعمرة المبتولـة عند علمائنا أجمع؛ لأنّ إسـماعيل بن رباح سأل أبا الحسن عليه السـلام: عن مفرد العمرة عليه طواف النساء؟

قال: نعم» (۲).

وهناك من خالف فی طواف النساء فی كلا العمرتين فأوجبه فی التمتّع بها، ونفی الوجوب فی المبتولة، ففی مدارك السيّد العاملی أنّ الروايات التی استدلّ بها علی وجوب طواف النساء فی العمرة المفردة «كلّها قاصرة من حيث السند، وبإزائها أخبار اخر دالّة بظاهرها عی سقوط طواف النساء فی العمرة المفردة كصحيحة معاوية بن عمّار... وصحيحةصفوان بن يحيی... ورواية أبی خالد مولی علی بن يقطين قال: سألت أبا الحسن عن مفرد العمرة عليه طواف النساء؟ قال: ليس عليه طواف النساء، وروايـة يونس رواه قال: ليس طواف النساء إلّاعلی الحاجّ.

وحكی الشهيد فی الدروس عن الجعفی الافتاء بمضمون هذه الروايات، وهو غير بعيد لاعتبار سند بعضها وضعف معارضها ومطابقتها لمقتضی الأصل، إلّاأنّ المصير إلی ما عليه أكثر الأصحاب أولی وأحوط» (۳).

وقال فی عمرة التمتّع: «وحكی الشهيد فی الدروس عن بعض الأصحاب أنّ فی المتمتّع بها طواف النساء كالمفردة، وربما كان مستنده روايـة سليمان بن حفص المروزی عن الفقيه عليه السـلام قال: إذا حـجّ الرجل فدخل مكّة متمتّعاً فطاف بالبيت وصـلّی ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السـلام وسعی بين الصـفا والمروة وقصـر فقـد حلّ له كلّ شـیء ما خلا النساء فإنّ عليه لتحلـة النساء طوافاً وصـلاة»، وهذه الرواية ضعيفة السند بجهالة الراوی.

۱- ۱ تذكرة الفقهاء ۸: ۱۵۱.

۲- ۲ المصدر نفسه: ۳۵۳.

۳- ۳ مدارك الأحكام ۸: ۱۹۷- ۱۹۸.

ص: ۱۴۴

وقال الشيخ فى التهذيب: ليس فى هذا الخبر أنّ الطواف والسعى اللذين ليس له الوطء بعدهما إلّابعد طواف النساء أهما للعمرة أو للحجّ وإذا لم يكن فى الخبر ذلك حملناه على من طاف وسعى للحجّ، وبالجملة فالخلاف فى هذه المسألة غير متحقّق لعدم ظهور قائله ولو تحقّق لكان معلوم البطلان» (۱).

وردّصاحب الجواهر الروايات التى استدلّ بهاصاحب المدارك على عدم وجوب طواف النساء فى العمرة المفردة المسمّاة بالمبتولة، بين مناقشة فى سند ومتن، ثمّ قال: «فمن الغريب ميل بعض متأخّرى المتأخِّرين إلى العمل بهذه النصوص القاصرة عن معارضة غيرها من وجوه، وترك المعتبرة الأولى التى عليها العمل قديماً وحديثاً المعتضدة مع ذلك بأصالة بقاء حرمة النساء» (۲).

ما يحرم بسبب ترك طواف النساء

وقع البحث بين الفقهاء فى أنّ ما يحرم بترك طواف النساء هل هو خصوص الجماع أم يعمّ سائر الاستمتاعات والمقدّمات كالعقد أيضاً؟

ذهب العلّامة فى القواعد إلى أنّ التحريم يختصّ بالوطء دون العقد (۳)، وأضاف الفاضل الهندى فى كشف اللثام ما بحكم الوطء كالتقبيل والنظر واللمس، ثمّ احتمل قويّاً حرمة العقد أيضاً (۴).

وقال المحقّق الكركى بأنّ «الأصحّ تحريم العقد أيضاً وكلّما حرّمه الإحرام ممّا يتعلّق بالنساء عملًا بالاستصحاب» (۵)، ومالصاحب الجواهر إلى ذلك أيضاً (۶).

۱- ۱ المصدر نفسه: ۱۹۹.

۲- ۲ الجواهر ۱۹: ۴۰۷.

۳- ۳ قواعد الأحكام ۱: ۴۴۵، ط جماعة المدرّسين.

۴- ۴ كشف اللثام ۶: ۲۲۹، ط جماعة المدرّسين.

۵- ۵ جامع المقاصد ۳: ۲۶۰.

۶- ۶ جواهر الكلام ۱۹: ۲۶۲، ۳۹۰.

ص: ۱۴۵

وناقش السیّد الخوئی فی ذلک کلّه، فقال: «أمّا بالنسبهٔ إلی العقد فلا ینبغی الریب فی الجواز؛ لأنّ المتفاهم من النساء هو الاستمتاعات منهنّ فالظاهر جواز العقد له بعد الحلق، ودعوی أنّ مقتضی الاستصحاب حرمهٔ العقد أیضاً؛ لأنّه قد حرم بالإحرام ونشکّ فی زواله بعد طواف الحجّ وقبل طواف النساء والأصل بقاؤه، مدفوعهٔ: أوّلًا بأنّه من الاستصحاب فی الأحکام الکلّیهٔ ولا نقول به کما حقّق فی محلّه، وثانیاً: بأنّه یکفی فی رفع الید عن ذلکصحیحهٔ الفضلاء لقوله: إلّا فراش زوجها، فإنّه یدلّ علی أنّه لو طاف طواف الحجّ وسعی یحلّ له کلّ شیء إلّا فراش زوجها المراد به الوطء خاصّهٔ، ولا شکّ أنّ فراش زوجها لا یشمل العقد ولا الاشهاد علیه قطعاً، وسیأتی أنّ حلیّهٔ العقد بل الاستمتاعات لا تتوقّف علی طواف الحجّ وسعیه. وأمّا بالنسبهٔ إلی بقیّهٔ الاستمتاعات کالتقبیل واللمس بشهوهٔ فلا ریب فی شمول النساء لذلک، ولکن هذه الصحیحهٔ کالصریحهٔ فی أنّ المحرّم هو الجماع خاصّهٔ دون بقیّهٔ الاستمتاعات، فإنّ المراد بفراش زوجها کنایهٔ عن المقاربهٔ فإنّها تحتاج إلی الفراش، وأمّا بقیّهٔ الاستمتاعات من التقبیل واللمس فلا تحتاج إلی الفراش.

ولا شک أنّ مجرّد النوم علی فراش زوجها غیر محرم علیها حتّی فی حال الإحرام، فالمراد بفراش زوجها هو الوطء خاصّهٔ» (۱)، ثمّ قال: «إنّ المستفاد من النصوص أنّه لو لم یأت بطواف النساء حرم علیه من النساء خصوص الجماع، وأمّا بقیّهٔ الاستمتاعات فتحل له، وأمّا بالنسبهٔ إلی ما بعد الحلق أو التقصیر فمقتضی إطلاق النساء حرمهٔ بقیّهٔ الاستمتاعات ولکن مقتضیصحیح الحلبی جواز الاستمتاعات بعد الحلق وبقاء حرمهٔ الجماع خاصّهٔ، فقد روی عن أبی عبداللّه علیه السلام

۱- ۱ المعتمد فی شرح المناسک: ۲۹، من موسوعهٔ السیّد الخوئی: ۳۵۶- ۳۵۷.

ص: ۱۴۶

قال: سألته عن رجل نسـى أن يزور البيت حتّى أصبح، فقال: ربما أخّرته حتّى تذهب أيّام التشـريق ولكن لا تقربوا النساء والطيب، فإنّ الظاهر من قرب النساء هو الجماع كما فى قوله تعالى: ولا تقربوهنّ حتّى يطهرن فيعلم أنّ الممنوع بعـد الحلق إنّما هو الجماع والطيب، وأمّا بقيّة المحرّمات فتحلّ بعد الحلق حتّى العقد عليهن والاستمتاع بهنّ» (۱).

كفّارة الجماع قبل طواف النساء

أجمع الفقهاء عليصحّة حجّ من جامع بعد الوقوف بالمشعر قبل أن يطوف طواف النساء.

قال السيّد العاملى فى المدارك: «إنّ من جامع زوجته بعد الوقوف بالمشعر قبل طواف النساء كان حجّهصحيحاً وعليه بدنة لا غير. وهو مجمع عليه بين الأصحـاب، حكاه فى المنتهى، ويدلّ على سـقوط القضاء مضافاً إلى الأصل مفهوم قول الصادق عليه السلام فيصحيحة معاويـة: إذا وقع الرجل بامرأته دون المزدلفـة أو قبل أن يأتى مزدلفـة فعليه الحـجّ من قابل، ويـدلّ على وجوب البدنـة روايات: منها ما رواه الشيـخ الحسن عن معاوية بن عمّار قال: سألت أبا عبداللّه عليه السـلام عن رجل وقع على امرأته قبل أن يطوف طواف النساء قال: عليه جزور سمينة وإن كان جاهلًا فليس عليه شىء» (۲).

واسـتدلّصاحب الحدائق على المسألة بالصـحيح المروى عن الصادق عليه السـلام أنّ سلمة بن محرز قال: سألت أبا عبداللّه عليه السلام عن رجل وقع على أهله قبل أن يطوف طواف النساء، قال: ليس عليه شىء، فخرجت إلى أصحابنا فأخبرتهم فقالوا:

اتقاك هـذا ميسر قـد سأله عن مثل ما سألت فقال له عليك بدنـة، قال: فـدخلت عليه، فقلت: جعلت فـداك انّى أخبرت أصـحابنا بما أجبتنى فقالوا: اتقاك هذا

۱- ۱ المصدر نفسه: ۳۵۹- ۳۶۰.

۲- ۲ المدارك ۸: ۴۱۳- ۴۱۴.

ص: ۱۴۷

میسر قد سأله عمّا سألت فقال له: علیک بدنة، فقال: إنّ ذلک کان بلغه فهل بلغک؟

قلت: لا، قال: لیس علیک شیء» (۱).

ثمّ قال عن الکفّارة: «إنّ الأصحاب (رض) قدصرّحوا بأنّه مع العجز عن البدنة فبقرة أو شاة وبعض رتّب الشاة علی البقرة فأوجب البقرة أوّلًا ثمّ الشاة مع تعذّرها.

قال فی المدارک بعد نقل ذلک: إنّه قد اعترف جملة من الأصحاب بعدم الوقوف علی مستنده، والظاهر أنّه أشار بذلک إلی ما ذکره جدّه • فی المسالک والروضة حیث قال... الخ.

أقول: لا ریب أنّ مستند الأصحاب فی الحکم المذکور هو ما رواه الصدوق فی الفقیه عن خالد بیاع القلانس قال: سألت أبا عبداللَّه علیه السلام عن رجل أتی أهله وعلیه طواف النساء قال: علیه بدنة، ثمّ جاءه آخر فسأله عنها فقال: علیه بقرة، ثمّ جاءه آخر فسأله عنها فقال: علیه شاة، فقلت بعدما قاموا: أصلحک اللَّه کیف قلت علیه بدنة؟ فقال: أنت موسر وعلیک بدنة وعلی الوسط بقرة وعلی الفقیر شاة» (۲).

وقت طواف النساء

یجب إیقاع طواف النساء بعد أعمال منی وبعد السعی، ولا یجوز تقدیمه علی السعی ولا علی أعمال منی إلّامع الضرورة.

قال الشیخ فی النهایة: «وأمّا طواف النساء فإنّه لا یجوز إلّابعد الرجوع من منی مع الاختیار، فإن کان هناک ضرورة تمنعه من الرجوع إلی مکّة أو امرأة تخاف الحیض جاز لهما تقدیم طواف النساء ثمّ یأتیان الموقفین ومنی... ولا یجوز تقدیم

۱- ۱ الحدائق ۱۵: ۳۷۶.

۲- ۲ الحدائق ۱۵: ۳۷۸- ۳۷۹.

ص: ۱۴۸

طواف النساء علی السعی فمن قدّمه علیه کان علیه إعادة طواف النساء وإن قدّمه ناسیاً أو ساهیاً لم یکن علیه شیء وقد أجزأه» (۱).

وعلّق السیّد العاملی فی المدارک بقوله: «أمّا انّه لا یجوز تقدیم طواف النساء علی السعی لمتمتّع ولا لغیره مع الاختیار فهو مذهب الأصحاب لا أعرف فیه مخالفاً، ویدلّ علیه الأخبار الکثیرة المتضمّنة لوجوب تأخیره عن السعی...

ویؤیّده روایة أحمد بن محمّد عمّن ذکره قال: قلت لأبی الحسن علیه السلام: جعلت فداک متمتّع زار البیت فطاف طواف الحجّ ثمّ طاف طواف النساء ثمّ سعی فقال: لا یکون سعی إلّامن قبل طواف النساء، وأمّا جواز تقدیمه علی السعی مع الضرورة والخوف من الحیض فمقطوع به فی کلام الأصحاب ولم أقف فیه علی نصّ بالخصوص، وربّما أمکن الاستدلال علیه مضافاً إلی الحرج والمشقّة اللازمین من إیجاب تأخیره مع الضرورة..» (۲).

وادّعیصاحب الجواهر الإجماع علی عدم جواز التقدیم اختیاراً، ووافقصاحب المدارک فیما قاله عن جواز التقدیم فی حال الضرورة إلّاأنّه استدرک قائلًا:

«ولکن مع ذلک کلّه لا ینبغی ترک الاحتیاط فی ذلک ولو بالاستنابة؛ لأنّه یحتمل عدم الجواز لأصول عدم الإجزاء مع مخالفة الترتیب وبقائه فی الذمّة وبقائهنّ علی الحرمة مع ضعف الخبر واندفاع الحرج بالاستنابة وسکوت أکثر الأصحاب علی ما فی کشف اللثام، وقد سمعت ما عن ابن إدریس من منع تقدّمه علی الموقفین. واللَّه العالم» (۳).

موقف رسالی من أسری بدر، وبنی قریظة

۱- ۱ النهایة: ۲۴۱.

۲- ۲ المدارک ۸: ۱۹۰- ۱۹۱.

۳- ۳ الجواهر ۱۹: ۳۹۸.

ص: ۱۴۹

موقف رسالی من أسری بدر، وبنی قریظة

یوسف مبارک

أسری بدر:

قبل أن نتحدّث حول المحور الأوّل، لابدّ لنا من إلقاء نظرة ولو خاطفة علی المعاملة القاسیة التی راحت قریش تعامل بها من آمن برسول اللّهصلی الله علیه و آله ودعوته فی مکّة، هذه المعاملة کانت سبباً مباشراً لاستحکام العداء بین هؤلاء المستضعفین الذین کلّ ذنبهم وجریمتهم فی نظر مشرکی مکّة أنّهم کانوا یشهدون أن لا إله إلّااللّه وأنّ محمّداً رسول اللّهصلی الله علیه و آله وآمنوا بما جاء به محمّد بن عبداللّه لا غیر، بین هؤلاء وقریش استحکم العداء وأنتج آلاماً ومصائب حلّت بهذا الجمع المؤمن الذی ما استطاع أن یعیش فی مکّة بأدنی مراتب العیش وأقلّها، فاضطرّ أخیراً إلی أن:

(۱) یهاجر جمع منهم بعقیدته إلی بلد آخر (الحبشة) تارکاً بلده وقومه وماله وکلّ شیء لقریش، بعد أن أذن رسول اللّهصلی الله علیه و آله لهم بالهجرة.

(۲) فیما هاجر بعد ذلک رسول اللّهصلی الله علیه و آله وجمع آخر إلی المدینة تارکاً وطنه مکّة التی أحبّها قائلًا:

ص: ۱۵۰

«ما أطيبك من بلدة وأحبّك إليّ! لولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت (۱). وفى رواية ما سكنت غيرك».

(۳) ثمّ جاءت هجرة من تخلّف من المسلمين فی مكّة، فهاجر هذا القسم إلى المدينة ملتحقاً برسول اللّهصلى الله عليه و آله وتاركاً كلّ ما يملكه قليلًا كان أو كثيراً غنيمةً لمشركى قريش حتّى يسمحوا له بالهجرة.

فهذاصهيب وهو شيخ كان واحداً من هؤلاء المعذَّبين المهاجرين، حينما همَّ بالخروج من مكّة منعه المشركون، فقال لهم: أنا رجل كبير إن كنت معكم لم ينفعكم أو لم أنفعكم، وإن كنت عليكم لم يضرّكم أو لم أضرّكم، فخذوا مالى ودعونى، فأعطاهم ماله، وهاجر إلى رسول اللّهصلى الله عليه و آله.

إنّ أكثر من هاجر كان معذَّباً من قبل قريش، ولم تكتفِ قريش بهذا فتتركهم وشأنهم، بل راحت تجرّدهم من جميع أموالهم وما يملكون، فيماصادرت أموال الآخرين ممّن كانوا من أشراف قريش ومن ساداتها الذين آمنوا برسول اللّهصلى الله عليه و آله وهاجروا معه.. وعندئذ تميّزت أكثر دائرةُ العداء بل واستفحل أمره بين المسلمين والمشركين، حيث لم ينته هؤلاء الطغاة من ملاحقة أولئك المؤمنين حتى بعد هجرتهم، وبعد استيلائهم على ما عندهم من أموالٍ فی مكّة، وحتّى بعد أن ابتعدوا عن المجتمع المكّى... وراحت جذور هذا العداء تمتدّ فی العلاقة بينهما حتّى بعد فتح مكّة وإن هدأت شيئاً قليلًا.

لقد راح كلّ واحد من الطرفين يترصّد بالآخر، المسلمون بقيت مشاعرهم مشدودة إلى بلدهم وعيونهم مفتوحةً على أموالهم التى استحلّها أعداؤهم المشركون فی مكّة، وكانوا ينتظرون فرصةً تمنّ بها السماء عليهم لإعادتها، وهذا أمر طبيعى لا يختلف فيه اثنان.

۱- ۱ بحار الأنوار للعلّامة المجلسی ۵۷: ۲۲۹، روايات عدّة بألفاظ متقاربة.

ص: ۱۵۱

فیما راح المشرکون یعدّون أنفسهم بمواصلة وملاحقة المسلمین خاصّة المهاجرین وإن فرّوا بأنفسهم وترکوا أموالهم لاستئصالهم.. خوفاً من أن تقوی شوکتهم وینتشر أمرهم، ویذیع بین قبائل العربصیتهم، فتدور الدائرة علی قریش وسلطانها..

کانت لقریش رحلتان تجاریتان لِإِیلافِ قُرَیْشٍ* إِیلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَالصَّیْفِ... (۱).

وکانت هاتان الرحلتان تشکّلان العصب التجاری والاقتصادی المهمّ فی حیاتها بما تدرّان علیها من نعم عظیمة ومالٍ وفیر.

التفت المسلمون لذلک ورأوا أنّ فرصتهم آتیة، وأنّ مسیر قوافل قریش قریب منهم، وبالتالی إذا تمکّنوا منها فإنّهم یحصلون عوضاً عمّا ضیّعوه وترکوه فی مکّة من أموالهم.. ویثأرون لأنفسهم، ویشفونصدورهم من مشرکی قریش الذین أذاقوهم العذاب تلو الآخر، خاصّة وأنّ هذه القوافل هی لزعماء قریش وکبرائها لا لعوام الناس وسوادهم.

فی خریف السنة الثانیة للهجرة وردت أخبار إلی المدینة مفادها أنّ قریشاً خرجت قافلتها إلی الشام وعلی رأسها أبو سفیان مع ثلاثین أو أربعین رجلًا، وبما أنّهم محارِبون للّهولرسوله، راح رسول اللّهصلی الله علیه و آله وجمع من الصحابة یترصّدون أخبار عودتها من الشام وهی محمّلة، فقطعوا علیها طریق عودتها إلی مکّة، وکانت أهداف المسلمین من هذا العمل ویصحّ أن تکون أسباباً له:

أوّلًا: تنفیذ ما ندبهم إلیه رسول اللّهصلی الله علیه و آله حیث قال: «هذه عیر قریش فیها أموالهم فاخرجوا إلیها لعلّ اللّه یُنفلکموها».

ثانیاً: أخذ ما تحمله من أموالٍ عوضاً عمّا ترکوه فی مکّة واستحوذ

۱- ۱ سورة قریش: ۱- ۲.

ص: ۱۵۲

علیه المشرکون.

ثالثاً: إعلام المشرکین بأنّهم لا یستطیعون أن یجنوا شیئاً من مؤامراتهم ومواقفهم الشریرة ضدّ المسلمین.

رابعاً: لعلّ قریشاً توقف اضطهادها لمن بقی من المسلمین فی مکّة من الذین لم یستطیعوا مغادرتها بسبب تضییقها علیهم وتعسّفها فی معاملتهم.

خامساً: تنبیه قریش أنّ تجارتها مع الشام فی خطر ولاسیّما هی عصب حیاتها، وتهدیدها اقتصادیاً، وهو ما أربکها وخلق الاضطراب فیصفوفها.

لم یکتف أبو سفیان زعیم القافلة- بعد أن علم بترصّد المسلمین للقافلة- بأن یغیّر طریقها إلی موازاة البحر، بل بعث إلی مکّة من یخبر قریشاً بخطّة المسلمین وبما یناله من خطر إن لم یسعفوه بمددٍ.

وما إن سمع المشرکون وبالذات کبراؤهم بالتهدید الذی یشکّله المسلمون علی القافلة حتّی هبّوا بتسعمائة أو ألف مقاتل أو یزیدوا لیدافعوا عن أموالهم. وإذ هم فی مسیرهم أقبل مخبر آخر من أبی سفیان یبشِّرهم بأنّ القافلة قد نجت ولیس هناک خوف علیها بعد أن غیّر مسیرها.

إلّا أنّ أبا جهل وکثیراً من مشرکی قریش رفضوا العودة إلی مکّة مصرّین علی أن یواصلوا مسیرتهم نحو المدینة؛ لتلقین المسلمین درساً بلیغاً یجعلهم لا یعیدون ما فعلوا مرّةً اخری أو یحسبون له ألف حساب.

وهنا وردت الأخبار إلی رسول اللّهصلی الله علیه و آله أنّ القافلة نجت، وأنّ المشرکین لم یقنعوا بذلک ویکتفوا بنجاة قافلتهم، فیعودوا من حیث أتوا بل قرّروا التوجّه نحو المدینة وتهدیدها.

لقد خرجت قریش بعددها وعدّتها، بخُیلائها وفخرها، وکان الحقد یملأ قلوبهم- إلّاقلیلًا منهم- علی المهاجرین، انبعث هذا الجمع الحاقد من قریش بکامل رغبتهم، أی لم یکونوا مقاتلین عادیّین مکرهین، بل کانوا مخطّطین لهذه

ص: ۱۵۳

المعرکهٔ ومؤجِّجین لها، وکان همّهم الأوّل أن ینتقموا من أبناء قومهم الذین فارقوهم، فحینما تقابل الجیشان فی المعرکهٔ خرج عتبهٔ بن ربیعهٔ وأخوه شیبهٔ بن ربیعهٔ وابنه الولید بن ربیعهٔ، طالبین المبارزهٔ، فخرج لهم فتیهٔ من الأنصار وهم عوف ومعوذ ابنا الحارث وعبداللَّه بن رواحهٔ، ولمّا أبصرهم عتبهٔ قال: لا شأن لنا معکم، أو ما لنا بکم من حاجهٔ، وحینما انتسبوا قال لهم: أکفّاء کرام، إنّما نرید قومنا، فلیخرج لنا من بنی قومنا، أی من المهاجرین؛ لیصبّوا علیهم غضبهم وحقدهم ویشفوا قلوبهم.

فخرج إلیهم عندئذ ثلاثهٔ من المهاجرین: حمزهٔ بن عبد المطّلب وعلیّ بن أبی طالب وعبیدهٔ بن الحارث، فقتلوا عتبهٔ و من کان معه بعد مبارزهٔ شرسهٔ قاسیهٔ.

أمّا القلیل من جیش المشرکین فکانوا من المغلوبین علی أمرهم ولهم فضل علی المسلمین حینما کانوا فی مکّهٔ، فأمر رسول اللَّهصلی الله علیه و آله أصحابه أن لا یقتلوهم وأمرهم بأسرهم، ومن هؤلاء بنو هاشم وکان العبّاس أحدهم وهو الذی تحمّل ألم مقاطعهٔ قریش لبنی هاشم فی الشعب ثلاث سنوات، وطالما وقفوا ضدّ المشرکین مدافعین عن المؤمنین.

ومنهم أبو البختری بن هشام الذی کان له الفضل فی إنهاء المقاطعهٔ تلک، وتوجّه إلی البیت لشقّ الصحیفهٔ التی أکلتها الأرضهٔ ولم یبقَ منها إلّاالفظ (باسمک اللّهم)، إلّاأنّ هذا الرجل لم یسمح للمسلمین بأسره وأصرّ علی القتال حتّی قتل.

فکانت بدر، وکان النصر حلیف المسلمین، والخزی والعار لأعدائهم، وقتل من المشرکین سبعون، وأسر سبعون آخرون کان منهم عشرون من کبراء قریش وقادتها.

ونحن هنا نکتفی بإلقاء الضوء علی واحدهٔ من نتائج هذه المعرکهٔ، وهم الأسری وکیف کان الموقف الإسلامی منهم، وکیف تمّ التعامل معهم.

ص: ۱۵۴

الموقف من أسری بدر

کان الموقف من هؤلاء الأسری یتمحور حول أمور ثلاثة:

الأمر الأوّل: موقف الصحابة.

الأمر الثانی: موقف رسول اللَّهصلی الله علیه و آله.

الأمر الثالث: موقف القرآن الکریم.

وهذا الموقف له شکلان:

الأوّل: الأسر وحکم الأسری، الآیات (۶۷- ۶۹) الأنفال.

الثانی: بعث الأمل فی نفوس الأسری... (۷۰- ۷۱) الأنفال.

موقف الصحابة:

حتی نهایة معرکة بدر، لم ینزل شیء أو حکم من السماء بخصوص الأسری، وإن کان هناک خبر بحلیة الفداء (۱) فما کان من رسول اللَّهصلی الله علیه و آله- بعد غیاب مثل ذلک الحکم- إلّاأن یستشیر أصحابه ویسمع لهم فی مصیر السبعین أسیراً.

فبعد أن عاد رسول اللَّهصلی الله علیه و آله من بدر إلی المدینة، التفّ حوله فی المسجد کبارصحابته، وطرح موضوع أسری بدر وکیفیة التعامل معهم، وإلی الآن لم ینزل بشأن الأسری شیء من السماء أیضاً، فراح کلّصحابی یدلی برأیه فیهم:

فریق من الصحابة کان رأیه أن یبادوا جمیعاً وکان منهم عمر بن الخطّاب حیث قال:

یارسول اللَّه.. کذّبوک وأخرجوک، قدّمهم واضرب أعناقهم. حتّی قال قائل: لو کان فیهم أبو عمر أو أخوه ما أمر بقتلهم.

۱- ۱ انظر السیرة الحلبیة ۲: ۱۹۲.

ص: ۱۵۵

فیما قال عبداللّه بن رواحهٔ الأنصاری أشدّ من قول عمر وإن کان ینتهی إلی النتیجهٔ نفسها وهو قتلهم:

«یارسول اللّه.. انظر وادیاً من حطب فأدخلهم فیه ثمّ أضرمه علیهم ناراً».

فسمع العبّاس بن عبد المطّلب وکان واحداً من الأسری قول الأنصاری هذا، فقال له: قطعتک رحمک.

فیما رأی أبو بکر و فریق معه الرأفهٔ بهم والتأنّی فی شأنهم، فقال: یا رسول اللّه.. قومک وأهلک، استبقهم واستأن بهم، لعلّ اللّه أن یتوب علیهم (۱).

موقف رسول اللّهصلی الله علیه و آله:

کان لرسول اللّهصلی الله علیه و آله موقفان من هؤلاء الأسری:

الأوّل: کان یتمثل فی رعایتهم، حیث إنّ من أهمّ الامور التی یجب توفیرها للأسیر هو أن تحترم إنسانیّته وأن یؤمّن له أکله وملبسه، وأمّا سکناه فلابدّ من أن یوضع فی مکان یأمن به ویؤمن علیه أی فی مکان یتعذّر معه الهرب.

وهذا ما أمّنه الرسولصلی الله علیه و آله للأسیر، وبما أنّه لم یکن هناک مکان خاص یجمع به الأسری، ولأنّهم کانوا قلّهٔ، ولم تکن الحروب یومذاک طویلهٔ بحیث تستدعی الإبقاء علی الأسری مدّهٔ الحرب وزیادهٔ، لهذا نری أنّهم وزّعوا بأمر رسول اللّهصلی الله علیه و آله علی الصحابهٔ، فکلّصحابی یتکفّل بأسیر منهم، ورسول اللّهصلی الله علیه و آله یوصی بهم خیراً.

فهذا أحد أسری معرکهٔ بدر وهو أبو عزیز بن عمیر وکان أخاً لمصعب بن عمیر، یقول: کنت فی رهط من الأنصار حین أقبلوا بی من بدر، فکانوا کلّما قدّموا غداءهم وعشاءهم خصّونی بالخبز وأکلوا التمر لوصیّهٔ رسول اللّهصلی الله علیه و آله إیّاهم بنا، ما تقع فی ید رجل منهم کسرهٔ خبز إلّانفحنی بها، وکنت أستحی فأردّها علی

۱- ۱ انظر أسباب النزول للواقدی: ۲۴۲- ۲۴۵.

ص: ۱۵۶

أحدهما فیردّها علیَّ ما یمسّها (۱).

وعندما وقع آخر أسیراً فی ید المسلمین وهو ثمامة بن آثال، أُتی به إلی المدینة وربط بساریة من سواری المسجد حتّی یحکم فیه الرسولصلی الله علیه و آله فقالصلی الله علیه و آله: أحسنوا اساره واجمعوا ما عندکم من طعام فابعثوا إلیه. وکان یقدّم إلیه لبن لقحة (ناقة حلوب) رسول اللَّه غدواً ورواحاً ولمّا منَّ علیهصلی الله علیه و آله أسلم وحسن إسلامه.

والعبّاس بن عبد المطّلب هو الآخر کان أسیراً من أسری معرکة بدر الکبری، فلاحت من رسول اللّهصلی الله علیه و آله نظرة إلیه وقد تمزّق ثوبه، فالتفتصلی الله علیه و آله لیجد له قمیصاً یصلح، فوجد قمیص عبداللَّه بن أُبی فطلب منه فکساه إیّاه (۲).

وهذا هو الموقف الإسلامی فی رعایة الأسری والاهتمام بهم فقد جعله القرآن الکریم ثالث ثلاثة إن أطعموا فإنّ ذلک یکون مورداً لنیل رضا اللَّه سبحانه وتعالی:

وعدّ الإنفاق علیهم من القربات ذات الأجر العظیم وَ یُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلی حُبِّهِ مِسْکِیناًوَیَتِیماً وَأَسِیراً* إِنَّما نُطْعِمُکُمْ لِوَجْهِاللَّهِ لانُرِیدُمِنْکُمْ جَزاءً وَلا شُکُوراً (۳).

الثانی: بعد أن أعلن جمع من الصحابة موقفهم الذی ذکرناه راح رسول اللّهصلی الله علیه و آله یُثنی علیهم ویشبه موقف کلّ فریق بموقف نبیّ من أنبیاء اللَّه تعالی.

فشبّه الأوّل بموقف نبیّ اللَّه نوح علیه السلام إذ قال: رَبِّ لا تَذَرْ عَلَی الْأَرْضِ مِنَ الْکافِرِینَ دَیَّاراً (۴).

فیما شبّه الثانی بموقف نبیّ اللَّه عیسی علیه السلام إذ قال: إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُکَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ (۵).

۱- ۱ موسوعة الغزوات الکبری لمحمد أحمد باشمیل: ۲۲۴- ۲۲۵، مجمع الزوائد ۶: ۸۶.

۲- ۲ فتح الباری ۶: ۴۸۵.

۳- ۳ سورة الدهر: ۸- ۱۰.

۴- ۴ سورة نوح: ۲۵.

۵- ۵ سورة المائدة: ۱۱۸.

ص: ۱۵۷

وكان رأیه الأخیر أن خیّر الأسری فقال:

«أنتم الیوم عالة، فلا یفلتن منكم أحد إلّابفداء أو ضرب عنق».

وتمّ إبلاغ مشركی مكّة بقرار رسول اللّهصلی الله علیه و آله هذا، وهم یعیشون الذهول ممّا حلَّ بهم والحزن والألم ممّا أصابهم والذلّ والعار ممّا جرح كبریاءهم وأطاح بعنجهیتهم كلّ هذا فی معركة بدر، فغدوا یفكِّرون فی مصیر أسراهم... وقد كان المطلب بن وداعة السهمی ممّن كان حاضراً مجلساً لزعماء قریش، وقد سمع ما قرّروه فیه من عدم التعجیل فی فداء أسراهم حتّی لا یتغالی المسلمون فیه، إلّاأنّه ما إن خرج من مجلسه هذا حتّی توجّه نحو المدینة، وفدی أباه الذی كان واحداً من أسری بدر بأربعة آلاف درهم.

ولما سمعت قریش بهذا، أرسلت من یطلق أسراها ودفعت عن كلّ واحد منهم أربعة آلاف درهم.

وانتهت مسألة الأسری هذه عملیاً.

إمّا بفداء دفعه الموسرون منهم وكان مقداره أربعة آلاف درهم لكلّ أسیر.

وإمّا بمنٍّ تكرّم به الرسولصلی الله علیه و آله علی فقرائهم.

وإمّا بتعلیم جمع من أطفال المسلمین القراءة والكتابة، فقد كان من الأسری من یقرأ ویكتب، فجعل عمله هذا فداءه.

ما آلت إلیه مواقف بعض الأسری:

قلنا: كان من بین الأسری عمّ النبیصلی الله علیه و آله العبّاس بن عبد المطّلب، وقد أبلغ المسلمون رسول اللّهصلی الله علیه و آله رغبتهم فی إعفاء العبّاس من الفداء وإطلاقه مجّاناً؛ لقربه من رسول اللّه، فرفضصلی الله علیه و آله ذلك، وكلّف العبّاس بأن یدفع الفداء كغیره من الأسری، هذا ما ذكره ابن كثیر (۱).

۱- ۱ البدایة والنهایة لابن كثیر ۳: ۲۹۹.

ص: ۱۵۸

وأراد العباس أن یخرج من الأسر بلا فـداء یقـدّمه، ولمّا وجد رسول اللّهصـلی الله علیه و آله مصـرّاً علی أن یقدِّم الفداء، طلب منه أن یحسب کمّیـة الـذهب التیصودرت منه یوم بـدر من الفـداء، فرفض الرسولصـلی الله علیه و آله طلبه وقـال: لاـ. ذلک شـیء أعطانا اللَّه عزّوجلّ. أی هو غنیمة.. وفی روایة: أمّا شـیء خرجتَ تستعین به علینا فلا. (۱) ثمّ قال للنبیصـلی الله علیه و آله: یارسول اللَّه، إنّی کنت مسلماً، ولکنّ القومَ استکرهونی.

إلّا أنّ رسول اللَّهصـلی الله علیه و آله أصـرّ علی أن یـدفع الفدیة، وقد کان من الموسـرین، من أغنیاء مکّة، فدفع الفداء عن نفسه وعن ابنی أخیه وهما عقیل بن أبی طالب، ونوفل بن عبد المطّلب، وعن حلیف بنی هاشم عتبة بن عمرو بن جحدم، وهؤلاء کانوا من أسری بـدر، وکان فـداء کلّ واحـد منهم مئة أوقیة من الذهب، وکان ذلک بأمر من رسول اللّهصـلی الله علیه و آله إلّاأنّ العبّاس حاول جهده فی أن یفلت من هـذا أیضاً معتـذراً، فقال: لا مال لی. فقال له رسول اللّهصـلی الله علیه و آله: أین المال الـذی وضـعتَه عنـد امّ الفضل، وقلتَ لها: إن أصبت، فللفضل کذا، ولعبید اللَّه کذا؟

قال: والذی بعثک بالحقّ، ما علم به أحد غیری وغیرها، وإنّی لأعلم أنّک رسول اللَّه.

وفدی نفسه وابنی أخویه وحلیفه (۲).

وقد ذکر بعض المفسِّرین أنّ الآیة الکریمة: یا أَیُّهَا النَّبِیُّ قُلْ لِمَنْ فِی أَیْدِیکُمْ مِنَ الْأَسْری إِنْ یَعْلَمِ اللَّهُ فِی قُلُوبِکُمْ خَیْراً یُؤْتِکُمْ خَیْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْکُمْ... نزلت فی هذا المورد، ویأتی الکلام فیه.

ثمّ رجع العبّاس بعد إطلاقه إلی مکّة، ویقال: إنّه أسلم وکتم إسلامه، فکان عیناً علی المشرکین، یبعث بأخبارهم إلی النبیّصلی الله علیه و آله، ثمّ ترک مکّة قبل الفتح، وعاد

۱- ۱ انظر أسباب النزول للواقدی: ۲۴۵.

۲- ۲ انظر: الکامل لابن الأثیر ۲: ۹۲.

ص: ۱۵۹

إلیها وقد شهد فتحها مع المسلمین، وکان ممّن ثبت فی معرکة حنین، وسجّل دوراً مهمّاً فیها وبالذات لصوته الجهوری حینما راح یدوی فی سماء المعرکة ویحضّ المنهزمین من المسلمین علی الثبات..

أمّا الأسیر الآخر من بنی هاشم فهو عقیل بن أبی طالب، فقد أسلم عام الفتح وشهد معرکة حنین وثبت فیها، وشهد معرکة مؤتة. وأمّا نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف وهو ابن عمّ رسول اللّهصلی الله علیه و آله، أسلم هو الآخر.

وأمّا أبو العاص بن الربیع بن عبد شمس فقد بعثت زوجته زینب بقلادة سبق وأن أهدتها لها یوم زواجها من أبیالعاص هذا امّ المؤمنین خدیجة، فلمّا رآها رسول اللّهصلی الله علیه و آله رقَّ لها رقّةً شدیدة، فقال للمسلمین: إن رأیتم أن تطلقوا لها أسیرها وتردّوا علیها الذی لها فافعلوا. فأطلقوا سراح زوجها وردّوا إلیها قلادتها. وقد أسلم أبو العاص.

وکان من الأسری الذین افتدوا أنفسهم من الأسر سهیل بن عمرو بن عبد شمس العامری، وهو من أشراف مکّة ومن خطبائها المشهورین الذین کان لخطبهم أثر کبیر فی الدعوة إلی حرب رسول اللّهصلی الله علیه و آله.

فقد قدم مِکرز بن حفص فی فدائه، فلمّا قاولهم فیه مکرز وانتهی إلی رضاهم قالوا: هات الذی لنا، قال: اجعلوا رجلی مکان رجله وخلوا سبیله حتّی یبعث إلیکم بفدائه، فخلوا سبیل سهیل، وحبسوا مکرزاً مکانه عندهم..

یقول الخبر: لمّا جاء وقت دفع الفداء عنه، طلب عمر بن الخطّاب من الرسولصلی الله علیه و آله أن یحدث له عاهة لا یتمکّن بعدها من أن یقوم خطیباً ضدّ النبیّصلی الله علیه و آله حیث قال: یارسول اللّه، انزع ثنیتی سهیل یدلع لها لسانه، فلا یقوم علیک خطیباً فی موضع أبداً.

فرفض الرسولصلی الله علیه و آله طلب ابن الخطّاب وقال:

لا أمثّل فیمثّل اللّه بی وإن کنتُ نبیّاً، ثمّ قال النبیّصلی الله علیه و آله لعمر: دعه فعسی أن

ص: ۱۶۰

یقوم مقاماً نحمده.

وصدق رسول اللَّهصلی الله علیه و آله فیما قاله. فقد عاد سهیل بعد إطلاق سراحه من الأسر إلی مکّة، وهو الذی عقدصلح الحدیبیّة مع النبیّصلی الله علیه و آله، ورفض أن یکتب بسم اللَّه الرحمن الرحیم، التی أمر رسول اللَّهصلی الله علیه و آله بکتابتها، قائلًا: لا- أعرف هذا، ولکن اکتب باسمک اللّهم، ورفض أیضاً ما أمر به رسول اللَّهصلی الله علیه و آله أن یکتب: هذا ماصالح علیه محمّد رسول اللَّه.. قائلًا: لو شهدت أنّک رسول اللَّه لم أُقاتلک، ولکن اکتب اسمک واسم أبیک.

هذا سهیل وهذه مواقفه قبل إسلامه، ولکنّه أسلم عام فتح مکّة وله موقف یذکر حینما توفّی رسول اللَّهصلی الله علیه و آله وارتدّ بعض أهل مکّة وقف خطیباً وقال:

یا أهل مکّة، لا تکونوا آخر الناس إسلاماً وأوّلهم ارتداداً، واللَّه مَن رابنا مِن أمره شیء ضربنا عنقه کائناً من کان..

فکان بهذا قد أخمد الفتنة.

وله موقف آخر ینصر به المعذَّبین، فقد حضر الناس باب عمر بن الخطّاب، وفیهم أبو سفیان بن حرب وشیوخ من قریش، وکان سهیل معهم، فخرج إذن عمر یأذن لأهل بدر.. لصهیب الرومی وبلال الحبشی وغیرهم من أهل بدر.

فقال أبو سفیان: ما رأیت کالیوم قط، إنّه لیؤذن لهؤلاء العبید ونحن جلوس لا یلتفت إلینا.

فقال سهیل بن عمرو:

أیّها القوم، إنّی واللَّه قد أری الذی فی وجوهکم، فإن کنتم غضاباً فاغضبوا علی أنفسکم، دُعی القوم ودعیتم، فأسرعوا وأبطأتم، أما واللَّه لما سبقوکم به من الفضل أشدّ علیکم فوتاً من بابکم هذا الذی تنافسون فیه، ثمّ قال: أیّها القوم، إنّ هؤلاء قد سبقوکم بما ترون، ولا سبیل لکم واللَّه إلی ما سبقوکم إلیه، فانظروا هذا الجهاد فألزموه، عسی اللَّه عزّوجلّ أن یرزقکم الشهادة، ثمّ نفض ثوبه ولحق

ص: ۱۶۱

بالشام، وخرج بجماعهٔ أهله- إلّاابنته هند- إلی الشام مجاهداً حتّی ماتوا کلّهم هناک، واستشهد فی معرکهٔ الیرموک (۱).

حقّاً فعسی أن یقوم مقاماً نحمده!

والولید بن الولید کان من الأسری أیضاً فأرسل کلّ من خالد وهاشم وهما أخواه بفدائه، وعاد إلی مکّهٔ ثمّ أعلن إسلامه فیها، ولمّا سُئل عن سبب إسلامه:

هلّا أسلمت قبل الفداء؟

فقال: خفتُ أن یعدّوا إسلامی خوفاً.

وقد منعه أخواه حینما عزم علی الهجرهٔ إلی المدینهٔ لیلتحق برکب المؤمنین، إلّا أنّه فرّ إلی النبیّصلی الله علیه و آله فی عمرهٔ القضاء.

وهب بن عمیر الجمحی، وأبوه عمیر من شیاطین قریش وکان کثیر الإیذاء لرسول اللَّهصلی الله علیه و آله وللمؤمنین، وقد وهبه رسول اللَّهصلی الله علیه و آله لأبیه عمیر فی قصّهٔ ملخّصها:

أنّ عمیر بن وهب وصفوان بن أمیّهٔ جلسا یتذاکران ما حلّ بهم فی معرکهٔ بدر من هزیمهٔ کبری وذکر أصحاب القلیب فقال عمیر: أما واللَّه لولا دَین علیَّ لیس له عندی قضاء، وعیال أخشی علیهم الضیعهٔ بعدی، لرکبت إلی محمّد حتّی أقتله، فإنّ لی قبلهم علّهٔ، ابنی أسیر فی أیدیهم.

فاغتنمصفوان هذا وتکفل بدینه وعیاله.

فدخل عمیر المدینهٔ متوشحاً سیفه، فأدخله جمع من الصحابهٔ علی رسول اللَّهصلی الله علیه و آله فقال له:... فما جاء بک یا عمیر؟

قال: جئت لهذا الأسیر الذی فی أیدیکم فأحسنوا فیه.

قالصلی الله علیه و آله: فما بال السیف فی عنقک؟

قال: قبّحها اللَّه من سیوف، وهل أغنت عنا شیئاً؟!

۱- ۱ انظر الاستیعاب، والإصابهٔ فی تمییز الصحابهٔ ۲: ۱۱۰.

ص: ۱۶۲

قالصلی الله علیه و آله: أصدقنی، ما الذی جئت له؟

قال: ما جئت إلّالذلک.

قالصلی الله علیه و آله: بل قعدت أنت وصفوان بن أمیة فی الحجر، فذکرتما أصحاب القلیب من قریش، ثمّ قلت: لولا دین علیّ وعیال عندی لخرجت حتّی أقتل محمّداً، فتحمل لکصفوان بدینک وعیالک، علی أن تقتلنی له، واللَّه حائل بینک وبین ذلک.

قال عمیر: أشهد أنّک رسول اللَّه، قد کنا یا رسول اللَّه نکذبک بما کنت تأتینا من خبر السماء، وما ینزل علیک من الوحی، وهذا أمر لم یحضره إلّاأنا وصفوان، فواللَّه إنّی لأعلم ما أتاک به إلّااللَّه، فالحمد للَّهالذی هدانی للإسلام، وساقنی هذا المساق، ثمّ شهد شهادة الحقّ.

فقال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله: فقّهوا أخاکم فی دینه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسیره، ففعلوا. (۱) ومن الذین منَّ علیهم رسول اللَّهصلی الله علیه و آله ولم یأخذ منهم فداءً، أبو عزّة، عمرو بن عبداللَّه بن عثمان، کان محتاجاً ذا بنات، فکلّم رسول اللَّهصلی الله علیه و آله فقال: یارسول اللَّه، لقد عرفت مالیَ من مالٍ، وإنّی لذو حاجة وذو عیال، فامنن علیَّ.

فمَنَّ علیه رسول اللَّهصلی الله علیه و آله، وأخذ علیه ألّا یظاهر علیه أحداً، فقال أبو عزّة فی ذلک یمدح رسول اللَّهصلی الله علیه و آله، فذکر فضله فی قومه:

من مُبلَغ عنّی الرسول محمّداً بأنّک حقّ والملیک حمید

وأنت أمرؤٌ تدعو إلی الحقّ والهدی علیک من اللَّه العظیم شهود

وأنت امرؤٌ بُوّئت فینا مباءةً لها درجات سهلة وصعود

فإنّک مَن حاربتَه لُمحارب شقیّ ومَن سالمته لسعید

ولکن إذا ذُکّرتُ بدراً وأهلَه تأوّبَ ما بی حسرةً وقعود

أسیران قُتلا!

کان من بین أسری معرکة بدر أسیران: النضر بن الحارث بن کلدة من بنی عبد الدار وقد حمل رایة المشرکین فی بدر، والثانی عقبة بن أبی معیط من بنی أُمیة ابن عبد شمس بن عبد مناف.

وکانا عنیفین بعداوتهما للمسلمین، حریصین علی التنکیل بهم، شدیدین فی إیذاء المستضعفین منهم، وکانا من ألدّ خصوم الدعوة وأشدّهم. إنّهما مجرما حرب أکثر من کونهما أسیرین.

ففی طریق عودتهصلی الله علیه و آله من معرکة بدر وعندما وصل إلی الصفراء أمر علیّاً علیه السلام أن یقتل النضر بن الحارث أو أن یضرب عنقه بالأثیل.

ولمّا رأی النضر أن یقتل طلب من مصعب بن عمیر أن یکلِّم رسول اللَّهصلی الله علیه و آله فی أمره، فقال له مصعب: کیف یمکن هذا؟

أما کنت تقول فی کتاب اللَّه وفی نبیّه کذا وکذا؟

وأما کنت تقوم علی تعذیب أصحابه؟

وراحت أخته قتیلة بنت الحارث ترثیه، ومَن سمع شعرها قال: إنّ شعرها أکرم شعر موتور وأحسنه:

أیا راکباً إنّ الأثیل مظنة من بطن خامسة وأنت موفق

أبلغ به میتاً فإنّ تحیة ما إن تزال بها الرکائب تخفق

منّی إلیه وعبرة مسفوحة جاءت لماتحها وأخری تخفق

فلیسمعن النضر أن نادیته إن کان یسمع میتٌ أو ینطق

ظلّت سیوف بنی أبیه تنوشه للّه أرحام هناک تشقق

أ محمّد ولأنتصفو نجیبهٔ (۲) فی قومها والفحل فحل معرق

۱- ۱ أمحمد یا خیر ضنء کریمهٔ.

۲- ۱ أمحمد یا خیر ضنء کریمهٔ.

ص: ۱۶۴

ما کان ضرک لو مننت وربمامنّ الفتی وهو الغیظ (۱) الخنق

فالنظر أقرب من ترکت قرابةوأحقهم إن کان عتق یعتق

وروی: أنّ النبیّصلی الله علیه و آله قال: لو سمعت هذا الشعر قبل أن أقتله ما قتلته (۲)، والجواب: أنّ النبیّصلی الله علیه و آله أقام علیه الحکم العدل الذی لا تغیره أبیات من الشعر علی جودتها وحسنها، فما نسب إلی النبیّصلی الله علیه و آله من القول المذکور لا أظنه یصمد أمام النظر الدقیق، وعن بن هشام أنّ هذه غیرصحیحة، وهو الحقّ.

وموقف عقبة مجرم الحرب الثانی لا یقلّ عن موقف النضر.

فما إن وصل إلی عرف الظبیة حتّی أمر بقتل عقبة بن أبی معیط، والذی قتله عاصم بن ثابت الأنصاری.

تقول الروایة: إنّ النبیّصلی الله علیه و آله لمّا أمر بقتل عقبة، قال: أتقتلنی یا محمّد من بین قریش؟

قالصلی الله علیه و آله: نعم.

ثمّ قالصلی الله علیه و آله لأصحابه: أتدرون ماصنع هذا بی؟

جاءنی وأنا ساجد خلف المقام، فوضع رجله علی عنقی وغمزها، فما رفعها حتّی ظننت أنّ عینیَّ ستندران من رأسی، وجاء مرّة اخری بسلا شاة (وهو ما یعقب الولادة من أوساخ وقاذورات) فألقاه علی رأسی وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسی.

إذن فهما الأسیران الوحیدان اللذان قتلاصبراً للأسباب التالیة:

۱- کانا من أشدّ الناس کفراً وبغیاً.

۲- کانا من أکبر مثیری الحرب (معرکة بدر) ومن الدعاة إلیها والمحرّضین

۱- ۱ المغیض.

۲- ۲ أنظر بلاغات النساء: ۲۳۵.

ص: ۱۶۵

علیها بقوّة.

۳- كانت لهما جرائم ارتكبوها،صحیح أنّهما لم یكونا الوحیدین اللذین ارتكبا الجرائم، ولكن مَن كان مثلهما فی الجریمة قتل داخل المعركة وانتهی أمره، ولو بقوا أحیاءً؛ لكان مصیرهم القتل كذلك.

۴- كان لهما تأثیر واضح علی مشركی مكّة، فهم یسمعون لهما ویطیعون، ولهما القدرة علی إقناعهم بما یریدان ویدبّران.

۵- إن بقیا حیّین فهما یشكِّلان مصدر خطر عظیم علی الإسلام والرسولصلی الله علیه و آله والمؤمنین، ولاسیّما أنّ الحرب والمواجهة مع قریش لم تنته بعد، وهناك جولات مقبلة..

۶- كانا یسخران من القرآن ویقولان فیه ما لا یناسب من القول.

۷- لطالما وجّها لرسول اللَّهصلی الله علیه و آله إهاناتهم وأسمعوه الشیء الكثیر من الكلام البذیء، وطالما حرّضا علیه، وتربصا به الدوائر سواء فی مكّة أو المدینة.

۸- كانا یلتمسان أیّ وسیلة وكلّ ما یتمكّنان منه لیوقعا الأذی بالمسلمین فی مكّة، وتنفیر الناس منهم.

فرأی رسول اللَّهصلی الله علیه و آله أنّ قتلهما فیه مصلحة كبری للإسلام والمسلمین ودرءاً للفتنة، وقد قتلا قبل أن یصل الرسولصلی الله علیه و آله إلی المدینة وقبل اتخاذ قراره بخصوص الأسری.

موقف القرآن الكریم:

قلنا: إنّ الموقف القرآنی من أسری بدر، وهو الموقف الثالث بعد موقفی الصحابة والرسولصلی الله علیه و آله له شكلان:

الأوّل:

یدور حول الأسر وبیان حكم الأسری، وهو ما تناوله قوله تعالی: مَا كَانَ لِنَبِیٍّ أَنْ یَكُونَ لَهُ أَسْرَی حَتَّی یُثْخِنَ فِی الْأَرْضِ تُرِیدُونَ عَرَضَ الدُّنْیَا وَاللَّهُ یُرِیدُ

ص: ۱۶۶

الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ* لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ* فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱).

اللغة

الثخانة لغةً: الغلظة، فکلّ غلیظ: ثخین، والإثخان فی کلّ شیء عبارة عن قوّته وشدّته، یقال: قد أثخنه المرض إذا اشتدّت قوّته علیه (۲). واثخان النبیّ فی الأرض استقرار دینه بین الناس کأنّه شیء غلیظ انجمد فثبت بعد ما کان رقیقاً سائلًا مخشی الزوال بالسیلان... (۳).

القراءة:

قرأ أبو الدرداء وأبو حیاة: ما کان للنبیِّ... (۴).

البیان:

کانت معرکة بدر الکبری أوّل معرکة خاضها المسلمون ولما تنزل بعدُ أحکام الجهاد وأحکام تخصّ المعارک ونتائجها من غنائم وأسری وغیر ذلک. وجاءت الآیات لتبین أنّ هناک هدفین أو همّین:

هم یراود المقاتلین المسلمین وهمّ تریده الآیات.

کان الهمّ الأوّل لأغلب المسلمین هو أن یغنموا ما فی قافلة قریش التی کانت برئاسة أبی سفیان عوضاً عمّا خسروه وترکوه من أموالهم فی مکّة.. وتهدیداً لقریش ومصالحها.. لعلّها تکفّ عن ملاحقتهم والتآمر علیهم..

ولمّا علمت قریش بذلک غیّرت خطّتها ثمّ حشدت مقاتلیها لخوض المعرکة مع المسلمین.. توجّه المسلمون لمیدان المعرکة وما زال ذلک الهمّ یراودهم فی

۱- ۱ سورة الأنفال: ۶۷- ۶۹.

۲- ۲ مجمع البیان للطبرسی ۴: ۸۵۷.

۳- ۳ المیزان فی تفسیر القرآن للعلّامة الطباطبائی ۵: ۱۳۴.

۴- ۴ أنظر معجم القراءات القرآنیة، الآیة.

ص: ۱۶۷

الحصول علی الغنائم.

کان الهمّ القرآنی علی العکس من ذلک، همّه قتل الکفّار وتقتیلهم وإنزال أقسی الضربات بهم... فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْناقِ وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ کُلَّ بَنانٍ (۱)

ولم ترد فی الآیة کلمة الأسر، الغنائم...

وقد عبّرت عن هذه الضربات وذلک القتل والتقتیل بالإثخان..

وملاحقتهم، واجتثاثهم من الأرض، حتّی یکونوا عبرةً لغیرهم، فی أن لا یعاودوا الکرّة علی المسلمین.

فإذا تمّ الإثخان بکلّ ما یحمله من معانٍ، من القتل والغلبة والشدّة والرعب..

جاء دور الأسر کما قال تعالی بعد ما استقرّ الإسلام فی الحجاز والیمن:

... أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ...

ثمّ تأتی المرحلة الاخری بعد الأسر فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِداءً (۲)

، هذه المراحل التی أرادها القرآن الکریم وبیّنها فیما بعد.

وهذا الموقف القرآنی کان هو موقف رسول اللَّهصلی الله علیه و آله أیضاً کما سیتّضح لنا من البحث.

إذن ما کان لکم أیّها المقاتلون المسلمون أن تبتغوا عرض الحیاة الدُّنیا بأسر أعدائکم لتفدوهم أو تمنّوا علیهم، فکلّ هذا متاع الدُّنیا الزائل، وهذا لیس من شأن رسول اللَّهصلی الله علیه و آله ما کان لنبیّ... وعلی قراءة أخری ما کان للنبیّ أی‌لیس له ولا فی عهد اللَّه إلیه. لأن یکون له أسری من المشرکین لیفدیهم أو یمنّ علیهم حَتَّی یُثْخِنَ فِی الْأَرْضِ حتّی یبالغ فی قتل المشرکین لیرتدع به مَن وراءهم... (۳) قبل أن تعملوا السلاح بقوّة فی رقابهم، وما کان لکم أن تتهاونوا فیهم بغیة أسرهم لیکونوا غنیمةً

۱- ۱ سورة الأنفال: ۱۲.

۲- ۲ سورة محمّد: ۴.

۳- ۳ مجمع البیان للطبرسی ۳: ۸۵۸.

ص: ۱۶۸

لكم، فهو الدُّنيا بعينها وحبّ بأعراضها، وكان الأجدر أن لا يجدوا فيكم هوادةً أو رأفةً أبداً وأن لا تتركوهم إلّاوهم يعيشون الرعب من قوّتكم وفتككم بهم، وأن تجعلوا الضعف يلازمهم والوهن يلاحقهم طيلة حياتهم حتّى لا يعودوا لمثل ما جاؤوا به وما فعلوا، وهى فرصة عظيمة لكم كان بإمكانكم استثمارها داخل ميدان القتال، فإذا بالغتم فى قتلهم وقهرهم يرتدع مَن وراءهم، وأكثر من هذا تواصلوا القتال لتغلبوهم على بلادهم وتذليل أهلها كما على رأى بعض فى تفسير الإثخان، حتّى تتمكّنوا فى الأرض، لا أن يكون همّكم أسرهم ومفاداتهم والحصول على الغنائم وهو هدف ليس فيه بُعد نظر للمستقبل، فيما التفكير السليم أن تجعلوهم لا يفكّرون فى العودة لكم، بعد أن جاءوا للقضاء عليكم.

فقد كانت كفّة الميزان راجحة للمقاتلين المسلمين، وكانت ساحة المعركة بأيديهم فكان بإمكانهم أن ينزلوا العقاب الرادع بعدوهم، وخير دليل على هذا هو قلّة شهدائهم فقد كانوا أربعة عشر رجلًا، ستّة من المهاجرين وثمانية من الأنصار، فيما كان قتلى العدو سبعين رجلًا بينهم من قادة قريش وزعمائها، وأمّا أسراهم فكانوا سبعين أيضاً بينهم زعماء من قريش، ولم يؤسر أحد من المسلمين.

فمع جلالة وعظمة البدريين، وأن بجهودهم ودمائهم رويت شجرة الإسلام وأزهرت، لم يترك القرآن الكريم عملهم هذا بلا تعريض أو عتاب أو لوم، ليكون ذلك لهم درساً فى مستقبل حياتهم الجهادية، إنّها تربية السماء التى ما انفكت تلاحق المؤمنين فتثنى عليهم إن أحسنوا، وتعاتبهم إن أخطأوا، ليكون هذا ضمن دروس إيمانية متواصلة، وابتلاءات متلاحقة ورقابة مستمرة؛ لإعدادهم الإعداد الذى تبتغيه السماء وتريده لهم فى دنياهم وأخراهم.

حقّاً كان الأولى استئصالهم من جذورهم ولا يتركونهم يعودون إلى أهلهم، ولاختصر المسلمون لو عملوا هذا الوقتَ فى نيل أهدافهم وتحقيقها بكبح أقوى قوّة تواجّههم فى دعوتهم الجديدة ولما وقع ما وقع لهم، ولما عادت قريش لهم فى

ص: ۱۶۹

أُحُد وما حلَّ بالمسلمین من خسائر فادحهٔ..

والـذی یؤیّـد هـذا وأنّ الکثیر منهم کان یبغی من هـذه الفرصهٔ المتاحهٔ هو الظفر بالقافلهٔ، وبما أنّهم لم یظفروا بها تراهم بذلوا جهدهم فی أن یأسروا منهم ما یستطیعون به تعویض ما لم ینالوه، فراحوا فی المعرکهٔ یبذلون جهدهم فی تجرید أعدائهم من السلاح ومنعهم من القتال، بـدلًا من أن یُعملوا السلاح بشدّهٔ فی رقابهم وهم فی ساحهٔ الوغی. إنّ القرآن جاء یبیّن لهم خطأ ما فعلوه. وأنّ ما أرادوه لا تریـده السماء بل تریـد الآخرهٔ لهم، وتنالوها لو قاتلتم هؤلاء الطغاهٔ الـذین أذاقوکم الخوف والـذلّ والهوان ولم تـدخل قلوبهم الرحمهٔ بکم، ولم یفکّروا یوماً بالعفو عنکم، أو یترکوکم وشأنکم..

یقول سیّد قطب: الإثخان المقصود: التقتیل حتّی تضعف شوکهٔ المشرکین وتشتدّ شوکهٔ المسلمین، وهذا ما کان ینبغی قبل أن یکون للنبیّ والمسلمین أسری، یستبقونهم ویطلقونهم بالفدیهٔ کما حدث فی بدر، فعاتب اللَّه المسلمین فیه.

ثمّ یواصل قوله: لقـد کانت غزوهٔ بـدر هی المعرکهٔ الاولی بین المسلمین والمشرکین، وکان المسلمون ما یزالون قلّهٔ والمشرکون ما یزالـون کـثرهٔ، وکـان نقص عـدد المحاربین من المشرکین ممّا یکسر شوکتهم ویـذلّ کبریـاءهم ویعجزهم عن معاودهٔ الکرّهٔ علی المسلمین، وکان هذا هدفاً کبیراً لا یعدله المال الذی یأخذونه مهما یکونوا فقراء.. (۱).

وهناك فی داخل معرکهٔ بدر ما یؤیّد هذا، وأنّ ما فعله بعض المسلمین لم یکن محلّ قبول رسول اللَّهصلی الله علیه و آله وإنّما کان خلاف ما یریده، لهذا جاءصدر الآیهٔ نافیاً ما کانَ لِنَبِیٍّ أَنْ یَکُونَ لَهُ أَسْرِی... حتّی یثخن القتل والتقتیل فی أعدائه، ولا یکون أکبر همّه أسرهم بل إنزال العقاب الصارم بهم؛ لأهداف عظیمهٔ تبتغیها السماء.

۱- ۱ فی ظلال القرآن، سیّد قطب ۳: ۱۵۵۲.

ص: ۱۷۰

تقول الروایة عن ابن إسحاق: «فلمّا وضع القوم أیدیهم یأسرون، ورسول اللَّهصلی الله علیه و آله فی العریش، وسعد بن معاذ قائم علی باب العریش الذی فیه رسول اللَّهصلی الله علیه و آله متوشّحاً السیف فی نفر من الأنصار یحرسون رسول اللَّهصلی الله علیه و آله یخافون علیه کرّة العدوّ، ورأی رسول اللَّهصلی الله علیه و آله فیما ذکر لی فی وجه سعد الکراهیة لما یصنع الناس، فقال له رسول اللَّهصلی الله علیه و آله: «واللَّه لکأنّک یا سعد تکره ما یصنع القوم! قال:

أجل واللَّه یارسول اللَّه، کانت أوّل وقعة أوقعها اللَّه بأهل الشرک، فکان الإثخان أحبَّ إلیَّ من استبقاء الرجال!

وممّا یدلّ علی هذه الرغبة الجامحة بأسر أعدائهم، أنّ عبد الرحمن بن عوف أسر أُمیّة بن خلف، فأبصره بلال الحبشی وقد ذاق منه الأمرّین فی مکّة إذ کان یضع علیصدره فی شدّة الحرّصخرة کبیرة ویطلب منه ذکر الرسولصلی الله علیه و آله بسوء والعودة إلی عقیدة الشرک، فیأبی بلال، وکلّما اشتدّ علیه الألم قال: أحدٌ أحد، فقال رأس الکفر أمیة بن خلف: لا نجوت إن نجا واستعان ببعض الأنصار لقتله وعبد الرحمن یحرزه منهم، إذ کان یطمع فی فدائه بمال، ولکن تمّ التمکّن منه والقضاء علیه، وکان مع عبد الرحمن أدرع من السلب، فقال امیّة حین أسره: أنا خیرٌ لک من هذه الأدرع فألقاها وانفرد بأُمیّة، ولمّا قتل امیّة قال عبد الرحمن: رحم اللَّه بلالًا فجعنی بأدرعی وأسیری (۱).

النضر بن الحارث کان أسیراً للمقداد، وکان یطمع أن ینال من فدائه مالًا کثیراً، ولمّا رأی أنّ الأمر یدور حول قتلهصاح: النضر أسیری، ولکن الرسولصلی الله علیه و آله أمر بقتله ودعا لمقداد أن یُغنیه اللَّه من فضله.

مرّ مصعب بن عمیر بأخیه أبی عزیز بن عمیر وقد أخذ به أحد الأنصار أسیراً ووضع القیود فی یدیه، فقال مصعب للأنصاری: شدّ یدیک به، فإنّ أمّه ذات

۱- ۱ انظر زاد المعاد لابن القیم ۲: ۱۰۰.

ص: ۱۷۱

متاع لعلّها تفدیه منک، فقال أبو عزیز لأخیه مصعب: أهذه وصاتک بی؟ فقال مصعب: إنّه أی الأنصاری أخی دونک.

ومع عظمهٔ موقف مصعب هذا إلّاأنّ القصهٔ هذه تبیّن لنا همّ الربح (الفداء) الذی کان یراودهم الحصول علیه.

ولیس هـذا فی الأسـری فقـط بـل فی الغنـائم عمومـاً. کـان موقف أکثرهم ینصبّ علی الغنـائم، فتراهم یتنازعون فی حیازتها، فقال من جمعها: هی لنا، وقال الذین یقاتلون العدو ویطلبونه: واللّه لو لا نحن ما أصبتموها، لنحن شغلنا عنکم القوم حتّی أصبتم ما أصبتم، وقال الذین کانوا یحرسون رسول اللّهصـلی الله علیه و آله مخافهٔ أن یصل إلیه العدو: واللّه ما أنتم بأحقّ بها منّا، لقد کنّا ونحن نحرس رسول اللّه نری الغنائم وما یحملها أحد، وکنّا نسـتطیع حیازتها لو أردنا، ولکنّنا آثرنا حمایهٔ رسول اللّه علیها، لقد خفنا أن یقتحمه العدو فقمنا دونه، فما أنتم بأحقّ بها منّا.

صحیـح أنّ هـذا الموقف لم یکن موقفـاً عاماً یتصف به جمیع المقاتلین، وصـحیح أنّه موقف بعض فقرائهم وهم الـذین بلغ منهم الفقر مبلغاً رقّ منه لهم رسول اللّهصـلی الله علیه و آله ودعا لهم فقال: «اللّهم إنّهم حُفاهٔ فاحملهم... اللّهم إنّهم عراهٔ فاکسـهم». وصحیح أنّهم لم یطلبوا باطلًا بل کانوا یعتقـدون أنّهم یطلبون الحقّ، ولو کانوا یعرفون أنّ ما یطلبونه باطل لما تمسـکوا به أبـداً، فهم ترکوا کلّ شـیء من أجل الحقّ ومرضاهٔ اللّه... إلّاأنّ هذا ترک أثره، فجاءت الآیهٔ معرضهٔ بموقفهم هذا أو معاتبهٔ... لکی لا یکرروه مستقبلًا.

وقفهٔ قصیرهٔ:

لابدّ من وقفهٔ مع تفسیر الآیهٔ مَا کَانَ لِنَبِیٍّ أَنْ یَکُونَ لَهُ أَسْرَی حَتَّی یُثْخِنَ فِی الْأَرْضِ تُرِیدُونَ عَرَضَ الدُّنْیَا وَاللَّهُ یُرِیدُ الْآخِرَهَٔ وَاللَّهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ.

أوّلًا: الـذی یبدو من ظاهر الآیهٔ أنّها جاءت رافضهٔ للحالهٔ التی انتابت جمعاً من المسـلمین فی میدان المعرکهٔ من الرغبهٔ فی أسـر المزید من المشرکین، وأنّ العتاب

ص: ۱۷۲

أو التعریض الوارد فی الآیـهٔ کـان ینصبّ علی هؤلاء المقاتلین، الـذین راحوا یتسابقون داخل المعرکـهٔ لأخـذ المشـرکین أحیاءً أسـری لیفادوهم فیما بعد، لا أنّ التعریض القرآنی جاء للذین قبلوا الفداء من الأسـری بعد انتهاء المعرکهٔ، وبعدما قرّر رسول اللَّهصلی الله علیه و آله ذلک، وإلّا فإنّهم أخذوا الفداء منهم أو من الموسرین منهم بأمر رسول اللَّهصلی الله علیه و آله حینما اختار الفداء واحداً من عدّهٔ وسائـل لتحریر أسـری بـدر، وبالتـالی إن قلنـا: إنّ التعریض یشـمل هؤلاء، فهو إذن یشـمل رسول اللَّهصـلی الله علیه و آله لأنّه قرّره من ضمن خیاراته لإطلاق سراحهم، ولو لم یقرّره لما تجرّؤوا علی أخذه.

یقول العلّامهٔ الطباطبائی: والعتاب به علی ما یهدی إلیه سیاق الکلام فی الآیهٔ الأوّل إنّما هو علی أخذهم الأسری کما یشهد به قوله فی الآیـهٔ الثانیهٔ لَمَسَّکُمْ فِیما أَخَذْتُمْ عَذابٌ عَظِیمٌ أیفی أخذکم، وإنّما أخذوا عند نزول الآیات الأسـری دون الفداء، بل یشـهد قوله فَکُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالًا طَیِّباً...، حیث افتتحت بفاء التفریع التی تفرّع معناها علی ما تقدمها... (۱)، هذا أوّلًا.

وثانیاً: لم یکن النصّ القرآنی من موافقات القرآن الکریم لرأی عمر الـذی أراد قتل الأسـری هو وعبـداللَّه بن رواحهٔ وفریق معهم؛ لأنّ تعریض القرآن الکریم لم یأتِ بخصوص الذین قبلوا الفداء بعدما رأی رسول اللَّهصـلی الله علیه و آله ذلک حتّی نقول: إنّه جاء موافقاً لمـا أراده عمر من قتـل الأسـری کمـا یحلو لبعض المفسّـِرین ذلـک، بل التعریض القرآنی جاء للـذین راحوا یهمّون بالحصول- داخل المعرکـهٔ- علی أسـری، قبل أن یبالغوا فی تعمیق جراح المشـرکین، وراحوا یتسابقون فی الحصول علی أکبر عدد منهم أحیاءً طمعاً فی الفـداء من قبـل أن یجعلوهم عبرهً لغیرهم وبالتـالی فلا- یعاودون الکرّهٔ علی المسـلمین أو علی الأقلّ یحسـبون لها ألف حساب قبل أن یقدموا علیها.

۱- ۱ المیزان فی تفسیر القرآن ۵: ۱۳۵، ففیه تفصیل وافٍ.

ص: ۱۷۳

وإن قبلنا أنّ الآيـة جاءت موافقـة لرأى أحـدهم، فمن بـاب الإنصاف أنّها جاءت موافقـة لرأى سـعد بن معاذ لا عمر بن الخطّاب؛ لأنّ التفاتة سعد سبقت موقف عمر، وهى التفاتة داخل المعركة لا بعد أن وضعت المعركة أوزارها، واتّخاذ القرار حول الأسرى.

تقول الرواية: رأى رسول اللَّهصلى الله عليه و آله فى وجه سعد الكراهية لما يصنع الناس، فقال له رسول اللَّهصلى الله عليه و آله: واللَّه لكأنّك يا سعد تكره ما يصنع القوم! قال: أجل واللَّه يا رسول اللَّه، كانت أوّل وقعة أوقعها اللَّه بأهل الشرك، فكان الإثخان فى القتل أحبّ إلىّ من استبقاء الرجال.

ثالثاً: أنّ الإثخان الـذى ذكرته الآية، المقصود به الإثخان حينما كانت المعركة قائمة، وحينما كان السلاح بأيدى المقاتلين المسلمين، فهذا أكثر وقعاً على أعدائهم وهم مسلحون، وهو ما أراده سعد «... فكان الإثخان فى القتل أحبّ إلىّ من استبقاء الرجال». لا الإثخان فيهم وهم مجرّدون من السلاح، فالإثخان فيهم قتلًا وتقتيلًا وهم مقاتلون يكون أكثر عبرة، لا وهم عزل أسرى، فتثار عندئذٍ الشبهات، فالأسر بعد أن يثخن النبىّ فى الأرض، يثخن فيهم فى ساحة الوغى قتلًا وتقتيلًا واستيلاءً على معاقلهم وأرضهم... عندئذ يأتى الأسر إن كان هناك من يؤسر، لا أن يكون الهمّ الأوّل للمقاتل المسلم أن يأسر، بل الهمّ الأوّل يجب أن يكون القتل والردع وزرع الرعب فى قلوب المشركين ومَن خلفهم وهو ما تريده الآية وتهدف إليه.

بينما الـذى أراده عمر هو الإثخان بهم وهم أسرى، وبما أنّه لا قتل بعد الأسر باستثناء مجرمى الحرب، فقد حلّ الفداء وجاز الانتفاع والتمتّع بما يقدّمه الأسير من مال لفكّ رقبته خاصّة بعد أن أقرّه رسول اللَّهصلى الله عليه و آله وأمر به.

تقول الآية: فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ حَتَّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ

ص: ۱۷۴

فَشُدُّوا الْوَ ثاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِداءً (۱).

أی أکثرتم فیهم القتل والجروح فی ساحة الوغی فضعفوا عن المقاومة عند إذن یأتی دور الأسر، وقد ذکر ابن هشام فی سیرته عن ابن إسحاق، قال: حدّثنی محمّد أبو جعفر بن علی بن الحسین، قال... فقال: ما کانَ لِنَبِیٍّ أی قبلک أَنْ یَکُونَ لَهُ أَسْرِی من عدوّه حَتَّی یُثْخِنَ فِی ٱلْأَرْضِ أی یثخن عدوّه حتّی ینفیه من الأرض تُرِیدُونَ عَرَضَ الدُّنْیا أی المتاع، الفداء بأخذ الرجال. یقول الطبرسی: وهذا خطاب لمن دون النبیصلی الله علیه و آله من المؤمنین الذین رغبوا فی أخذ الفداء من الأسری فی أول وقته ورغبوا فی الحرب للغنیمة... (۲) وَاللَّهُ یُرِیدُ الْآخِرَةَ ثواب الآخرة أی بقتلهم؛ لظهور الدین الذی یرید إظهاره والذی تدرک به الآخرة (۳).

إذن فالإثخان المراد هو الإثخان فی المعرکة، لا الإثخان فی الأسری الذی أراده عمر بن الخطّاب وفریقه.

أمّا بخصوص الآیة التالیة لَوْ لا کِتابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّکُمْ فِیما أَخَذْتُمْ فقال: أی من الأساری والمغانم عَذابٌ عَظِیمٌ أی لولا أنّه سبق منّی أنّی لا اعذّب إلّابعد النهی ولم یکن نهاهم أو حتّی یبین لهم ما یتّقون...، لعذّبتکم فیماصنعتم، ثمّ أحلّها له ولهم رحمةً منه، وعائدةً من الرحمن الرحیم فقال: فَکُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالًا طَیِّباً وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۴).

فبعد أن بیّنت الآیة الکریمة متی یقع الأسر، إنّه بعد الإثخان، عرّضت بما فعلوه من أخذ الأسری طمعاً فی دنیا زائلة، وبعد هذا التعریض الذی أرادته الآیة

۱- ۱ سورة محمّد: ۴.

۲- ۲ مجمع البیان ۳: ۸۵۸.

۳- ۳ السیرة النبویة لابن هشام ۲: ۶۷۶- ۶۷۷.

۴- ۴ مجمع البیان للطبرسی ۳: ۸۵۸.

ص: ۱۷۵

درساً بلیغاً لهم... راحت تبیح لهم ما أخذوه من غنائم وما أخذوه من فداء علی الأسری. علی أن یتّقوا اللّه تعالی، وأن لا یعودوا لمثلها بأن یکون همّهم هو الغنائم والأسری، فأین هذا ممّا ذکره بعض المفسّرین وممّا أسموه- بلا وجل- بالموافقات لقول عمر؟!

الثانی: بعث الأمل فی نفوسهم...

یا أَیُّهَا النَّبِیُّ قُلْ لِمَنْ فِی أَیْدِیکُمْ مِنَ الْأَسْرِی إِنْ یَعْلَمِ اللَّهُ فِی قُلُوبِکُمْ خَیْراً یُؤْتِکُمْ خَیْراً مِمَّا أُخِذَ مِنْکُمْ وَ یَغْفِرْ لَکُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ* وَ إِنْ یُرِیدُوا خِیانَتَکَ فَقَدْ خانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْکَنَ مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (۱).

نزلت هذه الآیة المبارکة فی أسری بدر؛ لتشکّل بذلک موقفاً قرآنیاً لصالحهم، فلم یقف القرآن الکریم عند تبیین حکم الأسری، بل راح یسلّیهم عمّا فقدوه من أجر عظیم بسبب موقفهم ضدّ الرسالة الجدیدة، ویفتح لهم أبواباً اخری للخیر والعطاء، یمکن أن تعوّضهم عمّا خسروه من أجر ومن فداء؛ لیشتروا به حرّیتهم التی ذهبت بأسرهم، وربّ ضارّة نافعة کما یقال، إذا أحسنوا واتّقوا.

فقد روی عن العباس بن عبدالمطلب أنّه قال: نزلت هذه الآیة فیّ وفی أصحابی، کان معی عشرون أوقیة ذهباً فأخذت منّی، فأعطانی اللّه مکانها عشرین عبداً، کلّ منهم یضرب بمال کثیر، وأدناهم یضرب بعشرین ألف درهم مکان العشرین أوقیة، وأعطانی زمزم، وما أُحبّ أنّ لی بها جمیع أموال أهل مکّة، وأنا أنتظر المغفرة من ربّی.

فیما قال قتادة: ذکر لنا أنّ نبیّ اللّهصلی الله علیه و آله لمّا قدم علیه مال البحرین ثمانون ألفاً، وقد توضّأ لصلاة الظهر، فماصلّی یومئذ حتّی فرّقه، وأمر العبّاس أن یأخذ منه

۱- ۱ سورة الأنفال: ۷۰.

ص: ۱۷۶

ويحثى فأخذ، فكان العبّاس يقول: هذا خيرٌ ممّا أخذ منّا وأرجو المغفرة.. (۱).

يقول سيّد قطب: ثمّ يلمس قلوب الأسرى لمسةً تُحيى فيها الرجاء، وتطلق فيها الأمل، وتشيع فيها النور، وتعلّقها بمستقبل خير من الماضى، وبحياة أكرم ممّا كانوا فيه، وبكسب أرجح ممّا فقدوا من مال وديار، وبعد ذلك كلّه بالمغفرة والرحمة من اللَّه.

ثمّ واصل حديثه بقوله: هذا الخير كلّه معلّق بأن تصلح قلوبهم فتنفتح لنور الإيمان فيعلم اللَّه أنّ فيها خيراً.. والخير هو الإيمان حتّى ما يحتاج إلى ذكر وتنصيص. الخير محض الخير، والذى لا يسمّى شيء ما خيراً إلّاأن يستمدّ منه وينبثق منه ويقوم عليه.

ثمّ قال: إنّ الإسلام إنّما يستبقى الأسرى لديه؛ ليلمس فى قلوبهم مكامنَ الخير والرجاء والصلاح، وليوقظ فى فطرتهم أجهزة الاستقبال والتلقّى والتأثّر والاستجابة للهدى، لا ليستذلّهم انتقاماً، ولا ليسخّرهم استغلالًا، كما كانت تتّجه فتوحات الرومان وكما تتّجه فتوحات الأجناس والأقوام (۲).

إذن فالإسلام طَموحٌ ويأمل الخير من هذه النفوس التى كانت بالأمس تقاتله وتريد الإطاحة به وبمبادئه التى جاءت لإنقاذ الإنسان، نعم إنّه لا يقنط من أن يفجّر فيها منابع الخير ومنابت العطاء. لهذا تراه يرعى الأسرى ويمدّهم بكلّ ما يخرجهم من هذا الأسر ومن ماضيهم التعيس.

فجاءت هذه الآية دليلًا واضحاً وبرهاناً ساطعاً على هدف الإسلام العظيم.

بنو قريظة:

۱- ۱ انظر مجمع البيان فى تفسير القرآن، للطبرسى ۴: ۸۶۰- ۸۶۱ وغيره من التفاسير.

۲- ۲ انظر فى ظلال القرآن، سيّد قطب ۳: ۱۵۵۳.

ص: ۱۷۷

الیهود بطوائفهم الثلاث بنو قینقاع وبنو النضیر وبنو قریظة، هؤلاء الثلاثة کانوا قد اتّخذوا من أطراف المدینة سکناً لهم بعد أن طردهم نبوخذنصر من الشام وشتّت جموعهم ولاحقهم حتّی لم یجدوا مکاناً یأوون إلیه ویأمنون به من ملاحقة نبوخذنصر ومن بطشه بهم، إلّایثرب، سکنوا فیها وصارت لهم أسواقهم واتسعت تجارتهم وقویت شوکتهم، ولکنّهم لم تطهر نفوسهم کأنّها اورثت الحقد والخبث علی غیرهم، حقّاً ما فی الآباء یرثه الأبناء.

ولمّا حلّ رسول اللَّهصلی الله علیه و آله بالمدینة بعد هجرته من مکّة، وراح یبنی أُسس دولته الفتیة علیأکتاف جموع منالمؤمنین به وبرسالته الجدیدة، من المهاجرین والأنصار، کان من مهامّه الأساسیة وهو عارف بترکیبة مجتمع یثرب وقبائلها وطوائفها المتعدّدة والتی کان منها قبائل الیهود الثلاث، أن یوادع هذه القبائل متعهِّداً باحترامهم واحترام عقائدهم مع ضمان حرّیة عبادتهم وشعائرهم ولهم أن یعیشوا ویعملوا کالآخرین بأمنٍ وسلام.. ما داموا موادعین مسالمین، لا یهجمون علی مسلم ولا ینصرون عدوّاً للمسلمین، ولا یعکّرون أمناً ولا یسیئون إلی جوار...

لم یتمالک هؤلاء أنفسهم وما فیها من بغض لرسول اللَّهصلی الله علیه و آله وللمسلمین وقد جبلوا علی الفتنة والتآمر، فسرعان ما نقض بنو قینقاع العهد وتبعهم علی ذلک بنو النضیر، فراحوا یحرّضون الأعداء، ویتعاونون معهم ویقدّمون ما یحتاجه المنافقون داخل المجتمع المدنی الجدید، فما کان من رسول اللَّهصلی الله علیه و آله إلّاأن أجلاهم عن قراهم، فذهب جمعٌ منهم إلی منطقة أذرعات فیما ذهب الآخرون إلی خیبر، واکتفی رسول اللَّهصلی الله علیه و آله بهذا الإجراء؛ لأنّ عملهم لم یرتقِ إلی أکثر من هذه العقوبة.

فیما کان لرسول اللَّهصلی الله علیه و آله مع بنی قریظة أمر آخر وحکم أشدّ، وکانت عقوبتهم علی قدر جریمتهم النکراء وخیانتهم الکبری، وأخیراً فقد کلّفتهم هذه الجریمة حیاتهم.

جریمتهم القذرة:

حیی بن أخطب وسلام بن أبی الحقیق وهما من کبار ومن زعماء یهود بنی

ص: ۱۷۸

النضیر، ذهبا مع آخرین منهم فی السنة الخامسة من الهجرة النبویة إلی مکّة حیث المشرکون من قریش وحیث زعماؤهم لإقناعهم وتحریضهم علی الدین الجدید ونبیّه محمّدصلی الله علیه و آله، وعلی قتالهم ووضعوا قدراتهم بین أیدیهم ووعدوهم بغیرها کثمار خیبر لعام کامل، ثمّ ذهبوا إلی غطفان للمهمّة نفسها، وراحوا یحزّبون قریشاً وغطفان ویقولون لهم: إنّا سنکون معکم علیه حتّی نستأصله...

ولمّا سألتهم قریش: یا معشر الیهود، إنّکم أهل الکتاب الأوّل والعلم بما أصبحنا نختلف فیه نحن ومحمّد، أفدیننا خیرٌ أم دینه؟

قالوا: بل دینکم خیرٌ من دینه وأنتم أولی بالحقّ منه.

فأنزل اللّه فی موقفهم هذا قرآناً (الآیات ۵۱- ۵۵ من سورة النساء).

فلمّا قالوا ذلک لقریش سرّهم ونشطوا لما دعوهم إلیه من حرب رسول اللّهصلی الله علیه و آله فاجتمعوا لذلک واتّعدوا له... (۱).

ولم یکتفوا بهذا بل راحوا یحرّضون یهود بنی قریظة علی نقض عهدهم مع رسول اللّهصلی الله علیه و آله والانضمام إلیهم وإلی عشرة آلاف مقاتل من مشرکی قریش وغطفان، الذین تمرکزوا بأطراف المدینة بقیادة أبی سفیان، والذی منعهم عن اجتیاز المدینة وهو الخندق، فبإشارة من الصحابی الجلیل سلمان الفارسی، حفر المسلمون خندقاً فی ستّة أیّام، فی الجانب المکشوف من المدینة، وراحت عساکرهم الثلاثة آلاف تخندق إلی جانبه وظهورهم کانت إلی جبل سلع الذی یحمیهم من الخلف.

فی هذه الحالة التی یعیشها المسلمون اقتنع زعیم بنی قریظة کعب بن أسد بآراء حیی بن أخطب فنقض عهده مع رسول اللّهصلی الله علیه و آله، لیتحوّل إلی طابور یقوّض وحدة المسلمین من الداخل، کما وعد المشرکین بأنّه معهم فی قتالهم مع المسلمین،

۱- ۱ السیرة النبویة لابن هشام ۳: ۲۲۶.

ص: ۱۷۹

وبدأ یمدّهم بالعون والمساعدة، فشکّل بعمله هذا دوراً قذراً وخطیراً علی الجماعة المسلمة.

ما إن سمع رسول اللَّهصلی الله علیه و آله بما آلت إلیه امور بنی قریظة وأفعالهم، حتّی أرسل رسولین منه وهما سعد بن معاذ سیّد الأوس وسعد بن عبادة سیّد الخزرج مع شخصین آخرین؛ لیستطلعوا الأمر، فوجدوا بنی قریظة مصرّین علی موقفهم هذا، وباءت جهود الوفد فی إقناع بنی قریظة بعدم نقض عهدهم وإلّا سیحلّ بهم الجزاء العادل کما حلّ بإخوانهم الیهود من بنی قینقاع وبنی النضیر، باءت جهود الوفد هذه بالفشل، وکان جواب کعب یتّصف بالغلظة والشدّة، ناکراً أن یکون قد عاهد الرسولصلی الله علیه و آله بشیء، وراح وزمرته الخبیثة یشتمون رسول اللَّهصلی الله علیه و آله.

ولم یقف عملهم هذا عند حدٍّ، بل استعدّ کعب وبنو قریظة وأرسلوا إلی الأحزاب یستمهلونهم عشرة أیّام؛ لإکمال عدّتهم وطلبوا من الأحزاب مشاغلة المسلمین، ریثما یرتّبون أُمورهم، فیما راح الأحزاب یوزّعون أنصارهم علی ثلاث فئات أو جماعات، کلّ واحدة تقف فی مکان قرب الخندق لمواجهة المسلمین.

هذان العدوّان راحا یتفاعلان مع المنافقین داخل المدینة، هؤلاء الذین أسسوا علاقات سرّیة مع کلا الجانبین، مع المشرکین فی أطراف المدینة ومع الیهود خاصّة بنی قریظة داخل المدینة.

بدأ الخوف یدخل قلوب مسلمی المدینة خاصّة مَن ضعف إیمانه منهم، فأتی جمع منهم إلی رسول اللَّهصلی الله علیه و آله قائلین له: إِنَّ بُیُوتَنا عَوْرَةٌ... أی هی غیر حصینة ولا منیعة وتجیب عن ذلک السماء: وَ ما هِیَ بِعَوْرَةٍ إِنْ یُرِیدُونَ إِلَّا فِراراً (۱).

هذا الواقع المریر وخطورته راح یصوّره لنا القرآن الکریم بقوله:

إِذْ جاؤُوکُمْ مِنْ فَوْقِکُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْکُمْ وَ إِذْ زاغَتِ الْأَبْصارُ وَ بَلَغَتِ

۱- ۱ الأحزاب: ۱۳.

ص: ۱۸۰

الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا* هُنالِکَ ابْتُلِیَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زِلْزالًا شَدِیداً* وَ إِذْ یَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً* وَ إِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ یا أَهْلَ یَثْرِبَ لا مُقامَ لَکُمْ فَارْجِعُوا وَ یَسْتَأْذِنُ فَرِیقٌ مِنْهُمُ النَّبِیَّ یَقُولُونَ إِنَّ بُیُوتَنا عَوْرَةٌ... (۱).

مقابل هذا هناک تصویر آخر یبیّن فیه تعالی وضع المخلصین الصادقین من المسلمین حیث یقول: وَ لَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ ما زادَهُمْ إِلَّا إِیماناً وَ تَسْلِیماً (۲).

الحرب خدعة

قدّر لرجل من آل غطفان یکتم إسلامه، دورٌ عظیم،، فقد خلط علی الأحزاب والیهود أوراقهم، وراح ینفّر بعضهم من بعض عبر خطّة ذکیة.

لم یکن هذا الرجل حتّی وقت قریب من مشروعه هذا مسلماً، بل عرف بین المشرکین والیهود بأنّه عدوّ لرسول اللّهصلی الله علیه و آله، وهذا ما نفعه کثیراً فی تخذیلهم عبر خطّته التی أمره بها رسول اللّهصلی الله علیه و آله حینما جاء لیسلم.

وکان أوّل عمله أن ذهب إلی بنی قریظة، وکان من ندمائهم فی الجاهلیة، ولم یکن لهم علم بإسلامه، فقال لهم: إنّکم نکثتم العهد وقرّرتم مناصرة الأحزاب، ولکن ماذا تکون نتیجتکم لو رجعت الأحزاب دون نصر، فإنّ الدائرة تدور علیکم وحدکم؛ لذا أری أن ترسلوا إلی قریش وغطفان وتطلبوا منهم رُهُناً حتّی تضمنوا بقاءَهم.

قالوا: لقد أشرت بالرأی.

ثمّ مضی علی وجهه إلی قریش فغطفان وأسرّ إلیهم أنّ بنی قریظة ندموا علی

۱- ۱ الأحزاب: ۱۰- ۲۷.

۲- ۲ الأحزاب: ۲۲.

ص: ۱۸۱

نقض العهد، وأنّهم أرسلوا إلى الرسول يسترضونه ويقولون: إنّهم يأخذون منكم رهائن ويرسلونهم إليه ليضرب أعناقهم، فإن سألوكم رهائن فلا تعطوها. هذه خلاصهٔ خطته، وأما تفصيلها:

فيقول الخبر عن نعيم هذا: أتى رسول اللّهصلى الله عليه و آله فقال: يارسول اللّه، إنّى قد أسلمت، وإنّ قومى لم يعلموا بإسلامى، فمرنى بما شئت، فقال رسول اللّهصلى الله عليه و آله: إنّما أنت فينا رجل واحد، فخذّل عنّا إن استطعت، فإنّ الحرب خدعهٔ.

فخرج نعيم بن مسعود حتّى أتى بنى قريظهٔ، وكان لهم نديماً فى الجاهليهٔ فقال:

يا بنى قريظهٔ، قد عرفتم ودّى إيّاكم، وخاصّهٔ ما بينى وبينكم، فقالوا:صدقت، لست عندنا بمتّهم، فقال لهم: إنّ قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره، وإنّ قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمّد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بعيدهٔ، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نُهزهٔ (انتهاز الفىء واختلاسه) أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقهٔ لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتّى تأخذوا منهم رُهناً من أشرافهم، يكونوا بأيديكم ثقهٔ لكم على أن تقاتلوا معهم محمّداً حتّى تناجزوه، فقالوا له: لقد أشرت بالرأى.

ثمّ خرج حتّى أتى قريشاً، فقال لأبى سفيان بن حرب ومَن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودّى لكم وفراقى محمّداً، وإنّه قد بلغنى أمر قد رأيت علىّ حقّاً أن أبلغكموه نُصحاً لكم، فاكتموا عنّى، فقالوا: نفعل، قال: تعلموا أنّ معشر يهود قد ندموا على ماصنعوا فيما بينهم وبين محمّد، وقد أرسلوا إليه: إنّا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يُرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين، من قريش وغطفان رجالًا من أشرافهم، فنعطيكهم، فتضرب أعناقهم، ثمّ نكون معك على من بقى منهم حتّى نستأصلهم؟

ص: ۱۸۲

فأرسل إلیهم: أن نعم.

فإن بعث إلیکم یهود یلتمسون منکم رُهناً من رجالکم، فلا تدفعوا إلیهم منکم رجلًا واحداً.

ثمّ خرج حتّی أتی غطفـان، فقال: یا معشـر غطفان، إنّکم أصـلی وعشـیرتی، وأحبّ الناس إلیّ، ولا أراکم تتّهموننی، قالوا:صـدقت، ما أنت عندنا بمتّهم.

قال: فاکتموا عنّی، قالوا: نفعل، فما أمرک؟ ثمّ قال لهم مثل ما قال لقریش وحذّرهم ما حذّرهم (۱).

فعلًا إنّها مکیـدة ذکیـة، راحت تفعل فعلها فیهم جمیعاً وتؤتی نتائجها، فقـد أرسل الأحزاب جماعـة منهم عکرمة بن أبی جهل إلی بنی قریظة، قائلین لهم: إنّا لسـنا بدار مُقام، قد هلک الخفّ والحافر، فاغدوا للقتال حتّی نناجز محمّداً، ونفرغ ما بیننا وبینه، فأرسلوا إلیهم أنّ الیوم یوم السبت لا نعمل فیه شیئاً... وطلبوا من الأحزاب رهائن ضماناً لبقائهم معهم.

وهنا لم یبقَ عنـد الأحزاب- بعـد الـذی سـمعوه- شکّ فیما قاله نعیم، فداخلهم الشک والقلق من حلفائهم بالأمس، ثمّ راحت الأحوال الجوّیـة هی الاـخری تؤدّی دوراً آخر، فهطول الأمطـار وغزارتهـا وهبوب الریـاح وبرودتهـا والعواصف وشـدّتها قلعت خیـام الأـحزاب وبعثرت أمتعتهم، فأدخلت بذلک الرعب والخوف علیهم.

وهم فی هذه الحالة المقلقة، داخلهم وهمٌ أنّ المسلمین بدأوا یقتربون من مواقعهم، مقدّمةً لمداهمتهم.

وراحت هـذه الأوهام والمخاوف تتجـذّر فی نفوسـهم فإذا بطلحـة بن خویلـد وقد نادی: أنّ محمّداً یعبر إلینا ویورثنا الهلاک فالتمسوا النجاة، وما إنصکّ هذا

۱- ۱ السیرة النبویة لابن هشام ۳: ۲۴۰- ۲۴۲.

ص: ۱۸۳

النداء آذان أبی سفیان حتّی نادی بمثله.

فرحلت الأحزاب تحت جنح الظلام، وعند الصباح لم یکن لهم أثرٌ یذکر.

قال تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اذْکُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَیْکُمْ إِذْ جاءَتْکُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَیْهِمْ رِیحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها... (۱).

والجنود الأولی هم: قریش وغطفان وبنو قریظة، والجنود الاخری هم الملائکة. وباءت خطّة یهود بنی قریظة بالفشل الذریع، وحلّ بهم جزاء فعلتهم هذه العقابُ العادل.

إذ کان دورهم وغدرهم مساویاً إلی دور قریش وغطفان ولا یقلّ عنهما أبداً إن لم یکن أشدّ من ذلک وأمضی فعدو الداخل قد یکون أکثر خطراً من عدو الخارج وأعظم کیداً. لهذا تری القرآن الکریم یذکرهم جمیعاً بمنزلة واحدة إِذْ جاءَتْکُمْ جُنُودٌ...، إِذْ جاؤُکُمْ مِنْ فَوْقِکُمْ وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْکُمْ... والجنود هم: بنو قریظة الذین جاءوهم من فوقهم، والذین جاءوهم من أسفل منهم قریش وغطفان (۲).

جزاؤهم

إذن بنو قریظة ارتکبوا خیانةً کادت تودی بالجماعة المسلمة وتقضی علی الدین الجدید، وفی أقلّ التقادیر عرّضت المجتمع الجدید ورسالته لأخطر موقف وأشدّه، وکاد أن یترک آثاره السیئة علی الحالة الإسلامیة لولا رحمة السماء، وقد استشهد من المسلمین نتیجة هذا التحالف القذر والتآمر الدنیء ستّة نفر.

فخیانتهم للعهد وغدرهم برسول اللّهصلی الله علیه و آله، وممالأتهم لمشرکی قریش وتقدیم العون لهم، وتعاونهم مع منافقی المدینة فی أن یجعلوا أنفسهم عامل هدم للمسلمین

۱- ۱ الآیات ۹- ۲۵ من سورة الأحزاب.

۲- ۲ انظر الآیات الخاصّة بوقعة الخندق وبنی قریظة ۹- ۲۷ من سورة الأحزاب.

ص: ۱۸۴

من داخل المدینهٔ، لتشتیتصفّهم وتضعیف کیانهم.

وأیضاً إصرارهم علی مواقفهم هذه التی منبعها الخبث والحقد مع کلّ جهود رسول اللّهصلی الله علیه و آله فی أن یحیّدهم، إلّاأنّهم زادوا عناداً وإصراراً علی موقفهم هذا.

خیانهٔ عهد وعداء قذر للمسلمین، وإعلام مضاد شنّوه ضدّهم، وتعاون مع المنافقین، وتحریض الأحزاب وإمدادهم بما یحتاجون إلیه.

ما إن مکث رسول اللّهصلی الله علیه و آله والمسلمون قلیلًا لصلاهٔ الظهر حتّی أمر منادیه أن یؤذن فی الناس: «مَن کان سامعاً مطیعاً فلا یصلّین العصر إلّافی بنی قریظهٔ».

فتوجّه المسلمون من فورهم إلی حیث حصونها وقلاعها یتقدّمهم الإمام علی علیه السلام برایته. حتّی إذا دنا سمع منهم مقالهٔ قبیحهٔ لرسول اللّهصلی الله علیه و آله فرجع حتّی لقی رسول اللّهصلی الله علیه و آله بالطریق، فقال: یارسول اللّه، لا علیک أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: لِمَ؟ أظنّک سمعت منهم أذی؟ قال: نعم، یارسول اللّه، قالصلی الله علیه و آله: لو رأونی لم یقولوا من ذلک شیئاً.

تقول الروایهٔ: فلمّا دنا رسول اللّهصلی الله علیه و آله من حصونهم، قال: یا إخوان القِردهٔ، هل أخزاکم اللّه وأنزل بکم نقمته؟

قالوا: یا أبا القاسم ما کنت جهولًا.

وکما تقول الروایهٔ: إنّ جبریل سبق رسول اللّهصلی الله علیه و آله- بعد أن أبلغه أمر السماء بالتوجّه إلیهم- نحو بنی قریظهٔ لیزلزل بهم حصونهم، ویقذف الرعب فی قلوبهم.

وحاصرهم رسول اللّهصلی الله علیه و آله خمساً وعشرین لیلهٔ حتّی جهدهم الحصار وقذف اللّه فی قلوبهم الرعب، ولمّا تیقّنوا أنّ رسول اللّهصلی الله علیه و آله غیر منصرف عنهم حتّی یناجزهم، قال أحدهم وهو کعب بن أسد: یا معشر یهود، قد نزل بکم من الأمر ما ترون، وإنّی عارض علیکم خلالًا ثلاثاً، فخذوا أیّها شئتم، قالوا: وما هی؟ قال:

نتابع هذا الرجل ونصدّقه، فواللّه لقد تبیّن لکم أنّه نبیٌّ مرسل، وأنّه للذی تجدونه فی کتابکم، فتأمنون علی دمائکم وأموالکم وأبنائکم ونسائکم.

ص: ۱۸۵

قالوا: لا نفارق حکم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غیره.

ثمّ طلب منهم أن ینزلوا إلی المسلمین لیقاتلوهم، فاعتذروا مرّةً بأنّهم لا یستطیعون قتل نسائهم وأبنائهم کما طلبها هو، ومرّةً بأنّهم لا یریدون إفساد سبتهم.

فقال لهم: ما بات رجل منکم منذ ولدته امّه لیلة واحدة من الدهر حازماً (۱).

ثمّ طلبوا من رسول اللَّهصلی الله علیه و آله أن یبعث لهم أبا لبابة بن المنذر؛ لیستشیروه لکنّه لم یحسن التصرّف، وقصّته معروفة (۲).

ولمّا یئسوا من مقاومتهم للمسلمین وإنهاء الحصار المضروب علیهم طیلة هذه المدّة، نزلوا علی حکم رسول اللَّهصلی الله علیه و آله، وشفعت لهم الأوس وهم حلفاؤهم فی الجاهلیة، فقال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله: ألا ترضون یا معشر الأوس أن یحکم فیهم رجل منکم؟ قالوا: بلی، قال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله: فذاک إلی سعد بن معاذ. وقبل الیهود بحکمه قائلین: ننزل علی حکم سعد بن معاذ، ثمّ قال له جمع: یا أبا عمرو، أحسن فی موالیک، فإنّ رسول اللَّهصلی الله علیه و آله إنّما ولّاک ذلک لتحسن فیهم... فقال: علیکم بذلک عهد اللَّه ومیثاقه،... فإنّی أحکم فیهم أن تقتل الرجال، وتقسّم الأموال، وتسبی الذراری والنساء.

تقول الروایة: إنّ رسول اللَّهصلی الله علیه و آله قال لسعد: لقد حکمت فیهم بحکم اللَّه من فوق سبعة أرقعة (سموات، الواحدة: رقیع) (۳).

وهذا نتیجة خیانتهم وغدرهم وتآمرهم، وتمّ قتلهم وفیهم حُیی بن أخطب، وکعب بن أسد رأسهم، واختلف فی عددهم فقول: إنّهم ستمائة أو سبعمائة، وقول:

۱- ۱ انظر السیرة النبویة ۳: ۲۴۶- ۲۴۷.

۲- ۲ انظر السیرة النبویة ۳: ۲۴۷ وما بعدها.

۳- ۳ انظر السیرة النبویة ۳: ۲۵۱.

ص: ۱۸۶

إنّ عددهم كان بين ثمانمائة وتسعمائة (۱).

ولم يقتل من نسائهم إلّاامرأة واحـدة، تلك التى طرحت الرحى على خلّاد بن سويـد فقتلته، أمّا بقيـة نسائهم وأطفالهم فقد قسـمت بين المسلمين، وبعث رسول اللّهصلى الله عليه و آله بحصة الدولة منها إلى نجد فبيعت هناك، واشترى بها سلاحاً وخيلًا عدّة للمسلمين.

قال تعالى:

وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْصَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً* وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً (۲).

ويبدو أنّ سعد بن معاذ لم يكن فى حكمه هذا بعيداً عمّا ورد فى شريعة اليهود فى أعدائهم إذا ظفروا بهم، ومن العدل أن يحكم فيهم بما يحكمون به أعداءَهم.

فهذه التوراة، فى سفر التثنية ۱۰- ۱۵ تقول:

«حين تقرب من مدينـة لكى تحاربها اسـتدعها للصـلح، فإن أجابتك إلى الصـلح وفتحت لك، فكلّ الشـعب الموجود فيها يكون لك للتسـخير وتستعبد لك، وإن لم تسالمک، بل عملت معك حرباً فحاصرها، وإذا دفعها الربّ إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحدّ السـيف، وأمّا النساء والأطفال والبهائم وكلّ ما فى المدينـة كلّ غنيمة فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الربّ إلهك».

حوار مع رئيس بنک التنمیة الاسلامی

۱- ۱ السيرة النبويّة ۳: ۲۵۲.

۲- ۲ سورة الأحزاب: ۲۶- ۲۷.

ص: ۱۸۷

حوار مع رئیس بنک التنمیهٔ الإسلامی

بسم اللَّه الرحمن الرحیم

معالی الدکتور أحمد محمد علی رئیس بنک التنمیهٔ الإسلامی المحترم:

بـدءاً نقدِّم لکم جزیل شکرنا، لهذه الفرصهٔ الطیّبهٔ لإجراء هذا اللقاء الخاصّ لمجلهٔ میقات الحجّ الذی تفضّـلتم به علینا ونحن لکم من الشاکرین، وندعو اللَّه سبحانه وتعالی طیب الإقامهٔ لکم فی الجمهوریهٔ الإسلامیهٔ.

: فی بدء لقائنا هذا، یودّ قرّاء مجلّهٔ میقات الحجّ التعرّف علی شخصکم الکریم، فهلّا تتفضّلون بذلک مشکورین؟!

أحمد محمّد علی رئیس البنک الإسلامی للتنمیهٔ، من موالید المدینهٔ المنوّرهٔ حیث أکملت بها دراساتی الابتدائیهٔ والثانویهٔ، ثمّ التحقت بجامعهٔ القاهرهٔ وتخرّجت من کلّیهٔ التجارهٔ وکلیهٔ الحقوق، ثمّ عملت فی وزارهٔ المعارف لمدّهٔ ثلاث سنوات قبل أن أذهب للدراسهٔ فی الولایات المتّحدهٔ الأمریکیهٔ حیث حصـلت علی الماجستیر من جامعهٔ ماشـگن، والدکتوراه فی الإدارهٔ العامّهٔ والإدارهٔ المالیهٔ من جامعهٔ ولایهٔ نیویورک، بعدها عُینت رئیس جامعهٔ

ص: ۱۸۸

الملک عبـد العزیز بالنیابهٔ عند إنشاء هذه الجامعهٔ وخدمت بها خمس سـنوات، ثمّ عُیِّنت وکیلًا لوزارهٔ المعارف بالشؤون الفنّیهٔ وبعدها تشرّفت بأن انتُخبتُ رئیساً للبنک الإسلامی للتنمیهٔ فی عام ۱۳۹۵ ه– ۱۹۷۵ م.

ومنذ ذلک الحین وأنا أعمل رئیساً للبنک الإسـلامی للتنمیهٔ باسـتثناء فترهٔ سنتین کنت انتخبت أمیناً عامّاً لرابطهٔ العالم الإسلامی، فمعنی ذلک أنّنی خدمت الآن حوالی ما یقرب من سبعهٔ وعشرین عاماً فی البنک الإسلامی للتنمیهٔ رئیساً لهذه المؤسّسهٔ.

: منـذ سـنوات عدیدهٔ والحجّاج خاصّهٔ الإیرانیین منهم کانوا یتمنّون أن تکون هناک طریقهٔ للاسـتفادهٔ من ذبائح الهدی، فمن أیّ وقت فکّر معالیکم فی حلّ هذه المشکلهٔ؟

فی الحقیقه البنک الإسلامی للتنمیهٔ یشرف حالیاً علی تنفیذ مشروع المملکهٔ العربیهٔ السعودیهٔ للإفادهٔ من أضاحی الحجّ الذی انشئ عام ۱۴۰۳ هجریهٔ بتوجیه من خادم الحرمین الشـریفین، وقد تمّ تنفیذه والإشـراف علیه من قبل لجنهٔ مکوّنهٔ من عدد من الجهات الحکومیهٔ، وهناک العدید من الوزارات وهی: وزارهٔ الأشـغال العامّهٔ والإسکان باعتبارها الجهه المشرفهٔ علی مشاریع وزارهٔ الداخلیهٔ ووزارهٔ المالیهٔ والاقتصاد الوطنی ووزارهٔ الحجّ ووزارهٔ الشؤون الإسـلامیهٔ والدعوهٔ والإرشاد ووزارهٔ العدل ووزارهٔ الشؤون البلدیهٔ والقرویهٔ ممثّلهً بأمانهٔ العاصمهٔ وهی إمارهٔ منطقهٔ مکّهٔ المکرّمهٔ لها ممثِّلون فی هذه اللجنهٔ التی تشرف علی تنفیذ مشروع المملکهٔ العربیهٔ السعودیهٔ للإفادهٔ من أضاحی الحجّ، واسـند تنفیذ هذا المشـروع إلی البنک الإسلامی الدولی، ومنذ عام ۱۴۰۳ هجریهٔ وهذا المشروع یتطوّر تدریجیّاً بفضل الإمکانات التی وفّرتها حکومهٔ المملکهٔ العربیهٔ السعودیهٔ

ص: ۱۸۹

لإنشاء المجازر الحديثة المجهّزة. وقد تطوّر هذا المشروع منذ عام ۱۴۰۳ هجرية فاستفيد من حوالى ۶۳ ألف رأس فى حين وبحمد اللَّه فى العام الماضى تجاوزت الأغنام التى استفيد منها ۶۰۰ ألف رأس إلى جانب حوالى ۶۰۰۰ رأس من الجمال والبقر، فالمشروع بحمد اللَّه تطوّر تدريجيّاً. الآن جميع المجازر الموجودة فى المشاعر تعمل فى إطار هذا المشروع، فى الأوّل بدأت مجزرة واحدة نموذجية هى معيصم رقم واحد، ثمّ مجزرة نموذجية معيصم رقم اثنين، ثمّ معيصم رقم ثلاثة، ثمّ مجزرة الجمال والأبقار، ثمّ مجزرة السنبلة بعد ذلك المجزرة القديمة ازيلت وحلّت محلّها خيام حديثة للحجّاج وانشئت المجزرة الحديثة التى افتتحت من قبلصاحب السموّ الملك عبداللَّه بن عبد العزيز وليّ العهد نائب رئيس مجلس الوزراء العام قبل الماضى.

فالمجزرة هذه لها سنتان تعمل من العام الماضى كما شاهدتم بأنفسكم كانت الإدارة أحسن من العام السابق، ونتوقّع السنة القادمة تكون أفضل، وكلّ سنة إن شاء اللَّه نستفيد من تجارب السنوات الماضية لخدمة حجّاج بيت اللَّه الحرام، ونحن أيضاً سعيدون للتعاون القائم مع منظمة الحجّ والعمرة فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وللتعاون الوثيق والقوى القائم بين المشروع وبين بعثة المنظمة المذكورة.

: معالى رئيس بنك التنمية الإسلامى، فى الوقت الحاضر المشروع فى أىّ مرحلة من مراحله؟ وكم هو عدد الحجّاج الذين يقومون بذبح الأضاحى عن طريق البنك؟

طبعاً الإحصاءات التى بأيدينا هى إحصاءات متعلّقة بعدد الذبائح، وهناك بعض الحجّاج يأتون بوكالات عن أشخاص ربما أنّهم ما حجّوا يطلبون

ص: ۱۹۰

منهم تقدیمصدقات نیابة عنهم، فالإحصاء الذی لدینا لا یدلّ بدقّة علی عدد الحجّاج، ولکن لدینا إحصاء عدد الأغنام التی تمّ شراؤها من الحجّاج، نحن عندنا إحصائیات، سوف نعطیکم إحصائیة کاملة، من بدایة المشروع عام ۱۴۰۳ هجریة إلی حجّ العام الماضی ۱۴۲۰ هجریة، سنعطیکم إیّاها بدقّة إن شاء اللَّه تعالی.

: بقیّة الحجّاج من ناحیة ذبح الأضاحی ماذا یعملون، هل یقومون بأداء حجّ الافراد أو یذبحون من مسالخ مکّة المکرّمة؟

طبعاً هناک عدّة فئات کما تفضّلت، بعض الحجّاج المفردین الذین لیس علیهم دم أی أنّهم لا یذبحون طبعاً هم فی خیار الصیام فبعضهم یصومون ثلاثة أیّام فی الحجّ وسبعة إذا رجعوا وتلک عشرة کاملة، وعند الشوافع هؤلاء یذبحون الهدی بمجرّد التمتّع حینما یأتی متمّعاً، فبمجرّد أنّه یتمّع بالعمرة یقوم بذبح الهدی، فیقومون بأداء هدیهم قبل الحجّ من مجازر مکّة العادیة، وقلیل من الحجاج أیضاً حتّی أیّام الحجّ یذبحون فی مجازر موجودة فی مکّة وفی مجزرة البدیرة هذه البعیدة عن منی، أمّا المجازر الموجودة حالیّاً حول مشعر منی وأنتم تعرفون أنّها لصیقة بحدود منی الشرعیة، هذه المجازر کلّها تأتی فی إطار مشروع المملکة للإفادة من الحجّ.

: کیف أقدمتم علی حلّ المسائل الشرعیة بالنسبة لنحر الأضاحی؟

طبعاً هناک کثیر من الامور الشرعیة کما تعلم، وهناک العدید من المدارس الفقهیة. فنحن والحمد للَّه‌تعالی نعتزّ بثروة الفقه الإسلامی، کما تعلمون عندنا ثروة کبیرة؛ فلذلک هناک العدید من الآراء فی طرق أداء المناسک، فنحن نحاول بقدر المستطاع أن نلبّی وجهات نظر جمیع هذه

ص: ۱۹۱

المدارس من أجل أن یقتنع الحجّاج بما یقومون به والاسلوب الذی یقومون به بأداء هذا النسک العظیم، فمثلًا بالنسبة للاخوة الأحناف والاخوة فی المـذهب الجعفری الـذین یرون، أو الـذین یأخـذون بالآراء الفقهیة التی تری وجوب ترتیب أعمال أیّام النحر بمعنی أنّهم یرون أنّ الحاج بعـد أن یرمی جمرة العقبـة علیه أن یقوم بأداء الهـدی، ثمّ بعـد ذلک الحلق أو التقصیر ثمّ التحلّل الأوّل فی حین أنّ- کما تعلمون- رأی الجمهور یری عدم وجوب هذا الترتیب وإنّما إذا رمی جمرة العقبة وحلق أو قصّر یؤذن له أن یتحلّل فی أداء اثنین من الثلاثـة، فهؤلاء النـاس طبعـاً ممکن أنّهم یحلّون إحرامهم خلافـاً للمـدارس الفقهیـة الاخری التی هی غیر ذلک، فلمساعـدة هؤلاء المشـروع أوجـد نظـام الوکالـة، فهـذا المشـروع یُتیـح لکلّ ثلاثین حاجّاً أن یرسـلوا وکیلًا عنهم، وهـذا الوکیل یُعطی تصـریح بـدخول المجزرة والإشـراف علی أداء النسک الخاصّ به وبموکّلیه وله أیضاً إذا رغب أنیذکّی أصالةً عننفسه أو نیابةً عنموکِّلیه ویأخذماشاء من اللحوم ومن الذبائـح، وهذا الوکیل حینئذٍ یخبر موکّلیه أنّه تمّ أداء النسک فی تلک الساعة، وحینئذٍ یتمکّنون من أن یفکّوا الإحرام ویتمکّنوا من التحلّل الأوّل بعـد أن یکونوا قـد رموا جمرة العقبـة. هـذه وسیلة من الوسائـل التی أمکن معالجـة ما یـذهب إلیه الاخوة الحجّاج الذین یتّبعون المذهب الجعفری أو یتّبعون رأی الإمام الحنفی. هناک العدید من التوصیات الاخری أنا کنت ذکرت بعضها.

: هل یری معالیکم أنّ فی حالـة ازدیاد عدد المسالخ وإیجاد تسـهیلات أکثر للحجّاج، فسوف یتمکّن أکثر عدد من هؤلاء الحجّاج من نحر الأضاحی عن طریق بنک التنمیة الإسلامی؟

الرسولصلی الله علیه و آله قرّر أربعة أیّام للذبح وهی یوم عید النحر وأیّام التشریق

ص: ۱۹۲

بأكملها، فنحن الآن الإمكانات الموجودة تفى بجميع احتياجات الحجّاج، ففى العام الماضى على سبيل المثال من بعد عصر اليوم الثانى قفلنا وحدتين من الوحدات الأربع فى المجزرة الحديثة واكتفينا بوحدتين فقط، لأنّ الطاقة موجودة، لو كان الطلب أكثر لما قفلنا وحدتين، فمعنى ذلك الطاقات الموجودة الآن فى المجازر كافية لتلبية جميع حاجة حجّاج بيت اللَّه الحرام فى السنوات القليلة المقبلة بإذن اللَّه تعالى.

: فى السنة الماضية كثير من الحجّاج الإيرانيّين كانوا مسرورين بالطريقة التى يستفاد بها من لحوم الأضاحى، وهذا عمل خير وكانوا مسرورين لهذا، ولكن فى بعض الامور هناكصعوبات حدثت لبعضهم؛ منعتهم من الاستفادة، وكان السبب الذى لمسه المسؤولون عندنا أنّ بعض الرجال الذين كانوا موجودين هناك والمأمورين لم يكن عندهم النشاط اللازم من أجل القيام بهذه المهمّة، فكيف تقيّمون هذه المشكلة، وهل رأيتم حلّاً لها؟

الحقيقة فى العام الماضى هناك نقص فى أعداد الجزّارين العمّال بعد ظهيرة اليوم الأوّل، لكن الحمد للَّهأمكن التغلّب ومعالجة هذه المشكلة بحيث إنّه أمكن ذبح أكثر عدد ممكن فى اليوم الأوّل، ولا تحضرنى الآن الإحصائية لكن أُحاول أن أحصل عليها، ذُبحت أعداد كبيرة جدّاً وفى اليوم الثانى بعد الظهر تقريباً المجزرةصار فيها عدد قليل من الناس يعنى ظهيرة اليوم الثانى كان أغلب الحجّاج تقريباً قد تمكّنوا من استكمال الذبح أو النحر بحيث كما أخبرتك أنّنا تقريباً بعد ظهر أو بعد عصر اليوم الأوّل أقفلنا وحدتين من وحدات المجازر الأربع؛ لأنّه ما كان عليها طلب ما كان هناك حجّاج وهذا تقريباً من عصر اليوم الثانى. فمعنى ذلك الحمد للَّهجميع احتياجات الحجّاج لُبّيتْ قبل مغرب اليوم الثانى وهذا شىءٌ عظيم.

ص: ۱۹۳

: هل بإمکانکم توفیر العدد اللازم من الأضاحی التی تتوفّر فیها الشروط اللازمهٔ وفقاً لمذهب الشیعهٔ، فمثلًا علی سبیل المثال سلامهٔ آذانها والقرون وباقی الأشیاء؟

مشروع المملکهٔ لنحر الأضاحی الهدف الأساسی من قیامه هو توفّر جمیع الشروط الشرعیهٔ والبیطریهٔ فی کلّ ما یعرض من الأنعام فی المجازر، هذا هو الهدف الأساسی والأوّل؛ فلذلک حینما یعلن عن توفیر الأغنام توضع جمیع الشروط الشرعیهٔ والتی یجب توفّرها، فإذا کان هناک شروط اخری غیر التی نحن نعرفها فی رأی الجمهور خاصّهٔ بالمذهب الجعفری أرجو إعطائی إیّاهاو والبنک یسعی بإذنه تعالی إلی توفیر الأغنام والأنعام التی تحمل هذه الشروط، ونحن علی استعداد لمراجعهٔ العلماء الأجلّاء فی الجمهوریهٔ الإسلامیهٔ الإیرانیهٔ.

: معالی رئیس بنک التنمیهٔ الإسلامی، ماذا تتوقّعون من الحجّاج الإیرانیّین حین ذبح الأضاحی فی المکان المخصّص؟

أوّل شیء نرجوه هو أن یأتوا من الصباح الباکر حین یبدأ الذبح فبعد أن یسلِّم الإمام فیصلاهٔ المشهدصلاهٔ العید ویقول: السلام علیکم، بعد انتهاء هذه الصلاهٔ یبدأ الذبح یعنی تقریباً من الساعهٔ السابعهٔ والسابعهٔ والنصفصباحاً إلّاأنّ وکلاء الحجّاج لا یأتون إلّاالساعهٔ ۳۰/ ۹- ۱۰ فیضیع وقت ثمین من الصباح الباکر تکون المجازر خالیهٔ؛ لذلک نحن رجونا من الاخوهٔ المسؤولین فی منظّمهٔ الحجّ والعمرهٔ أنّ وکلاء السیّدات باعتبارهنّ ینفرن من مزدلفهٔ بعد منتصف اللیل مباشرهٔ ویتمّ رمی جمرهٔ العقبهٔ مبکّراً، وکلاء السیّدات یأتون إلینا مبکِّرینصباحاً حتّی نستفید من فترهٔ الصباح یعنی ساعات مهمّهٔ جدّاً هذه واحدهٔ.

ص: ۱۹۴

الأمر الثانی: بالنسبهٔ للتفویج أن یکون هناک تفویج منظّم بحیث فترات الندوهٔ ما یکون فیها ازدحام أکثر ممّا یجب.

الأمر الثالث: أنّه طبعاً لا یمکن ذبح جمیع الأغنام فی الیوم الأوّل؛ لأنّه کما ذکرت یتمّ ذبح ما بین ۶۰۰ إلی ۷۰۰ ألف فی خلال فترهٔ الحجّ فلا یمکن ذبح الکلّ فی الیوم الأوّل، فلذلک نرجو أن یکون هناک تنظم بحیث إنّه جزء من الهدی یتمّ ذبحه فی الیوم الثانی ونحن نعد بإذن اللّه بأنّه فی الیوم الثانی جمیع ما یتبقّی من الهدی یتمّ ذبحه قبل مغرب الیوم الثانی بإذنه تعالی.

: کیف یتمّ الاستفادهٔ من الأضاحی؟ ولأیّ الدول تصدّر هذه الأضاحی؟

وبالنسبهٔ لمصاریف النقل هل بنک التنمیهٔ یقوم بدفعها أو الدول التی تصدَّر إلیها تدفع مصاریف النقل؟

بالنسبهٔ للاستفادهٔ کما تعلم وکما ذکرت أوّل شیء بعد التأکّد من جمیع الشروط الشرعیهٔ والصحّیهٔ، والتأکّد من سلامهٔ الأغنام والذبائح وصلاحیتها للاستهلاک الآدمی، یتمّ التوزیع من أوّل أیّام العید- عید الأضحی المبارک- علی حجّاج بیت اللّه الحرام فی منی کما یتمّ التوزیع أیضاً علی فقراء الحرم، وبعد ذلک یتمّ إرسال کمّیات إلی حوالی ۲۷ دولهٔ من الدول الإسلامیهٔ، ویتمّ الشحن بکلّ وسائل النقل، فعن طریق البرّ یتمّ الشحن برّاً إلی الأردن وسوریا ولبنان وفلسطین وإن کان هذه السنهٔ قد منعت السلطات الإسرائیلیهٔ من دخول الأغنام إلی الأراضی الفلسطینیهٔ، ولکن فی السنوات السابقهٔ کنّا نرسل شحنات أیضاً إلی فلسطین عن طریق البر، یتمّ الشحن جوّاً أیضاً ابتداءً من ثانی أیّام عید الأضحی المبارک للاجئین الأفغان فی الباکستان وإلی الدول الافریقیهٔ التی لا موانئ لها، وهناک شحنات جوّیهٔ تنقل إلی الخرطوم فی السودان وإلی جمنهٔ فی شاد وإلی

ص: ۱۹۵

نيامى فى النيجر وإلى وكـدوگو فى بركى نقاسو وإلى ماكو من مالى، ويتمّ الشحن بحراً إلى موانئ البحر الأحمر فى السويس والسودان، جيبوتى وحينما تكون الأحوال مستتبة فى الصومال نرسل إلى الصومال وشرق افريقيا كانت ترسل شحنات إلى بمبسة من كينيا وإلى دار السلام من تنزانيا وزنجبار وإلى جزر القمر وإلى موزنبيق، وهناك باخرة يكون فيها حوالى ما يزيد عن ۵۵ ألف رأس إلى بنگلادش مباشرة وهناك باخرة اخرى لغرب افريقيا تنقل إلى جميع الموانئ- موانئ الدول الإسلامية فى غرب افريقيا بدءاً من نواكشوط موريتانيا إلى دكار فى السنغال وإلى بنجو فى گامبيا إلى غينيا بياو وغينيا كركلى وفرى تاون فى سيرالؤن وهناك شحنة أيضاً تُرسل إلى آذربايجان وإلى ألبانيا وإلى البوسنة والهرسك، هذه تقريباً بإيجاز الأماكن التى تمّ التوزيع لها.

بالنسبة إلى تكاليف الشحن أوّل ما بدأ المشروع من أوّل سنة فى البنك الإسلامى للتنمية، كانت التكلفة حوالى ۱۰ مليون ريال تحمّل البنك الإسلامى فى التنمية التكلفة كاملة، ثمّ بعد ذلك كان الحجّاج يصرّون على المساهمة فى تكاليف الجزّارين والبيطريين والمشرفين وتكاليف الإيصال إلى المستحقّين، وفعلًاصار الحجّاج يسهمون فى هذه التكاليف فى السنوات الاولى كان يصير عجز كان البنك الإسلامى يسدّد هذا العجز، ثمّ بعد ذلك أصبح الآن مساهمات الحجّاج تغطّى المصاريف الجارية التى هى كما ذكرت مصاريف الجزّارين والأطبّاء البيطريين والمشرفين وتكاليف النقل، أمّا تكاليف إنشاء المجازر فهى طبعاً تكاليف عالية جدّاً، يعنى الحاج لا- يساهم فى تكاليف المجازر، وبالنسبة للتوزيع هذا تقريباً التكاليف إلى الآن يساهم فيها الحاج بتغطية كامل تكاليف النقل حالياً، الآن لو نبغى نقلها إلى أماكن اخرى تحتاج إلى تكاليف اخرى ولئلّا نضيف تكاليف إضافيةصرنا نطلب

ص: ۱۹۶

أى طلب جديد يأتينا الآن أو نطلب من الجهة التى تتقبّل بأن تتحمّل تكاليف النقل إلى تلك البلدان وذلك لأنّه فى الوقت الحاضر ما عندنا أىّ مبالغ إضافية لنقل إضافى إلى أماكن جديدة، ولهذا السبب نحن شاكرون لمؤسسة إمداد الإيرانية التى تفضّلت ووافقت على أن تنقل على نفقتها ۲۰ ألف رأس من ميناء جدّة إلى إيران، ونرجو أن يكون ذلك فى الوقت القريب إن شاء اللّه. أرجو أن أكون قد أجبت عن سؤالك.

: معالى رئيس بنك التنمية الإسلامى؛ نشكركم جزيل الشكر على هذا اللقاء وعلى هذه الفرصة التى أتحتموها لمجلّتنا وكان عندنا أسئلة اخرى لكنّ وقتكم ضيّق ولا نريد مزاحمتكم أكثر من هذا، نتمنّى لقاءكم فى فرصةٍ اخرى.

الحجّ فى الأدب العربى

ص: ۱۹۷

الحجّ فى الأدب العربى

مكّة والبيت المبارك فى عيون الشعراء

بيتٌ بَنَتْهُ يد التقوى وشيّده أبو النبيّين.. للأجيال يرفعهُ

أمجاده فى كتاب الدهر حافلةٌ ثوبُ الجلال عليه الربُّ يخلعهُ

تدرّعت بسياج الدين حُرمتهُ واللَّه من عبث الباغين يمنعهُ

أوْلاهُ بالحجّ تشريفاً وتكرُمَةً حتّى غدت موئل التقديس أربعُهُ

وكعبةُ الروح بالتوحيد شاهِدَةٌ كالشمس تسطعُ نوراً وهى مَنْبعهُ

ولمّا رأت أبصارهم بيته الذى قلوب الورى شوقاً إليه تضرّمُ

كأنّهم لم ينصبوا قطّ قبْلَهُ لأنَّ شقاهُمْ قد ترحَلَّ عنهُمُ

فلِلَّهِ كم من عبرةٍ مُهراقةٍ واخرى على آثارها لا تقدَّمُ

وقد شرِقت عين المحبّ بدمعها فينظر من بين الدموع ويُسجمُ

إذا عايَنَتْهُ العين زال ظَلَامُها وزال عن القلب الكئيب التألّمُ

ولا يعرفُ الطرفُ المُعاين حُسنهُ إلى أن يعود الطرفُ والشوق أعظمُ

ولا عجبٌ من ذا فحينَ أضافه إلى نفسه الرحمن فهو المعظَّمُ

كساه من الإجلال أعظم حُلّةٍ عليها طِرازٌ بالملَاحَةِ معْلَمُ

فَمِنْ أجل ذا كلُّ القلوب تحِبّهُ وتخضع إجلالًا له وتُعظّمُ

***

فى عيونى من بيت مكّة نورٌ وبقلبى ومهجتى وشعورى

ص: ۱۹۹

مِلءُ روحی، وحقِّ نافخ روحی لهفةٌ نحو بیته المعمورِ

إنّه فی بصیرتی یتراءی رغم غَمضی وحُلْکَةِ الدَّیجورِ

وکأنّ الآیات من کِسوة الکع – بةِ، تزهو علی السواد الوقورِ

نُقِشَتْ فوق غُرّةِ الدهرِ هَدْیاً أبدیّاً، بجوهرٍ من نُورِ

بسمةُ المؤمن النقیّ یُناجی فی الدّجی ربّه بقلبٍ طهورِ

مشرقٌ کالسنا، کومضة نارٍ أوقدتْ للسراة فی رأس طور

***

وکأنّی والبیت یُشرقُ حولی شامخ المجد فی سنا الأسحارِ

ذاب جُرمی فی ماء زمزمَ حتّی خِلْتُنی طِرتُ من خِلال إزاری

جاوز الروح بی معالِمَ أرضی فالسموات والعوالم داری

والمفاهیمُ، فی مسارِح روحی والمِساحاتُ، غیرُ ذات قرارِ

فقیامی فی الحِجْر، لاحَ سُجوداً وسجودی، سبْحٌ مع الأقمارِ

ص: ۲۰۰

وانطلاقى أسعى، هدوءٌ مريحٌ ووقوفى، سياحةٌ فى البرارى

وضجيجُ الحجيج حولى سكونٌ وبسمعى جأرة الأحجارِ

وتلّفت الأقصى وبين جُفونهِ دمعٌ وبين ضلوعه نيرانُ

يتناجيان وكُلّ نجوى حُرْقة ولَظَىً يزيد أواره الحدثان

لا تلتقى العينان إلّاوالدِّما لهبٌ وكُلُّ بطاحِهِ بُركانُ

يا لوعةَ الأقصى! ودوّتْصرخَةٌ يطويصداها ذِلّةٌ وهوانُ

أين التُّقاة! وما تقوم بآية إلّا وكانصدى القيام سِنانُ

مناجاة فى الحجّ

قد فاض قلبك أشواقاً وتحنانا لبيته الطاهر المعمور إيمانا

نوازع الشوق فى الأضلاع ثائرةٌ حرّى تؤجّج فى الأعماق نيرانا

هَاهمْ ضيوفك فى شوقٍ وفى لهفٍ جاءوا إليك زَرافاتٍ ووحدانا

مهلّلين ولحن الحبّ يجمعهم والقلبُ يُرسِل فى الأعماق ألحانا

ص: ۲۰۱

وكلّهم أملٌ يرجون مغفرةً وهم يناجون بالإخلاص رَحمانا

إنّى لأعجز عن تصوير مشهدهم حيث الصفاء وحيث الكونُ مزدانا

طافوا على حُرقٍ والنفس فى قَلَقٍ حتّى غدا القلب بالإيمان ريّانا

اللَّه أكبر ما أحلى اجتماعهمُ قد أصبحوا فى ظلال البيت إخوانا!

كأنّهم ولباس الطهر زينتُهم ملائِكٌ مُلِئوا حبّاً وإيمانا

جئناك ياربّ والأشواق تغمرنا هاجت بنا الروح أفراحاً وتحنانا

وهذه (الكعبةُ الشمّاءُ) قِبلتُنا مهوى القلوب وفيها السَعْدُ وافانا

تَسْلُو همومك فى أعتاب حضرته والقلبُ من ظمأٍ قد بات لهفانا

فأنت عند كريم فى ضيافته تخلى نفسك فى الفردوس نشوانا

لا يفترون عن التكبير عاليةً أصواتهم كهدير الموج مِرْنانا

يامَنْ يُجيب دُعا المضطرّ يرحمهُ فهب لنا من لدنْكَ اليوم غفرانا

ص: ٢٠٢

أحسِنْ إلينا تجاوز عن مساوئِنا يا مَنْ يُجازى على العصيان إحسانا

فرّجْ كروباً دَهَتْنا- وهى مظلمةٌ واغفر ذنوباً وصفحاً عن خطايانا

ولا تُحمّلُ نفوساً فوق طاقِتها نشكو إليك فهل واسيت شكوانا؟

كلُّ ابن آدم خطّاءٌ وخيْرهُمُ مَنْ بات معترفاً بالذنب أشوانا

وهاهى الفرحةُ الكبرى تموجُ بنا فكلُّ قلبِ غدا بالصفو جَذْلانا

ربّاه وارحم (عُبَيْداً) ذابَ من وجَلٍ وراح يسكبُ فى الأنفاس أشجانا

وقد تجلّى عليهم بالرِضى كَرَماً ما أكرم اللّه ما أسماه مولانا!

تبارك اسمك بالإحسان تنفحُنا تبارك اسمك بالغفران تغشانا

إنّا عبيدُك حاشا أن تُخَيّبَنا وأنْ نرى منكَ إعراضاً وحرمانا

فاشمل بعفوكَ يا مولاى جمعهمُ واجعل (ضيوفك) أوفى الخلق ميزانا

صلّى الإله على طه وعترته الكون أصبح بالمختار مُزدانا

شخصيات من الحرمين الشريفين (١٢) خبّاب بن الأَرَتّ من الذين صبروا وعلى ربّهم يتوكّلون

ص: ٢٠٣

شخصيات من الحرمين الشريفين (١٢) خبّاب بن الأَرَتّ من الذينصبروا وعلى ربّهم يتوكّلون

حسن محمّد

الحديث عن مدرسة رسول اللَّهصلى الله عليه و آله الأولى لا ينتهى ولا يقف عند حدٍّ، فما إن نختم الكلام عن تلميذ من تلامذتها وشخصية من شخصياتها وعظيم من عظمائها وشهيد من شهدائها.. حتّى يجرّنا الحديث أو يبدأ عن آخر هو فى العظمة لا- يقلّ عنصاحبه، وفى التضحية والإيثار لا يكون أدنى منه.. وفيصدق الإيمان وعمقه لا أظنّه إلّامساوياً له أو قد سما عنه، فهم يتبارون بإيمانهم ويتسابقون لنيل أرقى مراتبه ودرجاته فى الدنيا وفى الآخرة.

إنّها مدرسة عظيمة ذات آفاق واسعة وجذور عميقة ثابتة، فهى شجرة أصلها ثابت وفرعها فى السماء، تؤتى أكلها كلّ حين؛ لأنّصانعها ومؤسّسها عظيم، راحت يداه المباركتان تمدّانها بقوّة، وراح قلبه الحانى يخصّها بحنانه وشفقته، وراح علمه يُصبّ عليها، ولا ينضب له نبعٌ ولا يضوى له طلع، إنّه ماء موصول وطلع نضيد..

وها نحن الآن أمام شخصية من شخصيات هذه المدرسة النبويّة المحمّدية الأصيلة، أمامصحابى جليل انتشله الإسلام من واقع مرير، قنٍّ ضعيف وعبد

ص: ٢٠۴

ذليل فإذا هو فارس مُهاب، ومقاتل شجاع، يحسب له أعداؤه ألف حساب...

فكـان عظيمـاً من عظمـاء الإسـلام.. من فرسـان الجهاد فى سبيله تعالى، يـدعو إلى الحقّ لا لغيره، ويـدعو إلى العـدل لا لسواه، ويـدعو للإسـلام الحنيف لا لدين غيره وكيف يدعو لغيره، وهو يعلم أنّه وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ (١)

؟! إنّه قمّـة فى المبادئ والقيم وفى الصـدق والإخلاص حتّى نال حظوة كبيرة عنـد رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله وعند المسـلمين ومن قبلهم عند اللَّه تعالى.

ونِعمَ ما قال عنه إمامُ الموحِّدين علىّ عليه السـلام: «رحم اللَّه خبّاباً! أسـلم راغباً، وجاهـد طائعاً، وعاش زاهداً، وابتلى فى جسـمه فصبر، ولن يُضيع اللَّه أجر من أحسن عملًا» (٢).

لقد كان سـلاحه اليقين والتقوى، قلبٌ مملوء بهما، وكفٌّصـلبة تمسك سـيفاً أبيصاحبه أن يضعه ما دام الإسلام بحاجة إليه، لم يفتأ هذا السـيف يطارد الكفر والشـرك والطغيان، فقد شـهد مشاهد رسول اللَّهصلى الله عليه و آله كلّها، تراه فى بدر يعلو هامات الأعداء وتراه فى أحُد هو الآخر يمزّق جموعهم، وتراه فى معارك الإسلام الاخرى فارساً جوّالًا بين الصفوف لا يهاب عدوّاً ولا يخاف باطلًا...

كان هـذا الصـحابى الجليل من أولئك الأوائل الـذين حظوا بأن يكونوا قاعـدة الانطلاق الاولى للإسـلام والنخبـة الصالحـة له بعـد أن آمنت به دعوةً وجاهدت فى سبيلهصادقةً، يوم لم تكن هناك مطامع دنيوية يبغونها، ويوم لم تكن هناك منافع شخصـية يحوزونها، بل عـذاب مستمرّ وصبر دائم وجهاد متواصل ضـد المشـركين، الذين راحوا يكيدون لهم الكيد كلّه ويذوقونهم أنواع العذاب، لقد آمنت هذه الطليعة إيماناً خالصاً وأحبّت رسول اللَّهصلى الله عليه و آله حبّاًصادقاً، وسعت فى الدفاع عنه يوم

١- ١ سورة النحل: ۴٢.

٢- ٢ انظر العقد الفريد لابن عبد ربه ٣: ٢٠١.

ص: ٢٠٥

كان وحيداً لا يقف معه إلّاالنخبةصالحة من عشيرته وعدد قليل من أصحابه، لا يشوبهم شك فيه ولا ينتابهم ريب فى دعوته وصدقه– لقد ادرعت هذه العصابة بالايمان والإيمان وحده لتقاوم ماصبّ عليها من بلاء وما نالته من أذى وعذاب، خاصّة هؤلاء الذين هم ضعاف المجتمع الحجازى يومذاك، العبيد، طبقة سخّرت لمصالح اقتصادية وتجارية وخدمية، قام على أكتافها المجتمع المكّى، خَدَمته بأقلّ الأثمان، رغيف خبز لا غير، ووضع ذليل وسخرية تنصبّ عليهم من أسيادهم، وسياط تنهال على ضلوعهم وظهورهم...

لقد كان خبّاب واحداً من أولئك الذين وصفهم المشركون الطغاة بأنّهم «الأرذلون» وراحت هذه التسمية يطلقونها عليهم ويعيّرونهم بها حتّى بعد أن أعلن هؤلاء الزعماء المشركون إسلامهم، بقيت فى نفوسهم وعلى ألسنتهم، بغض قديم وسخرية متأصّلة لم يتخلّوا عنها حتّى بعد إعلانهم الشهادتين.

لفظة ليست جديدة إنّها قديمة قدم دعوة التوحيد وقد رافقت أكثر مَن آمن بدعوة نوح وهود وصالح وإبراهيم... أ نُؤْمِنُ لَکَ وَ اتَّبَعَکَ الْأَرْذَلُونَ (١)

، وَ ما نَراکَ اتَّبَعَکَ إِلَّا الَّذِینَ هُمْ أَراذِلُنا بادِیَ الرَّأْیِ (٢)

. إنّه استعلاء بل طغيان اتصف به هؤلاء الذين أرادوا علواً فى الأرض وأرادوا فيها فساداً، يسمّون أنفسهم أشراف القوم أو ساداتهم وزعماءهم..

إنّها الجاهلية العمياء التى لا ترى لأصحاب الدعوات الصالحة أى فضل وأى كرامة ما دام الذين سبقوا إليها هم من ضعاف الناس وأقلّهم مالًا وسلطاناً.

كيف يؤمن طغاة قريش برسالة محمّدصلى الله عليه و آله وقد سبقهم إليها عمّار وأبوه ياسر وامّه سمية، وخباب،...؟!

١- ١ الشعراء: ١١١.

٢- ٢ هود: ٢٧.

ص: ٢٠٦

لقـد أدرك خبّاب الفرق بين الحريـة والعبوديـة فنأى عن الثانيـة مصوّباً وجهه نحو الاولى وكان يعلم الثمن الباهظ الـذى سيدفعه فداءً لعمله هـذا، يعلم أنّ الثمن قد يكون حياته، لكنّه رأى أنّ الموت بعزٍّ خيرٌ من الحياة بذلّ، الموت مؤمناً أفضل من الموت كافراً، الموت قويّاً أجمل من أن يموت ضعيفاً.

لقد أدرك خبّاب البون الشاسع بين الحقّ والباطل... بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْباطِلُ (١)

فنبذ الباطل وأعرض عنه والتحق بصفوف الحقّ متجاوزاً ما سيتركه فعله هذا عليه من عذاب واضطهاد وتشريد.

لقـد أدرك خبّاب طعم العلم وذلّ الجهل، فأدار بوجهه بعيـداً عن جاهليـة عمياء نحو نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ* يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ... (٢)

؛ لهـذا فقـد خلـد خبّاب واخوانه، وخلـد ظالموهم أيضاً، إلّاأنّ الفرق كبير والبون شاسع بين الفريقين، وبين الخلودين، فأولئك دخلوا التاريـخ مؤمنين مجاهـدين غير ظـالمين وقـد خلـدوا فيه وهم يحملون هـذه الصـفات العظيمـة فيمـا دخل هؤلاء التاريـخ طغاة متجبّرين ظالمين، وقد خلدوا فيه أيضاً، وهم يحملون أبشع الصفات وأقذرها. فشتّان شتّان بين الخلودين!

*** خبّاب، الأرت. لغةً

ما إن يقرأ شـخص أو يسـمع باسم هذا الصـحابى الجليل حتّى يلتفت إلى غرابة اسمه دون أسماء الصحابة الآخرين، فيعود إلى معاجم اللغـة، ليرى ماذا تقول فى خبّاب وفى الأرتّ، فيجد أنّ الخبب: هو نوع أو ضـرب من العدو، أو الرمل، أو هو السـرعة، وقد خبّت الدابّة تخبّ بالضمّ خبّاً وخَبباً وخَبيباً.

١- ١ سورة الحجّ: ٦٢.

٢- ٢ سورة المائدة: ١٥- ١٦.

ص: ۲۰۷

وهناک قول آخر: إنّ الخبب هو أن ینقل الفرس أیامَنه جمیعاً، وأیاسره جمیعاً أیضاً، وقیل: هو أن یراوح کلّ من الفرس والبعیر بین یدیه ورجلیه.

ومن العجب أنّ هذه کلّها منصفات الفارس والفروسیة.

إلّا أنّی عثرت علی معنی آخر للخبب وهو الخداع، فرجل خبٌّ أی خدّاع، خبّب فلان غلامی أی خدعه، والقول المأثور: الحرب خدعة. هذا فی خصوص خبّاب.

أمّا ما یتعلّق بالأرتّ فتاؤه مشدّدة، وهو الذی فی لسانه عجلة أو عقدة أو قلة أناةٍ... فلا یطاوعه لسانه عند إرادة الکلام، فإذا شرع یتکلّم اتّصل کلامه، وهناک من یقول: إنّ أبا خبّاب کان کذلک یرتل فی کلامه، أو فی لسانه رتّة أی عجمة (۱).

فیما نسب کلّ من الواقدی والبلاذری هذه الرتّة فی اللسان إلی خبّاب نفسه، حیث قال الواقدی: کان ألکن، إذا تکلّم بالعربیة، فسمّی الأرتّ، وقال البلاذری:... وإنّه کانت به رتّة، وهما یتحدّثان عن ترجمة خباب (۲).

نسبه وکنیته:

بعد أن عرّفته کتب التاریخ ومراجعه بأنّه خبّاب بن الأرتّ بن جندلة بن سعد ابن خزیمة بن کعب بن سعد بن زید بن مناة بن تمیم، وکنیته أبو عبداللّه أو أبو یحیی أو أبو محمّد، إلّاأنّها اختلفت فی نسبه (۳).

فهو بین خزاعی، وتمیمی، وزهریّ، وسباعیّ، والذی یبدو لی من مراجعة

۱- ۱ انظر فی هذا لسان العرب لابن منظور ۱: ۳۴۱، ۲ ۳۴، أعیان الشیعة لمحسن الأمین ۶: ۳۰۴، وتنقیح المقال للمامقانی ۱: ۳۹۵.

۲- ۲ انظر قاموس الرجال للعلّامة التستری ۴: ۱۵۵.

۳- ۳ أنظر أسد الغابة فی معرفة الصحابة لابن الأثیر ۲: ۹۸؛ الإصابة فی تمییز الصحابة لابن حجر العسقلانی ۱: ۴۲۳؛ وأعیان الشیعة لمحسن الأمین ۷: ۷۵.

ص: ۲۰۸

حياته أنّ السبب فى هذا الاختلاف، هو الموضع الاجتماعى الذى عاشه والسباء الذى آلت إليه حياته، ممّا سبّب له هذا الانتماء المختلف فيه.

فلنستعرض أقوال المؤرّخين، فبعضهم قالوا: إنّه تميمى بالنسب، خزاعى بالولاء، زهرى بالحلف، كان سبياً اشترته امرأة من خزاعة وأعتقته فهو خزاعى لحقه هذا بالولاء، وبما أنّها كانت من حلفاء عوف بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة فهو زهرى حلفاً، وأمّا نسبه الحقيقى فهو ابن مناة بن تميم جدّه السابع وبالتالى فهو تميميّ.

وهناك من يقول: إنّ سيّدته التى اشترته هى أُمّ أنمار بنت سباع الخزاعية، وأبوها سباع حليف عوف بن عبد عوف من بنى زهرة (۱). فسبّب هذا له أن يكون خزاعياً، وسباعياً من الأسباع، وزهرياً.

وقيل: بل هى أُمّ سباع بن عبد العزى الذى قتله حمزة يوم أحُد، وهى التى عنا حمزة بن عبد المطّلب، حين قال لسباع بن عبد العزى: هلمّ يا ابن مقطعة البظور (۲)، وهو ما حدا ببعض المؤرّخين إلى الذهاب بأنّ امّ خبّاب كانت ختانةً فى مكّة. وإن ذهب بعض المؤرّخين إلى أنّ امّ أنمار وامّ سباع كانت واحدة (۳).

وقال غيرهم: هو عربى لحقه سباء فى الجاهلية (۴). وقال بعض: لم يلحقه سباء ولكنّه انتهى إلى حلفاء امّه بنى زهرة (۵).

وأنا إذ أبحث عن حياة هذا الصحابى عثرت على شخص آخر وهو أيضاًصحابى يحمل اسم خبّاب واسم أبيه، إلّاأنّه كان يكنّى أبا يحيى وكان عبداً لعتبة

۱- ۱ الإصابة ۱: ۴۲۳ وصفة الصفوة لابن الجوزى ۱: ۴۲۷.

۲- ۲ البداية والنهاية لابن كثير ۷: ۳۲۲.

۳- ۳ المنتظم لابن الجوزى ۵: ۱۳۸.

۴- ۴ أسد الغابة ۲: ۹۸.

۵- ۵ الإصابة ۱: ۴۲۳.

ص: ٢٠٩

ابن غزوان المازنی، وشهد معارك الإسلام ومنها معركة بدر الكبری، وتوفی فی المدينة أيّام خلافة عمر بن الخطّاب، سنة ١٧ أو ١٩ هجرية وله خمسون سنة، وصلّی عليه الخليفة (١).

وأنّه هو الذی كان طبّاعاً للسيوف بمكّة، لا هذا الذی هو موضع كلامنا، كما أنّ الثانی لم يكن قيناً فيما كان الأوّل قيناً (٢)، إلّاأنّ ما اشتهر بين المؤرخين أنّ خبّاباً كان يقول: كنت رجلًا قيناً... وكان فی الجاهلية قيناً حدّاداً يعمل السيوف (٣).

وهو أقلّ شهرة من الذی هو محلّ كلامنا هذا. وإن ذهب بعض المؤرّخين إلی أنّه هو واحد وليس شخصين اثنين.

خباب يصنع السيوف:

قدر لهذا الصبیّ أن يقع بين يدیّ أمّ أنمار الخزاعية، التی كانت تفتش لها عن غلام فی سوق النخاسين فی مكّة، وهو مكان يكتظّ بالعبيد، فوقع نظرها علی هذا الغلام، فأعطت ثمنه وانطلقت به إلی منزلها، وإذ هی فی طريقها راحت تحدثه وتسأله عن اسمه فقال لها: خباب.

وما اسم أبيك، فقال لها: الأرَتُّ.

فقالت له: ومن أين أنت؟

قال: من نجد.

فقالت: إذن أنت عربی!

قال: نعم ومن بنی تميم.

قالت: وما الذی أوصلك إلی أيدی النخاسين فی مكّة؟

قال: أغارت علی حيّنا قبيلة من قبائل العرب، فاستاقت الأنعام، وسبت

١- ١ انظر أسد الغابة ٢: ١٠١.

٢- ٢ تصحيفات المحدثين لأبی هلال العسكری: ١١١.

٣- ٣ أسد الغابة ٢: ٩٨؛ الطبقات الكبری ٣: ١٦٤، دلائل النبوّة للبيهقی ٢: ٥٥.

ص: ٢١٠

النساء، وأخذت الذرارى. وكنت فيمن أخذ من الغلمان، ثمّ مازالت تتداولنى الأيدى حتّى جىء بى إلى مكّة، وصرت فى يدك (١).
وما إن وصلت أم أنمار إلى منزلها حتّى دفعته إلى مَن يعلمهصناعة السيوف، فأتقنها، ثمّ استأجرت له دكاناً واشترت له عدّة، وراحت تستثمر قدرته وتستفيد من مهارته، وتستغله أيما استغلال. لكنّه اشتهر بهذه الصناعة وبدقّة عمله.

إسلامه:

لقد وجدت قلوب المستضعفين أمانها وطمأنينتها بالدعوة الجديدة، فقد عانت من الهوان والذلّ ما جعلها تصبوا لمنقذ لها كانت تعيشه حُلماً جميلًا فإذا به واقع أمام أعينهم، فراحوا يبادرون إلى التصديق به والتضحية فى سبيله.

وخبّاب هذا واحد من أولئك العبيد الذين كانوا فئة كبيرة فى المجتمع المكّى يسخّرهم سادة ذلك المجتمع فى نواحٍ متعدّدة تجارية وزراعية وخدمية بأثمان رخيصة لا تتجاوز رغيف الخبز وافتراش الأرض، معاملة سيئة للغاية، وظلم نزل بهم، وحيف لا يفارقهم، وتعذيب لا يتوقّف؛ لهذا ما إن رأوا نور الإسلام يبزغ فى مكّة إلّاوتراهم يؤمنون به ويتفانون فى الدفاع عنه.

لقد كان سادس الذين آمنوا فى مكّة وهو سبق عظيم ناله ومنزلة رفيعة ظلّت ترافقه فى حياته، وذكرى حسنة ظلّت هى الاخرى وساماً خالداً.

تقول الرواية:

إنّ خبّاب بن الأرت أسلم سادس ستّة له سدس الإسلام (٢).

والاخرى تقول:

أوّل من أظهر الإسلام سبعة، وعدّت منهم خبّاباً (٣).

١- ١صور من حياة الصحابة، للدكتور عبدالرحمن رأفت باشا: ۴٣١- ۴٣٢.

٢- ٢ أسد الغابة ٢: ٩٨؛ حلية الأولياء للأصفهانى ١: ١۴٣.

٣- ٣ أسد الغابة ٢: ٩٨؛ الوسائل إلى معرفة الأوائل لعبد الرحمن السيوطى: ٩۶.

ص: ۲۱۱

وثالثة تقول:

کان إسلامه قبل أن یدخل رسول اللَّهصلی الله علیه و آله دار الأرقم وقبل أن یدعو بها (۱).

فعن الإمام علی علیه السلام: السبّاق خمسة، فأنا سابق العرب، وسلمان سابق فارس، وصهیب سابق الروم، وبلال سابق الحبش، وخبّاب سابق النبط (۲).

وذکر الیعقوبی فی تاریخه:

کان أوّل من أسلم خدیجة بنت خویلد من النساء، وعلی بن أبی طالب من الرجال، ثمّ زید بن حارثة، ثمّ أبو ذرّ، وقیل: أبو بکر قبل أبی ذرّ، ثمّ عمرو بن عبسة، ثمّ خالد بن سعید بن العاص، ثمّ سعد بن أبی وقّاص، ثمّ عتبة بن غزوان، ثمّ خبّاب بن الأرت، ثمّ مصعب بن عمیر (۳).

وبإسلامه وإسلام رفاقه، بدأت حیاتهم من جدید، حیث عبق الحریة والمساواة، وهم یسمعون: لا فضل لعربی علی أعجمی ولا لأبیض علی أسود إلّا بالتقوی. وقد آخی رسول اللَّهصلی الله علیه و آله بعد الهجرة بین خباب وجبر بن عتیک، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد کلّها مع رسول اللَّهصلی الله علیه و آله، فیما وقع الخلاف بین علماء الرجال والمؤرخین فی أنّه هل أدرک معرکتیصفین والنهروان؟ فمنهم من قال:

أدرکهما مع الإمام علیّ علیه السلام، ومنهم من قال: حال بینه وبینهما المرض والموت، فیما أدرک ابنه عبد اللَّه بن خباب النهروان فذبحه الخوارج وبقروا بطن امرأته (۴).

إنّه لمن المعذَّبین!

ما إن علموا بإسلامه حتّی تحولقوا حوله، ولم ینفضّوا منه إلّاوقد أخذت سیاطهم من جسمه مأخذها، لکنّها لم تنل شیئاً من إیمانه ولم تنخر عزیمته، ولم

۱- ۱ الطبقات الکبری ۳: ۱۶۵.

۲- ۲ الخصال للشیخ الصدوق ۱: ۳۱۲.

۳- ۳ تاریخ الیعقوبی ۲: ۲۳.

۴- ۴ انظر المامقانی فی التنقیح ۱: ۳۹۵؛ والتستری فی قاموسه ۴: ۱۵۸.

ص: ۲۱۲

تضعف بناءه، إنّه إيمان عظيم وعزيمة لا تهين وبناء كالجبل لا يُهدّ...

كان خبّاب ممّن يعذّب فی اللَّه سبحانه بمكّة فی الرمضاء حتّی برص ظهره (۱).

وعن عروة بن الزبير أنّه قال: كان خبّاب بن الأرت، من الذين يعذّبون بمكّة ليرجع عن دينه (۲).

ويقول الشعبی عنه:

لقدصبر «خبّاب» ولم تِلن له بين يدی الكفّار قناة أو أعطوهم [بعض المعذَّبين من المسلمين] ما أرادوا حين عذّبوا إلّاخباب بن الأرت، أو إنّ خباباًصبر ولم يعطِ الكفّار ما سألوا، فجعلوا يلصقون ظهره العاری بالرَّضَف (۳)، حتّی ذهب لحمه أو لحم متنه (۴).

لقد حوّل كفّار قريش جميع الحديد الذی كان بمنزل «خبّاب» والذی كان يصنع منه السيوف.. حوّلوه كلّه إلی قيود وسلاسل، كان يُحمی عليها فی النار حتّی تستعر وتتوهّج، ثمّ يطوّق بها جسده ويداه وقدماه... (۵).

لقد ذهب خبّاب بن الأرت وبعض رفاقه المعذَّبين إلی رسول اللَّهصلی الله عليه و آله، لا أظنّهم جزعين من التضحية بل كانوا راجين العافية.

يقول خبّاب: شكونا إلی رسول اللَّهصلی الله عليه و آله، وهو متوسّد بُردةً له فی ظلّ الكعبة، قلنا له: ألا تدعو اللَّه لنا؟

قال: كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له فی الأرض، ويمشّط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظمٍ أو عصبٍ، وما يصدّه ذلك عن دينه، واللَّه ليُتمّنّ هذا الأمر حتّی

۱- ۱ انظر تصحيفات المحدّثين: ۱۱۱.

۲- ۲ الطبقات الكبری ۳: ۱۶۵.

۳- ۳ الرضف: الحجارة المحمّاة.

۴- ۴ ذكر هذا خالد محمد خالد فی رجال حول الرسول: ۲۹۳.

۵- ۵ خالد محمد خالد، رجال حول الرسول: ۲۹۳.

ص: ۲۱۳

یسیر الراکب منصنعاء إلی حضرموت، لا یخاف إلّااللَّه، أو الذئب علی غنمه، ولکنّکم تستعجلون (۱).

راحت کلمات رسول اللَّهصلی الله علیه و آله تترک بصماتها علیهم، فعادوا منه وقد ازدادوا إصراراً علی مواقفهم وعاهدوا ربّهم أن یجعلوا أنفسهم نماذج للعطاء والتضحیة والاستبسال فی سبیله، حتّی یجعلوا کلمة اللَّه هی العلیا وکلمة الکافرین هی السفلی.

لم یبقَ أحدٌ من المشرکین وزعمائهم بل وحتی سیّدته امّ أنمار التی کان عبداً لها راحت هی الأُخری تشفی غلیلها منه، تمسک حدیدة محمّاة ملتهبة لتضعها مرّة فوق رأسه وأُخری فوق جسده، وکان خبّاب بین هذه وتلکصامتاًصابراً لا ینطق بشیء ولا یظهر لهم حتّی الأنین، فیشفیصدورهم، ویُرضی کبریاءَهم وجبروتهم، فراح غیضهم یزداد، وحنقهم یعظم... وکان یعینها علی ذلک أخوها سباع بن عبد العُزی... وقد أقرّ اللَّه تعالی عینی خباب برؤیة سباع هذا وقد نال جزاء شرکه وظلمه حیثصرعه سیّد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب فی معرکة أحد.

وهو بهذه الحال یعذّب بین أیدیهم إذ به یسمعصوت حبیبه رسول اللَّهصلی الله علیه و آله وهو ینطلق من قلبٍ مملوء شفقة وألماً ومرارةً علیه: «اللّهمَّ انصر خبّاباً».

ما أعجل الجزاء الذی نزل بسیّدته العنید اُمّ أنمار! راحت تعوی کالکلاب بعد أن اصیبت بسعار عصیب، حتّی وصفوا لها علاجاً لا ینفعها إلّاأن تضع رأسها بالنار کی یکوی، وقد قدر لخباب أن یتولی هذا العمل فکان یأخذ الحدیدة المحماة فیکوی بها رأسها. (۲)

فکان عقابها من جنس ما اقترفته یداها، إنّه العقاب العدل!.

۱- ۱صحیح البخاری ۳: ۱۳۲۲ ح ۳۴۱۶.

۲- ۲ أسد الغابة ۲: ۹۸.

ص: ۲۱۴

آيات ترعاهم:

وراحت قيم الإسلام وكلمات الرسول الكريم تدقّ إسفيناً بينهم وبين كبار قريش ومترفيهم وطغاتهم..

إنّه الإسلام، إنّه النور الذى يشقّ الظلام ويبعث الحياة من جديد.

كما راح القرآن يواكبهم ويرافقهم ويحيطهم بالرعاية، ضدّ قريش التى ما انفك طغيان زعمائها وكبرائها من ملاحقة هؤلاء المستضعفين، والسخرية منهم والتعالى عليهم... حتّى بعد إعلانهم الشهادتين والتحاقهم بالصفّ الإسلامى ظاهراً وهو ما يبدو من المتابعة الدقيقة لحياة الكثير منهم، فقد كانوا أقرب للنفاق منه إلى الإسلام...

فيما راحت آيات القرآن الكريم تدحض كيدهم وتطيح بتآمرهم ودسائسهم، التى ما انفكوا يحيكونها ضدّ هذه الفئة المظلومة المستضعفة من الصحابة المؤمنين، كما راحت تشيد بهؤلاء الثلّة المؤمنة وبصدق إيمانهم، وتحضّ على الوقوف معهم وعدم تركهم وحدهم وسخرية واستهزاء زعماء قريش تلاحقهم، والتصدّى لكلّ تآمر ضدّهم، وعدم الاستجابة لمطالب هؤلاء الطغاة والمستكبرين، بل أخذت هذه الآيات تغدق على هؤلاء المعذّبين أوسمةً عظيمةً ظلّت تشكّل ذكرى طيّبة خالدة لهم فى الدُّنيا والآخرة:

وَ الَّذِينَ هاجَرُوا فِی اللَّهِ مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِی الدُّنْيا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ (۱).

نزلت بعد أن مكثت قريش على ضلالها وعنادها وكبريائها وهى ترى ضعاف مجتمعها يؤمنون برسالة محمّدصلى الله عليه و آله ليكونوا شوكةً تنخر مجتمعها الفاسد وكيانها الضالّ، وجنوداً لثورة عارمة ضد طغيانها وجبروتها.. كانت تدرك كلّ

۱- ۱ سورة النحل: ۴۱.

ص: ٢١٥

هـذا.. لهـذا راحت تصبّ عليهم غضـبها وتنزل بهم العذاب فلعلّها تحدّ من انتشار هذا الدين بينصـفوفهم إن لم تسـتطع إيقافه وإماتته.. وإعادتهم إلى ما تعبد إلى دين آبائها وأجدادها أذلّةً خاسئين.

نزلت هذه الآيهٔ- على ما قاله الشيخ الطبرسي- في المعذَّبين بمكّهٔ مثل:

صهيب وعمّـار وبلال وخبّاب وغيرهم مكّنهم اللَّه بالمدينـهٔ، وذكر أنّصـهيباً قال لأهل مكّـهٔ: أنا رجل كبير إن كنتُ معكم لم ينفعكم، وإن كنتُ عليكم لم يضرّكم، فخذوا مالي ودعوني، فأعطاهم ماله، وهاجر إلى رسول اللّهصلى الله عليه و آله. فقال له أبو بكر: ربح البيع ياصهيب.

ويروى أنّ عمر بن الخطّاب كان إذا أعطى أحداً من المهاجرين عطاءً، قال له: خذ هذا ما وعدك اللَّه في الدُّنيا، وما أخّره لك أفضل، ثمّ تلا هذه الآيهٔ (١).

فيما قال الواحدي في أسبابه: نزلت في أصحاب النبيّصلى الله عليه و آله بمكّهٔ: بلال، وصهيب، وخبّاب، وأبي جندل بن سهيل، أخذهم المشركون بمكّهٔ فعذّبوهم وآذوهم، فبوّأهم اللَّه تعالى المدينهٔ بعد ذلك (٢).

حقّاً أنّ اللَّه تعـالى بـوّأهم مكانـاً محموداً في الـدُّنيا ومنحهم أجراً عظيمـاً في الآـخرهٔ، راحت تتغنّى بأمجـادهم هـذه الأجيـال ويقتـدي بسيرتهم الثوّار والمجاهدون، وراحوا يقفون عند مفاصل حياتهم الجهاديهٔ وهم يعذّبون وهم يخوضون غمار معارك الإسـلام الأولى، كلّ هدفهم الشـهادهٔ فيكتمل بذلك موقفهم الإيماني، وتنزل بذلك النعم عليهم فهم بها غير زاهدين وليسوا بقليلها مقتنعين، إنّما كانوا يطلبون المزيد من كرامهٔ الدُّنيا وثواب الآخرهٔ، وكان ديدنهم الشـكر قولًا وعملًا ومزيداً من التضحيات والتحمّل والصبر، وكانوا مصداقاً لقوله تعالى:

١- ١ تفسير مجمع البيان للطبرسي: ۶/ ۵۵۷، وفي تفسير الآيهٔ من سورهٔ النحل.

٢- ٢ أسباب النزول للواحدي: ٢٨۵.

ص: ٢١۶

لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ (١).

وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ... (٢).

نزلت فى سلمان وأبى ذرّ وصهيب وعمّار وخبّاب وغيرهم من فقراء أصحاب النبيّصلى الله عليه و آله وذلك أنّ المؤلّفة قلوبهم جاؤوا إلى رسول اللّهصلى الله عليه و آله وهم عيينة بن الحصين والأقرع بن حابس وذووهم، فقالوا: يارسول اللّه إن جلست فيصدر المجلس ونحّيت عنّا هؤلاء روائحصنانهم (نتن الابط) وكانت عليهم جباب الصوف، جلسنا نحن إليك وأخذنا عنك، فلا يمنعنا من الدخول عليك إلّاهؤلاء، فلما نزلت الآية قام النبيّصلى الله عليه و آله يلتمسهم فأصابهم فى مؤخّر المسجد يذكرون اللّه عزّوجلّ، فقال: الحمد للّهالذى لم يمتنى حتّى أمرنى أن أصبر نفسى مع رجال من امّتى، معكم المحيا ومعكم الممات (٣).

.. وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ (۴).

بعد أن يئست قريش من أن تصل إلى غايتها بأساليبها القذرة، بدأت باتّباع اسلوب آخر فى تعاملها وملاحقتها للثوّار البررة لا يقلّ قذارةً عن الذى سبق، ألا وهو أن اطرد يا محمّد هؤلاء «عمّار وصهيب وبلال وخبّاب وسلمان وأبو ذرّ وغيرهم من الفقراء الذين آمنوا به حين كذّبه هؤلاء الذين يسمونهم بالأشراف، ونصروه حين خذله الناس الآخرون ومنهم هؤلاء الأثرياء وكبار قريش...»

١- ١ سورة إبراهيم: ٧.

٢- ٢ سورة الكهف: ٢٨.

٣- ٣ انظر مجمع البيان، للطبرسى ۶: ٧١٧- ٧١٨.

۴- ۴ سورة الأنعام: ۵٢.

ص: ۲۱۷

فیکون لنا مجلس معک وکلام؛ لأنّه لا یلیق بنا أن یضـمّنا مجلس واحد مع هؤلاء الفقراء العبید وذوی الثیاب الرثة، فنتساوی معهم، فلو نحیتهم عن مجلسک لتوافـد علیک أهل الثراء والإشـراف، وقد نتبعک، ما أشـبه الیوم بالبارحة، حیث قال زعماء قوم نوح علیه السـلام له: وَ ما نَراکَ اتَّبَعَکَ إِلَّا الَّذِینَ هُمْ أَراذِلُنا بادِیَ الرَّأْیِ (۱)

إنّها الشأنیة القذرة!

فلعلّها بهـذه الطریقـة توقع بین محمّـد وصـحبه وتزرع الشـقاق فی الجماعـة المسـلمة وتنخر بـالجسم الواحـد فیتفتّت، ولخطـورة هـذا الاسـلوب، ولفداحة ما ینتجه وما یترکه علی نفوس هؤلاء المعذّبین وهم یرون معذِّبیهم بین یدی رسول اللَّه معزّزین مفضّـلین وهم عنه بعیدون إنّها ذلّة لا تستطیع نفوسهم تحمّلها! وهل هذا جزاؤهم؟! وهل هذه مکافأتهم؟!

سارعت السماء فأنزلت قرآناً یحسم هذا الکید ویطیح به، وتثمن مواقف المعذّبین وتدین مواقف غیرهـم.

یقول عبداللَّه بن مسعود:

مرّ الملأـ من قریش علی رسول اللَّهصـلی الله علیه و آله وعندهصـهیب وخبّـاب وبلال وعمّار وغیرهـم من ضـعفاء المسـلمین، فقالوا: یا محمّـد أرضـیتَ بهؤلاء من قومک؟ أفنحن نکون تبعاً لهم؟ أهؤلاء الـذین منَّ اللَّه علیهم؟ اطردهم عنک فلعلّک إن طردتهم اتّبعناک، فأنزل اللَّه تعالی: ولا تطرد....

قال سلمان وخبّاب: فینا نزلت هذه الآیة؛ جاء الأقرع بن حابس التمیمی وعیینة بن حصین الفزاری وذووهم من المؤلّفة قلوبهم، فوجدوا النبیّصلی الله علیه و آله قاعداً مع بلال وصهیب وعمّار وخبّاب فی ناس من ضعفاء المؤمنین فحقّروهم، وقالوا:

یارسول اللَّه لو نحیت هؤلاء عنک حتّی نخلو بک، فإنّ وفود العرب تأتیک فنستحی

۱- ۱ هود: ۲۷.

ص: ٢١٨

أن يرونا مع هؤلاء الأعبد، ثمّ إذا انصرفنا، فإن شئت فادعهم إلى مجلسك، فأجابهم النبيّصلى الله عليه و آله إلى ذلك، فقالا له: اكتب لنا بهذا على نفسك كتاباً، فدعا بصحيفة وأحضر عليّاً ليكتب.

قالا: ونحن قعود فى ناحية إذ نزل جبرئيل عليه السلام بقوله تعالى: وَ لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ... إلى قوله: أ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ. فنحّى رسول اللَّهصلى الله عليه و آله الصحيفة، وأقبل علينا ودنونا منه، وهو يقول: كتب ربّكم على نفسه الرحمة. فكنّا نقعد معه (١).

وعن عكرمة قال: جاء آل شيبة وعتبة ابنا ربيعة ونفرٌ معهما سمّاهم أبو طالب، فقالوا: لو أنّ ابن أخيك محمّداً يطرد موالينا وحلفاءَنا، فإنّما هم عبيدنا وعُسفاؤنا (٢) كان أعظم فيصدورنا، وأطوع له عندنا، فأتى أبو طالب النبيّصلى الله عليه و آله فحدّثه بالذى كلّموه، فأنزل اللَّه عزّوجلّ الآية.

قال: وكانوا بلالًا وعمّار بن ياسر مولى أبى حذيفة بن المغيرة، وسالماً مولى أبى حذيفة بن عتبة، وصُبيحاً مولى اسيد، ومن الحلفاء ابن مسعود، والمقداد بن عمرو وخبّاباً مولى امّ أنمار.

وكانت قصّة دَين خبّاب على العاص بن وائل سبباً فى نزول آيات:

فعن خبّاب أنّه قال: كان لى على العاص بن وائل دَينٌ، حين كان قد باعه سيوفاً عملها له، فأتيته أتقاضاه، فقال لى: لن أقضيك حتّى تكفر بمحمّد.

قال: فقلت له: إنّى لن أكفر بمحمّد حتّى تموت، ثمّ تبعث.

قال: وإنّى لمبعوث من بعد الموت؟ فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد.

١- ١ مجمع البيان للطبرسى، فى تفسير الآية.

٢- ٢ العسيف: الأجير المستهان به، انظر لسان العرب: عسف.

ص: ۲۱۹

قال وکیع: کذا قال الأعمش.

قال: فنزلت أ فَرَأَیْتَ الَّذِی کَفَرَ بِآیاتِنا وَ قالَ لَأُوتَیَنَّ مالًا وَ وَلَداً* أَطَّلَعَ الْغَیْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمنِ عَهْداً* کَلَّا سَنَکْتُبُ ما یَقُولُ وَ نَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذابِ مَدًّا* وَ نَرِثُهُ ما یَقُولُ وَ یَأْتِینا فَرْداً (۱).

علمه:

کان خبّاب بن الأرت ممّن یُرجع إلیه فی القرآن قراءةً وحفظاً وفقهاً وفهماً لمعانیه ولمقاصده، وکان استاذاً لجمع من الصحابة الذین کان منهم عبداللَّه بن مسعود، فقد کان من تلامیذه ومریدیه.

ولمّا کانت الدعوة الإسلامیة تعیش مرحلة الکتمان والسرّیة فی مکّة، کان هذا الصحابی الجلیل یختلف سرّاً إلی إخوانه ممّن آمنوا وکتموا إیمانهم خوفاً من بطش مشرکی مکّة وکبریائهم؛ لیحفّظهم ما ینزل من آیات القرآن الکریم ویعلّمهم ما تتضمّنه من معانٍ جمیلة ومقاصد عالیة. وهذه من النعم الکبیرة التی هیّأها الإسلام له بعد إسلامه وإخلاصه وجدّیته فی تلقی علوم الإسلام ومعرفة آیات القرآن الکریم ومفاهیمه.

ممّا رواه وقاله:

ذکرت له عدّة روایات فی کتب الأحادیث، لعلّها تصل إلی ۳۸ حدیثاً، منها:

تلک الروایة التی ذکرناها والتی قال فیها وجماعته لرسول اللّهصلی الله علیه و آله: یا رسول اللَّه ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو اللَّه لنا؟... (۲).

وهذه الروایة تبیّن طغیان وقسوة المستکبرین، وما عاناه هؤلاء المؤمنون بل ما تعانیه الأجیال المؤمنة علی مرّ التاریخ من ظلم الطغاة وتعذیبهم وبشاعتهم...

۱- ۱صحیح مسلم ۴/ ۲۰۶۴ ح ۱۲،صحیح البخاری ۲: ۷۳۶- ۷۳۷ ح ۱۹۸۵.

۲- ۲صحیح البخاری ۳: ۱۳۲۲ ح ۳۴۱۶.

ص: ٢٢٠

قال: هاجرنا مع النبيّصلى الله عليه و آله نريد وجه اللَّه، فوقع أجرنا على اللَّه، فمنّا من مضى لم يأخذ من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير، وعلى قول آخر حمزة عمّ النبيّ، قتل يوم احد، وترك نمرةً (بردة)، فكنّا إذا غطّينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطّينا رجليه بدا رأسه، فأمرنا رسول اللَّهصلى الله عليه و آله أن نغطّى رأسه، ونجعل على رجليه شيئاً من إذخِر، ومنّا من أينعت له ثمرته فهو يَهديها (١).

ومنها الرواية التى نقلناها فيما سبق وكانت سبباً لنزول الآية أ فَرَأَيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِآياتِنا... (٢).

أخبر جماعة من أصحاب خباب: بينما نحن فى المسجد إذ جاء خباب بن الأرتّ فجلس فسكت، فقال له القوم: إنّ أصحابك قد اجتمعوا إليك لتحدّثهم أو لتأمرهم.

قال: بم آمرهم؟ ولعلّى آمرهم بما لستُ فاعلًا.

قال قيس: أتيت خبّاباً وهو يبنى حائطاً له، فقال: إنّ أصحابنا. وفى رواية اخرى أصحاب محمّدصلى الله عليه و آله مضوا لم تنقصهم الدُّنيا شيئاً، إنّا أصبنا من بعدهم شيئاً، وفى رواية: وإنّا أصبنا من الدُّنيا ما لا نجد له موضعاً إلّاالتراب (٣).

موقفٌ خالدٌ:

قضى الشطر الأكبر من حياته رضوان اللَّه عليه فى فقر وفاقة، حاله حال الكثير من إخوانه المؤمنين، إلّاأنّه فى أواخر عمره منَّ اللَّه تعالى عليه فاغتنى حتّى ذكر أنّه ملك ما لم يكن يحلم به من الذهب والفضّة.

ومع هذا كلّه بقى هذا الرجل كما عرف عنه زاهداً لم تغيره الدنيا ولم تضعف إيمانه؛ لهذا راح يتصرّف فيما جعله اللَّه مستخلفاً فيه بوجه لا يخطر على بال أحد.

١- ١ المصدر نفسه ٣: ١٤١٥ ح ٣۶٨۴.

٢- ٢صحيح البخارى ٢: ٧٣۶- ٧٣٧ ح ١٩٨٥.

٣- ٣ المصدر نفسه ۵: ٢٣۶٢- ۶٠۶٩ ح ۶٠۶۶.

ص: ٢٢١

وضع ماله ودراهمه و دنانيره فى مكان من بيته غير مستور، أى لم يخبئه، ولم يشدد عليه رباطاً ولم يحكم عليه قفلًا، وقد أذن لمن هو فى حاجة أن يأخذ منه ما يسدّ حاجته دون أن يسأله أو يستأذن منه؛ لينال بذلك رضا اللَّه تعالى.

ومع موقفه هذا من الذى بين يديه، تراه يخشى من أن يكون غناه وثراؤه هذا أجراً لما قدمه من مواقف وتضحيات فى سبيل اللَّه، استوفاه فى الدنيا. فقد حدّث جمع من أصحابه قائلين:

دخلنا على خباب فى مرض موته، فقال:

إنّ فى هذا المكان ثمانين ألف درهم، وإنّى ما شددت عليه رباطاً قطّ، ولا منعت سائلًا قطّ، ثمّ بكى.

فقالوا له: ما يبكيك؟

فقال: أبكى لأنّ أصحابى مضوا ولم ينالوا من أجورهم فى هذه الدنيا شيئاً، وأننى بقيتُ فنلتُ من هذا المال ما أخاف أن يكون ثواباً لتلك الأعمال، أو لقد خشيت أن يذهب بأجورنا مع رسول اللَّهصلى الله عليه و آله ما أصبنا من الدنيا.

الكوفة:

لأسباب عديدة، قد يكون الوضع السياسى فى خلافة عثمان بن عفان واحداً منها، غادر جمع من الصحابة مدينة رسول اللَّهصلى الله عليه و آله متوجّهين نحو الكوفة، حيث سبق وأن أقطع عثمان جمعاً من المسلمين ومنهم خباب والزبير... قطيعةً من أرض الخراج فى الكوفة، اتخذوها سكناً لهم حينما تركوا المدينة.

تقول الرواية:

... كان الناس يقدمون على عثمان بن عفّان، وكان منهم ابن مسعود وابن ياسر والزبير وغيرهم، فيسألونه أن يعوّضهم مكان ما خلّفوا من أرضهم بالحجاز وتهامة، ويُقطعهم عوضه بالكوفة والبصرة، فأقطع خبّاب بن الأرت

ص: ۲۲۲

استینیا، قریة بالکوفة (۱).

وفی خبر إنّما القطائع کانت علی وجه الفضل من خمس ما أفاء اللَّه.

وفی روایة اخری:

وابتنی- خبّاب بن الأرت- بالکوفة داراً فی جهار سوج خُنیس (۲)..

وفی معجم البلدان: یعرف بجهار سوج الهیثم بن معاویة من القوّاد الخراسانیة، وهی کلمة فارسیة... وهی من محالّ بغداد فی قبلة الحربیة، خرب ما حولها من المحال وبقیت هی والنصیریّة والعتّابیون ودار القزّ متّصلة بعضها ببعض کالمدینة المفردة فی آخر خراب بغداد (۳).

بعض ما قاله فیه علماء الرجال:

کان لخباب عند علماء الرجال منزلة محمودة وأنّه ثقة جلیل، فقلیلًا ما تخلوا کتبهم من ذکر اسمه وترجمة حیاته والإشادة به.

فهذا شیخ الطائفة عدّه من جملة رجاله (۴)، فیما قال عنه بحر العلوم (۵) فی رجاله: خباب بن الأرتّ التمیمی أبو عبد اللَّه أحد السابقین الأولین الذین عذّبوا... فیما قال التستری فی قاموسه:... وممدوحیة خباب مسلمة کما عرفت من مدح أمیرالمؤمنین علیه السلام له (۶).

فیما ذکره العامّة ابن عبد البرّ وابن مندة وأبو نعیم... بأنّهصحابیّ جلیل وأنّه کان من فضلاء المهاجرین الأولین... (۷)

۱- ۱ انظر معجم البلدان، لیاقوت الحموی. وتاریخ الطبری ۲: ۴۳۸.

۲- ۲ انظر تاریخ الکوفة: ۳۹۸.

۳- ۳ انظر معجم البلدان ۲: ۱۹۳.

۴- ۴ رجال الطوسی: ۱۹.

۵- ۵ رجال بحر العلوم.

۶- ۶ القاموس للعلّامة التستری ۴: ۱۵۶.

۷- ۷ المصادر نفسها.

ص: ٢٢٣

وفاته رضوان اللَّه عليه:

كان هـذا الصـحابى الجليل على موعـد مع ظهر (أى ما غلظ وارتفع) الكوفـة، هناك حيث رقـد جسده المعذّب بعدصبرٍ طويل ومثابرة عظيمة وثبات منقطع النظير فى أن يبقى على العهد مؤمناًصادقاً مجاهداً حتّى يلقى اللَّه تعاليصابراً محتسباً. وبوفاته ودفنه فى الكوفة كان أوّلصحابى يدفن فيها.

تقول الروايـة وهى عن ابن خبّـاب: كـان الناس يـدفنون موتاهم بالكوفـة فى جبابينهم، فلمّا ثقل خبّاب قال لى: أى بُنى إذا متُّ فادفنى بهـذا الظهر، فإنّك لو قـد دفنتنى بالظهر قيل: دُفِنَ بالظهر رجل من أصـحاب رسول اللَّهصـلى الله عليه و آله، فدفن الناس موتاهم، فلمّا مات خبّاب رحمه اللَّه، دفن بالظهر فكان أوّل مدفون بظهر الكوفة (١).

وهذا محلّ اتّفاق المؤرِّخين إلّاأنّهم اختلفوا فى سـنة وفاته رضوان اللَّه عليه، فهناك من يقول:صـلّى عليه علىٌّ وجهة منصرفه منصـفّين (٢)، وقول: فى السنة السادسة والثلاثين من الهجرة (٣). وقول آخر: إنّه توفّى فى السنة التاسعة عشرة من الهجرة (۴). وآخر بعد معركة النهروان سنة ٣٩ هجرية. إلّاأنّ الأكثر شـهرة أنّه توفّى فى السـنة السابعة والثلاثين من الهجرة، بعد ما شهدصفين مع علىٍّ رضى اللَّه عنه والنهروان، وصلّى عليه علىّ، وكان عمره إذ مات ثلاثاً وسبعين سنة...

فيما قال ابن الأثير بعد هذا: الصحيح أنّه مات سنة سبع وثلاثين وإنّه لم يشهد

١- ١ انظر الطبقات الكبرى ٣: ١۶٧.

٢- ٢ حلية الأولياء ١: ١۴٧.

٣- ٣ الاستيعاب ١: ٣٢.

۴- ۴ المصدر نفسه: ۴٢٣- ۴٢۴ والإصابة ١: ۴١۶.

ص: ۲۲۴

صفّين، فإنّه كان مرضه قد طال به فمنعه من شهودها (۱).

إذاً كان الإمام على عليه السلام مشغولًا فى حربصفّين، وترك خباباً مريضاً فى الكوفة ولعلّ الذى يؤيّد كونه مريضاً، ما ورد فى كلام الإمام عليه السلام الآتى. «وابتلى فى جسمه فصبر». ولم يكن حاضر وفاته وهو ما توهّمه بعض.

الإمام على عليه السلام مؤبّناً

ما إن عاد الإمام على عليه السلام من معركةصفّين ووصل إلى ظهر الكوفة حتّى سأل: ما هذه القبور؟ فقال قدامة بن العجلان اليزدى: يا أمير المؤمنين، إنّ خبّاب ابن الأرت توفّى بعد مخرجك، فأوصى بأن يُدفن فى الظهر، وكان الناس إنّما يدفنون فى دورهم وأفنيتهم، فدفن بالظهر رحمه اللَّه، ودفن الناس إلى جنبه.

فوقف الإمام عليه السلام على هذه القبور قائلًا:

السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة والمحالّ المقفرة! من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا فرط، ونحن لكم تبع، نزوركم عمّا قليل، ونلحق بكم بعد زمان قصير. اللّهمَّ اغفر لنا ولهم، وتجاوز عنّا وعنهم.

الحمد للَّهالذى جعل الأرض كفاتاً، أحياءً وأمواتاً، والحمد للَّهالذى منها خلقنا، وعليها ممشانا، وفيها معاشنا، وإليها يُعيدنا، طوبى لمن ذكر المعاد، وقنع بالكفاف، وأعدّ للحساب (۲)!

ثمّ قال عليه السلام مؤبّناً وقد انفرد بقبر غضٍّ رطيبٍ يضمّ رفات هذا العبد الصالح:

رحم اللَّه خبّاباً! لقد أسلم راغباً، وجاهد طائعاً، وعاش زاهداً، وابتلى فى جسمه فصبر!

ولن يُضيع اللَّه أجر من أحسن عملًا (۳).

اسرار وعلوم الحج

۱- ۱ أسد الغابة ۲: ۱۰۰.

۲- ۲ انظر: تاريخ الطبرى ۳: ۱۰۸، وأسد الغابة ۲: ۱۰۰، ووقعةصفّين: ۵۳۰، شرح نهج البلاغة ۱۹: ۲۰۶- ۲۵۷.

۳- ۳ انظر العقد الفريد ۳: ۲۰۱، أسد الغابة ۲: ۱۰۰.

ص: ۲۲۵

أسرار وعلوم الحج

عبدالقادر (۱)

تقديم:

الحج عبادة عظيمة سنوية شرعها اللّه للعباد ولما فيها من المنافع العظيمة وما تهدف إليه من المقاصد الجليلة ولما يترتّب عليها من خير فى الدنيا والآخرة، وهى فريضة على جميع المكلّفين فى جميع أقطار العالم رجالًا ونساءً إذا استطاعوا السبيل إليها حيث قال اللّه تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَ هُدىً لِلْعالَمِينَ* فِيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِيمَ وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا (۲)

، فالحج من أفضل العبادات لاشتماله على المال والبدن، فهو يجمع معانى العبادات كلّها، فمن حج فكأنّماصام وصلّى واعتكف وزكى ورابط فى سبيل اللّه وغزا وجاهد الشياطين من الجن والإنس.

والحج أحد أركان الإسلام الخمسة، وهو عرضة سنوية للملّة الإسلامية

۱- ۱ استاذ مساعد فى قسم اللغة العربيّة والدراسات الإسلامية فى جامعة شيتاغونغ- بنغلاديش.

۲- ۲ سورة آل عمران: ۹۶- ۹۷.

ص: ۲۲۶

يرجع إليها الفضل فى نقاء هـذه الأمّـة وأصالتها وفى بقاء هـذا الـدين، بعيـداً عن التحريف والغموض والالتباس، وفى بقاء هـذه الامّـة، بعيـدة عن الانقطـاع عن الأصـل والمصـدر والأسـاس، محفوظـة من المؤامرات والمغالطـات الـتى وقعت أمم كـثيرة فريسـتها فى الزمن الماضـى، وعن طريق هذه المؤسـسة العظيمة الحكيمة تبقى هذه الامة تحتفظ بطبيعتها الإبراهيمية الواعية، الثائرة القوية الحنفية السمحة وتتوارثها جيلًا بعـد جيل فكأنها القلب الحىّ القوىّ الـذى يوزع الـدم إلى عروق الجسم وشـرايينه وبها تسـتعرض هـذه الامّـة مجموعها فيصـعيد واحـد، فينفى بـذلك علماؤهـا وزعماؤهـا تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وخرافـة المخرفين ويردونها إلى الأصـل الإبراهيمى الحنيفى وإلى الشـرعة المحمّديـة الصافيـة وإلى الـدين الخالص، وبها تسـتطيع هـذه الامـة أن تحافظ على وحـدتها الدينيـة والعقليـة والثقافيـة وتعتصم عن أن تؤثر فيها الاقليميـة والمحليـة تأثيراً بفقـدها الوحـدة الحنيفيـة الإبراهيمية والصـبغة الإسـلامية المحمديـة، فالحـج هـو الطريـق الوحيـد الـذى يلتمس به الامّـة الإسـلامية مـآثرهم القديمـة كمـا تلتمس طرق حـلّ مشـاكلهم الفردية والاجتماعية والدولية التى تواجهها الامة فى العصر الراهن.

معنى الحج لغة:

الحج- بفتح الحاء وكسرها- لغة هو القصد والإرادة، يقال: حج إلينا فلان:

أى قـدم، وحجه يحجه حجاً أى قصـده، ويقال: رجل محجوج أى مقصود، وقال جماعـة من أهل اللغـة: الحـج: القصد لمعظم، والحج بالكسر: الاسم، والحجّة: المرّة الواحدة، قال الشاعر:

وقفت بها من بعد عشرين حجّة فهلا عرفت الدار بعد توهم

وهو من الشواذ، لأن القياس بالفتـح، وقال ابن منظور: تعورف اسـتعماله فى القصـد إلى مكـة للنسك والحـج إلى البيت خاصة، تقول: حج يحج حجّاً، والحج

ص: ۲۲۷

قصد التوجّه إلی البیت بالأعمال المشروعة فرضاً وسنّة (۱).

الحج فی الاصطلاح:

الحج هو القصد إلی بیت اللَّه الحرام لأعمال مخصوصة فی زمن مخصوص بشرائط مخصوصة، أی: أنّ الحج هو قصد موضع مخصوص وهو بیت اللَّه الحرام وعرفة فی وقت مخصوص وهو أشهر الحج للقیام بأعمال مخصوصة وهی الوقوف بعرفة والطواف والسعی بشرائط مخصوصة (۲).

ثبوت فریضة الحج:

إنّ اللَّه تعالی قد فرض الحج علی المسلم المستطیع فی العمر مرّة واحدة فحسب، قد نزلت الآیة بمناسبة فرض الحج عام الوفود فی أواخر سنة تسع من الهجرة النبویة، فالنبیّصلی الله علیه و سلم قد أدّی فریضة الحج فی حیاته الطیبة مرّة واحدة فی السنة العاشرة من الهجرة، فی هذه السنة قد طهر بیت اللَّه الحرام من الرجس والأوثان کما طهّره من آثار الشرک والعصیان وعن نشاطات المشرکین فی رحاب الکعبة المشرّفة کما أمره تعالی: وَ أذانٌ مِنَ اللّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَی النَّاسِ یَوْمَ الْحَجِّ ٱلْأَکْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِیءٌ مِنَ الْمُشْرِکِینَ وَ رَسُولُهُ (۳) وأیضاً قال تعالی: إِنَّمَا الْمُشْرِکُونَ نَجَسٌ فَلا یَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرامَ بَعْدَ عامِهِمْ هذا (۴).

قدثبت فرض الحج بالکتاب المحکم و السنّة النبویةصلی الله علیه و سلم وإجماعالامّة الإسلامیة.

أ- ثبوت الحج بالقرآن:

قال اللَّه تعالی: وَ لِلَّهِ عَلَی النَّاسِ حِجُّ الْبَیْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَیْهِ سَبِیلًا (۵)

، وقال

۱- ۱ ابن منظور، لسان العرب ۲: ۲۲۶.

۲- ۲ الموسوعة الفقهیة ۱۷: ۲۳.

۳- ۳ التوبة: ۳.

۴- ۴ التوبة: ۲۸.

۵- ۵ آل عمران: ۹۷.

ص: ۲۲۸

تعالی: وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ للّه (۱)

، وقال تعالی: وَ أَذِّنْ فِی النَّاسِ بِالْحَجِّ یَأْتُوکَ رِجالًا وَ عَلی کُلِّ ضامِرٍ یَأْتِینَ مِنْ کُلِّ فَجٍّ عَمِیقٍ (۲).

ب- ثبوت الحج بالسنّة:

عن عبداللَّه بن عمر قال: قال رسول اللَّهصلی الله علیه و سلم: بنی الإسلام علی خمس: شهادة أن لا إله إلّااللَّه وأنّ محمّداً رسول اللَّه وإقام الصلاة وإیتاء الزکاة والحج وصوم رمضان (۳)، وعن عمر بن الخطاب قال: بینما نحن عند رسول اللَّهصلی الله علیه و سلم ذات یوم إذ طلع علینا رجل شدید بیاض الثیاب وشدید سواد الشعر لا یری علیه أثر السفر ولا یعرفه منّا أحد حتی جلس إلی النبیّصلی الله علیه و سلم فأسند رکبتیه إلی رکبتیه ووضع کفّیه علی فخذیه وقال: یا محمد أخبرنی عن الإسلام قال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلّااللَّه وأنّ محمداً رسول اللَّه وتقیم الصلاة وتؤتی الزکاة وتصوم رمضان وتحج البیت إن استطعت إلیه سبیلا... (۴).

ج- ثبوت الحج بالإجماع:

قد وقع الإجماع فی فریضة الحج حیث إنه لم یخالف أحد فی فرضه من عصر الرسولصلی الله علیه و سلم إلی یومنا هذا (۵).

فمن هذه الأدلّة- نحن نلاحظ- أنّ الحج واحد من أرکان الإسلام کالصلاة والصیام والزکاة وغیرها، فمن جحد وجوبه وأنکر فرضیته أو شک فیه فهو خارج عن دائرة الایمان وعن حدود الإسلام وعن زمرة المسلمین، ومن أقرَّ بوجوبه وامتنع من فعله مع القدرة والاستطاعة علیه فکفی باللَّه حسیباً، فقد روی سعید بن

۱- ۱ البقرة: ۱۹۶.

۲- ۲ الحج: ۲۷.

۳- ۳ الخطیب التبریزی، مشکاة المصابیح: ۱۲.

۴- ۴ المصدر نفسه: ۱۱.

۵- ۵ أبو الحسن علی الندوی: فقه العبادات: ۴۶۵.

ص: ۲۲۹

منصور عن الحسن البصری قال: قال عمر بن الخطّاب: لقد هممت أن أبعث رجالًا إلی هذه الأمصار فینظروا إلی کل من کان عنده جدة فلم یحج فیضربوا علیهم الجزیة ما هم بمسلمین ما هم بمسلمین (۱). وأیضاً روی عن عبد الرحمن بن غنم أنه سمع عمر بن الخطاب یقول: من أطاق الحج فلم یحج فسواء علیه مات یهودیاً أو نصرانیاً (۲).

فضائل الحج:

الحج له فضائل عظمی ومکانة سامیة وأثر کبیر فی غفران الذنوب والآثام، وفی بناء المجتمع علی أساس الشریعة الإسلامیة، فالمرویات التالیة تدل علیها:

أ- عن ابن شبرمة قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو فی سیاقة الموت، فبکی طویلًا وقال: لما جعل اللَّه تعالی الإسلام فی قلبی أتیت النبیّصلی الله علیه و سلم فقلت: یا رسول اللَّهصلی الله علیه و سلم أبسط یمینک لأبایعک، فبسط یده فقبضت یدی، فقال: ما لک یا عمرو؟ قال: أردت أن أشترط، قال: تشترط ماذا؟ قال: أن یغفر لی، قال: ما علمت یا عمرو أنّ الإسلام یهدم ما کان قبله وأنّ الهجرة تهدم ما کان قبلها وأنّ الحج یهدم ما کان قبله (۳).

ب- عن أبی هریرة قال: سُئل رسول اللَّهصلی الله علیه و سلم أی الأعمال أفضل؟ قال: إیمان باللَّه ورسوله، قیل: ثم ماذا؟ قال: جهاد فی سبیل اللَّه، قیل: ثم ماذا؟ قال: حجّ مبرور، والحج المبرور هو الحج الذی لا یخالطه إثم (۴) وقال الحسن: أن یرجع زاهداً فی الدنیا وراغباً فی الآخرة.

ج- عن أبی هریرة أن رسول اللَّهصلی الله علیه و سلم قال: جهاد الکبیر والضعیف والمرأة

۱- ۱ الحافظ أبو الفدا إسماعیل بن کثیر، تفسیر القرآن العظیم، مصر ۱: ۳۸۶.

۲- ۲ المصدر نفسه: ۳۸۶.

۳- ۳ الخطیب التبریزی، مشکاة المصابیح: ۱۴.

۴- ۴ المصدر نفسه: ۲۲۱.

ص: ۲۳۰

الحج والعمرة (۱).

د- عن عائشة أنها قالت: يا رسول اللَّهصلى الله عليه و سلم ترى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: لكن أفضل الجهاد حجّ مبرور (۲).

ه- عن أبى هريرة قال: قال رسول اللَّهصلى الله عليه و سلم: من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امّه (۳).

و- وعن أبى هريرة عن النبيصلى الله عليه و سلم أنه قال: العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلّاالجنّة (۴).

الحج حكمته وفلسفته:

إنّ الحكمة والفلسفة فى الحج هى تسلية الحج والبيت للمسلمين وتشويقهم وتقوية إيمانهم وغفران ذنوبهم... لأنّ الشوق غريزة فى الإنسان الحى السليم وحاجة من حاجاته، فيبحث له عمّا يقضى به حاجاته ويروى غلته، وكان البيت العتيق وما حوله من شعائر اللَّه والحج وما فيه من مناسك خير ما يحقّق رغبته ويسلّى شوقه وعاطفته، وقد قال اللَّه تعالى فى بيان هذه الحكمة والفلسفة: وَ إِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِيمَ مَكانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِى شَيْئاً وَ طَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقائِمِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ* وَ أَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالًا وَ عَلى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ* لِيَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلى ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعامِ فَكُلُوا مِنْها وَ أَطْعِمُوا الْبائِسَ الْفَقِيرَ* ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (۵)

، وأيضاً قال تعالى:

۱- ۱ سنن النسائى ۲: ۲.

۲- ۲صحيح البخارى ۱: ۲۰۶.

۳- ۳ المصدر نفسه: ۲۰۶.

۴- ۴ الصحيح لمسلم ۱: ۴۳۶.

۵- ۵ الحج: ۲۶- ۲۹.

ص: ۲۳۱

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى وَ عَهِدْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَ إِسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْعاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (۱).

يقول الإمام الغزالى: فالشوق إلى لقاء اللَّه تعالى يشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة، هذا مع أنّ المحبّ مشتاق إلى كلّ ما له إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف إلى اللَّه تعالى،- فالبحرى أن يشتاق اليه بمجرّد هذه الإضافة- فضلًا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل (۲).

يقول الشيخ أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى: ربما يشتاق الإنسان إلى ربّه أشد شوق، فيحتاج إلى شىء يقضى به شوقه فلا يجده إلا فى الحج (۳).

أسرار الحج:

إنّ للحج ديناً يهدف- بعباداته- إليصلاح الدين والدنيا، فالحج المؤتمر الإسلامى العظيم والاجتماع الحاشد، فيه من المنافع الدينية والدنيوية والثقافية والاجتماعية والسياسية ما يفوت الحصر والعد.

فأما المنافع الدينية: فما يقوم به الحاج من هذه العبادات الجليلة التى تشتمل على أنواع من التذلل والخضوع بين يدى اللَّه تعالى، فمنها تقحم الأسفار وإنفاق الأموال والخروج من ملاذ الحياة بخلع الثياب واستبدالها بإزار ورداء، حاسر الرأس وقد ترك الطيب والنساء وترك الترفه بأخذ الشعور والأظفار ثم التنقل بين هذه المشاعر، كلّ هذا بقلوب خاشعة وأعين دامعة وألسنة مكبّرة ملبية، قد حدا بهم الشوق إلى بيت ربّهم، ناسين، فى سبيل ذلك، الأهل والأوطان والأموال والنفس والنفيس، فما ترى ثوابهم عند ربّهم؟!

وأما المنافع الثقافية: فقد أمر اللَّه بالسير فى الأرض للاستبصار والاعتبار

۱- ۱ البقرة: ۱۲۵.

۲- ۲ أبو حامد الغزالى، إحياء علوم الدين ۱: ۲۴.

۳- ۳ الشيخ ولى اللَّه الدهلوى، حجّة اللَّه البالغة ۱: ۷۵.

ص: ۲۳۲

ففيه من معرفـة أحوال الناس والاتصال بهم والتعرّف على شؤون الوفود التى تمثّل أصـقاع العالم كلّه ما يزيد الإنسان بصـيرة وعلماً إذا التقى بعلمائهم واتصل بنبهائهم فيجد لكل علم وفن طائفة تمثّله.

وأما المنافع الاجتماعية والسياسية: فإنّ الحج مؤتمر عظيم يضمّ وفوداً متنوّعة العلوم، مختلفة الثقافات، متباينة الاتجاهات والنزعات، فإذا اجتمع كـلّ حزب بحزبه وكلّ طائفـة بشبيهتها ومثلوا «لجان الحكومـة الواحـدة» ودرسوا وضـعهم الغابر والحاضـر والمسـتقبل، ورأوا ما الـذى أخّرهم وما الـذى يقدِّمهم وما هى أسـباب الفرقة بينهم وما أسـباب الائتلاف والاجتماع وتوحيد الكلمة، وبحثوا شؤونهم الدينية والسياسـية والاجتماعية والاقتصادية على أساس المحبّة والوئام وبروح الوحدة والالتيام، أصـبحوا يداً واحدة ضد عدوّهم، وقوّة مرهوبة فى وجه المعتدى عليهم على ضوء قوله تعالى: وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ (۱) ، وبهذا يصـير لهم كيان مسـتقلّ خاص، له مميّزاته وأهدافه ومقاصده، يسـمعصوته ويصغى إلى كلمته ويحسب له ألف حساب، وبهذا يعود للمسـلمين عزّهم ويرجع إليهم سؤددهم ويبنون دولة إسـلامية دستورها كتاب اللّه وسنّة رسوله، شعارها العدل والمساواة، وهدفها الصالـح العام وغايتها الأمن والسـلام، حينئـذ تتجه إليهم أنظار الـدنيا وتسـلم الزمام إليهم فيمسـكونه بأيديهم، ويقوّضون مجالس بنيت على الظلم والبغى، ويبنون على أنقاضـها العدل والإحسان، وبهذا يقرّ السـلام ويسـتتب الأمن وتتجه المصانع التى تصـنع للموت الذريع أسـلحة الـدمار والخراب، إلى أن تخترع المعدّات التى تساعد على التثمير والتصـنيع وإخراج خيرات الأرض، فتحقق حكمة اللّه بخلقه، ويحلّ الخصب والرخاء والأمن والسلام مكان الجدب والغلاء والخوف والدماء، كما قال

۱- ۱ الأنفال: ۶۰.

ص: ۲۳۳

تعالی: وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَیْتَ مَثابَةً لِلنَّاسِ وَ أَمْناً (۱).

مقاصد الحج وأهدافه:

من مقاصد الحج الرئیسیة تجدید الصلة بإمام الملّة الحنیفیة ومؤسسها إبراهیم علیه الصلاة والسلام، والتشبّع بروحه، والمحافظة علی إرثه، والمقارنة بین حیاتنا وحیاته وعرضها علیها، واستعراض ما یعیش فیه المسلمون فی العالم، وتصحیح ما وقع فی حیاتهم من أخطار أو فساد أو تحریف، وإعادة ذلک کلّه إلی أصله ومنبعه. فالحج عرضة سنویة للملة تضبط أعمال المسلمین وحیاتهم ویتخلّصون بها من نفوذ الامم والمجتمعات التی یعیشون فیها (۲). قال الشیخ أحمد بن عبد الرحیم الدهلوی: ومن مقاصده موافقة ما توارث الناس عن إبراهیم وبنیه إسماعیل علیهما السلام....

.... فمن الواجب المحافظة علی ما استفاض عن إمامها کخصال الفطرة ومناسک الحج، حیث قال علیه الصلاة والسلام: قفوا علی مشاعرکم، فإنکم علی إرث من إرث أبیکم (۳).

إنّ مقاصد الحاج وأهدافه الفوز بالجنة والنجاة من النار وغفران الذنوب وحط الخطایا، إن ابراهیم علیه السلام قد دعا إلی ربّه لهذا البلد فاستجاب اللَّه هذا الدعاء فبعث محمّداًصلی الله علیه و سلم بالأمور التی بیّنها إبراهیم علیه السلام فرفعهم بالأخلاق الفاضلة وطهّرهم من الأخلاق الدنیئة والصفات المنکرة. إنّ أعظمصفات الامم الإسلامیة التوحید للَّه وحده وإخلاص العبادة له فی جمیع الأحوال وترک عبادة ما سواه والایمان به وبرسوله وبکلّ ما أخبر اللَّه به ورسله عمّا کان وما یکون، والایمان بنبیّه محمّدصلی الله علیه و سلم والاستقامة علی دینه، هذا أصل هذا الدین وأساسه وتوحید اللَّه والاخلاص له،

۱- ۱ البقرة: ۱۲۵.

۲- ۲ أبو الحسن علی الندوی، الأرکان الأربعة: ۲۴۹.

۳- ۳ ولی اللَّه الدهلوی، حجة اللَّه البالغة ۲: ۵۶.

ص: ۲۳۴

وهو أعظم هدف للحج وأعظم مقصد أن يأتى العبد مخلصاً للّهويترك كل ما سواه ويقصد وجهه الكريم بالتلبية والدعاء ويكرّر: لبيك اللهمّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

إنّ الحج هو العبادة الوحيدة الذى يمكن أن يظهر القوة والوحدة الإسلامية أمام الملحدين والغالين والمخالفين للدين الحنيف، ويطهر الأرض المقدّسة من المشركين الكافرين بأن يعبدوه وحده عند بيته الكريم ويطهروا ما حول البيت من الأصنام والأوثان وسائر ما حرّم اللّه، ومن النجاسات ومن مؤامرات الشياطين ومن كل ما يؤذى الحجيج أو العمار أو يشغلهم عن هدفهم، فالبيت للمصلين وللطائفين وللعاكفين وهم المقيمون عنده يعبدون اللّه فيه وفى حرمه الذى يجب أن يطهر لهم من كلّ ما يصد عن سبيل اللّه أو يلهى الوافدين إليه من قول أو عمل.

قد أذن ابراهيم عليه السلام فى الناس بأداء الحج، فأسمع اللّهصوته لمن شاء من العباد، وأجاب الناس هذه الدعوة من عهده إلى يومنا هذا، ففى الحج منافع عاجلة وآجلة، فمن أعظم المنافع أن يشهدوا توحيد اللّه تعالى والإخلاص له فى الطواف ببيته والصلاة فى رحاب بيته والدعوة له والإنابة إليه والتضرّع إليه واجتماعهم كاجتماع يوم المحشر وإتاحة الفرصة لهم حتّى يتبادلوا أفكارهم ومشاكلهم الفردية والاجتماعية والعالمية والتشاور فيما بينهم للتفتش لحل هذه المشاكل.

ومن مقاصد الحج أن يتعارف المسلمون ويتواصوا بالحق ويتناصحوا، فهم يأتون من كل فج عميق من غرب الأرض وشرقها وجنوبها وشمالها أى من أقطار الأرض كلّها، فيجتمعون فى رحاب بيت اللّه العتيق وفى عرفات وفى مزدلفة وفى منى وفى رحاب مكة يتعارفون ويتناصحون ويرشد بعضهم بعضاً ويسعون لمصالح عاجلة وآجلة، فيسعون فى رحاب بيت اللّه ومسجد رسول اللّه لما فيه من الهداية والبلاغ والصلاح والفلاح والرشاد، فالحج- لا شك- موسم يشهده المسلمون من آفاق الأرض ونواحى العالم الإسلامى ليشهدوا منافع لهم.. يستطيعون فيه أن

ص: ۲۳۵

يتبادلوا الرأى السديد والفكر الحصيف ويتعرّف بعضهم ببعض يجتمعون على كلمة واحدة راجحة راشدة.

تعاليم الحج:

فى الحج فوائد عظمى وآثار كبرى تعود بالخير العميم والنفع الجليل للفرد والجماعة، فمنها:

الأوّل: الحج برهان عملى من المؤمن على أنه يفضل حبّ اللَّه تعالى على أهله وماله وعمله ودياره، فيتحمل مشاق السفر ومخاطر الطريق، تلبية لدعوة اللَّه تعالى وابتغاء لرضوانه.

الثانى: فى الحج تعويد للحاج على الصبر؛ تحمل الشدائد، مفارقة الأهل والأولاد والأوطان وتمرين عملى على حياة الخشونة وشظف العيش لكى يكون المسلم مدرباً على خوض المعارك واقتحام الخطوب.

الثالث: فيه تقوية للايمان وتهذيب للنفس وتكفير للذنوب؛ لأن المؤمن يتفرّغ فيه للعبادة والتفكّر وذكر اللَّه تعالى، لا تشغله هموم الحياة ولا تفتنه بهارجها الزائلة.

الرابع: وفى الحج المساواة التامة، والاخوّة الإنسانية تتحقّق بأجليصورها، فلا فرق بين أبيض وأسود ولا فرق بين فقير وغنى ولا بين عربى وأعجمى...

فتكون هذه المشاهد سبيلًا لغرس هذه المبادئ الإنسانية فى نفس المسلم بشكل عملى.

الخامس: يكتسب المسلم فى الحج ثقافة واسعة وخبرة عملية حيث يختلط بالناس بمختلف ديارهم وأوطانهم، فيتعرّف أخبارهم ومشاعرهم.

السادس: يرى المؤمن البقاع الطاهرة التى شهدت مولد الإسلام واعتزت بمواقف الرسول الكريم وصحبه المجاهدين الأبطالالذين ضحوا بكلّ غال ورخيص، فتثور فى نفسه كوامن العزّة والكرامة ودوافع الجهاد لإعادة عزّنا ومجدنا.

ص: ۲۳۶

السابع: الحج وسيلة قوية لتعارف المسلمين وتعاونهم وائتلاف قلوبهم وجمع كلمتهم، فبالحج تحطم محاولات الأعداء فى تمزيق الشمل وتفريق الصفوف وإقامة الحدود المصطنعة، ويشعر المسلمون فى الحج: أنّ لهم قوّة كبيرة تحقّق لهم أهدافهم لو نظمت ووحّدت ووجّهت التوجيه الصحيح.

الثامن: الحج تجمّع إسلامى عام دورى يستطيع فيه قادة الرأى من المسلمين فى السياسة والاجتماع والثقافة والاقتصاد أن ينتهزوا فرصة اجتماعهم لعرض مشكلاتهم فى إطار الدين ومناقشتهم فى جوّ من الحب والاخاء واتخاذ الحلول والسبل الحازمة لها.

التاسع: فى الحج تكتّل واتحاد للكلمة فى التوجّه إلى جهة واحدة ونحو هدف واحد وجمع لأشتات المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها (۱).

الحج مظهر الجامعة الإنسانية الإسلامية:

الحج انتصار للقومية الإسلامية على القوميات الوطنية والعنصرية واللسانية التى قد يصبح بعض الشعوب الإسلامية فريستها تحت ضغط عوامل كثيرة، وهو إظهار لشعار هذه القومية، فتتجرّد جميع الشعوب الإسلامية عن جميع ملابسها وأزيائها الاقليمية التى تميّز بعضها عن بعض ويتعصّب لها أقوام، وتظهر كلّها فى مظهر واحد يسمّى «الاحرام»، حاسرة رؤوسها ما بين رئيس ومرؤوس وصغير وكبير وغنى وفقير وتهتف كلّها فى لغة واحدة ونغمة واحدة: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

هكذا تتجلّى القومية الإسلامية فى اللباس والهتاف، وهما من أوضح ما تجلّت فيه قومية، وفى وحدة المناسك والغايات التى يقوم بها جميع الأفراد والشعوب ويسعى إليها العرب والعجم ويلتقى عليها القاصى والدانى، فكلّهم يطوفون حول

۱- ۱ محمدصادق حسين، الحج عبادة وفلسفة، البعث الإسلامى، ۱۴۱۷ ه، العدد ۴: ۶۰- ۶۱.

ص: ۲۳۷

بيت واحـد، ويسـعون بين غايتين مشتركتين «الصـفا والمروة» وكلهم يقصـدون «منى» وكلّهم يؤمون «عرفات» ويقفون في موقف واحد وكلّهم يبيتون في مبيت واحـد، فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ وَ اذْكُرُوهُ كَما هَداكُمْ وَ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (۱)

، ويفيضون إفاضة واحدة، ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفاضَ النَّاسُ وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۲)

، وكلّهم يقفون أياماً في منى تجمع بينهم اشغال واحدة من نحر وحلق ورمي.

الحج فريضة باقية إلى يوم القيامة ومؤسسة خالدة خلود هذه الامّة، فالمسلمون لا تبتلعهم القوميات كما ابتلعت امماً كثيرة ولا يصبحون ضحيتها ولا تكون بلادهم التي يحبّونها... قبلـة يتوجّهون إليها وكعبـة يحجّون إليها، إنما هي قبلـة واحـدة يتوجّه إليها الشـرقي والغربي والعجمي والعربي، إنما هي كعبـة واحدة يحج إليها الهندي والايراني والأفغاني والتركي والمسـلم الأوربي والأمريكي وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثابَةً لِلنَّاسِ وَ أَمْناً وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى (۳)

، ويحنّ إليها المسـلم في أقصـى الأرض وينذر لهذه الرحلة النذور ويسـعى إليها على الرأس والعين، ويعتبر ذلك غاية الأوطار وأقصى الأماني وأعظم السعادات (۴).

الجوانب الإعلامية في الحج:

إنّ مـا يقوم به الحجيـج من أعمال التعارف والـذكر والاجتماع على كلمـة واحـدة، وهتاف واحـد فيصـعيد واحـد، وما يتجلّى في أداء مناسك الحـج من مظاهر الوحدة والثقة ودعم عقيدة التوحيد، ورفع التلبية وتكرارها، يحمل كلّ ذلك من الفوائد الإعلامية الواقعية ما لا تتحمّله أجهزة الإعلام في عصر التقدّم العلمي والرقي

۱- ۱ البقرة: ۱۹۸.

۲- ۲ البقرة: ۱۹۹.

۳- ۳ البقرة: ۱۲۵.

۴- ۴ أبو الحسن على الندوی، الحج عرضة شرعية سنوية، البعث الإسلامی، ۱۴۱۲ ه، العدد ۴: ۱۹- ۲۰.

ص: ٢٣٨

الحضـارى، فمن المعلوم أنّ الاعلام لا يهدف إلّاتركيز الفكرة أو الصورة، وترسيخ المفاهيم والمشاهد بوسائله المتعدّدة، ثم التأثير بـذلك كلّه فى عقول الناس ومرئياتهم، وقد قيل: إنّ الإعلام سلاح ذو حدّين، يبنى ويهدم وينفع ويضرّ، كذلك أعمال الحج تحقّق هـذه الغايـة الإعلاميـة من تركيز العقائد وفضائل الأخلاق وتحريك الهمم وإيقاظ الروح وإشعال جمرة الايمان وإذكاء نار العداوة والبغضاء ضد الشياطين والوثنيات والكفر والعادات الخبيثة والأعمال القبيحة والمعاصى المدمّرة، وهى تبنى معالم الهدى والسعادة والعلم والايمان وتخطّط للمستقبل الإنسانى النيّر، وتوفّر لأهلها فرصاً سانحة للوحدة والتضامن والتعاون على البرّ والتقوى، وتهدم مسالك الغى والضلال، ومناهج الظلم والطغيان وتحطّم أغلال الشرك والعبودية والخنوع لغير اللّه.

إذا كان الاعلام يرسم الخطوط ويضع القواعد ويفصل المناهج لتركيز الفكرة وتصويرالآلام والأحلام والآمال والأهواء، و تمثيل مناظر اللهو والمجون والفواحش والنكبات والصور الإنسانية من جميع الأنواع، فإنّ اعمال الحج ومناسكه تمثّل المشاهد الإنسانية والمناظر الجذّابة من الرباط الوثيق بين العبد وربّه وبيته و مشاعره والعلاقة المخلصة الجادة بصاحب الشريعة و حامل الوحى و رسالة الإسلام محمّدصلى الله عليه و سلم الذى بعث رحمة للعالمين، إنها تصور ذلك الواقع الإنسانى الذى رفع البشر إلى أعلى قمّة من السعادة والهداية والطمأنينة والهدوء، كذلك فإنّ فى الحج كلّ نوع من الاعلام والإبلاغ والتوجيه والدعوة والتمثيل والتصوير، فيه كلّ نوع من دروس الحبّ والهيام والتفانى فى سبيل الهدف السامى، وفيه تزكية العواطف وتنزيه المشاعر وتنمية روح الفضائل بإزاء العداوة للشيطان والكراهية للرذائل والفرار من خداع النفس، وأخذ الحذر من كلّ ما يغرى العبد المؤمن فى طريقه إلى اللّه، ومن كلّ ما يخدعه من المظاهر الكاذبة المزخرفة والاستفادة من الجوانب الإعلامية المتوافرة فى هذا الركن العظيم، فى النواحى الإيجابية والسلبية كلتيهما...

ص: ۲۳۹

ثم إنّ جماعات الحجيج التى تمثّل جميع عواصم العالم وطبقات الامّة ومجتمعات المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، تحمل الأنباء والأخبار عمّا يجرى حول العالم من الظروف والأوضاع المتنوّعـة، وتتولّى مهمة كشف الحقائق عن كثير من شؤون السـياسة والاجتماع العالميـة والنوايا والتحـديات التى توجّه إلى العالم الإسـلامى والمسـلمين لتصـفية الوجود الإسـلامى حيناً، وإضـعاف معنويتهم وثقتهم بخلود الإسلام وعالمية رسالته حيناً آخر (۱).

كـذلك تتضـاعف البرامـج بأنواعهـا وألوانهـا بنقـل المشاهـد والحقـائق بـأجهزة الاعلاـم المختلفـة إلى جميـع أنحـاء العـالم ممّـا يفيد المجتمعات الإنسانيـة فى العالم كلّه، ويزوّدها بصورة حيّـة وبأشـكال متحرّكـة لمناسك الحج وأعماله فى أجواء الربوع المقدّسة حيث يعيش ملايين الحجاج فى وحدة ووئام ليس له نظير فى أى أمّة ولا تاريخ، ولا سـيما الخطبة التى تلقى فى يوم عرفة لأحكام المناسك ودروس الحـج، كما يذكر فيها مشاكل الامة الإسـلامية وطرق حلّها، ويذكر فيها تعاليم الإسـلام ومفاهيمه التى تكونصالحة لبناء الحياة الإسـلامية... لقد علم النبيّصـلى الله عليه و سـلم امّته مناسك الحج وفسّـر لها معالمه ومراميه ومفاهيمه بحيث لم يتركصـغيرة ولا كبيرة، دقيقة ولا جليلة إلا أحصاها، فقد سجل التاريخ خطبته التى ألقاها بعرفات مخاطباً العدد الهائل من أصحابه الكرام وكان يبلغ هذا العدد أكثر من مائـة ألف، إنما كانت خطبته هذه ميثاقاً للحياة الإسـلامية والاجتماعية، ولكل ما جاء فى هذه الخطبة من حرمة الحياة الإنسانية والأموال والأعراض وحقوق النساء والأولاد وشؤون سياسية واجتماعية واقتصادية وحضارية (۲).

۱- ۱ بتغيير يسير من مقال «جوانب إعلامية مشرقة فى الحج» لسعيد الأعظمى، البعث الإسلامى، ۱۴۱۳ ه، العدد ۴: ۳- ۸.

۲- ۲ السيرة النبوية لابن هاشم ۲: ۶۰۳- ۶۰۵، قد ذكرت فيه هذه الخطبة، أيضاً ذكرت فى كتاب البيان والتبيين للجاحظ ۲: ۱۵- ۱۷.

ص: ۲۴۰

الختام:

لقـد قـدّر اللَّه لهذه الامّة الخالدة أن تعيش فى بيئات مختلفة وفى أقاليم عديدة وتجتاز أدواراً كثيرة جدّاً، مختلفة جدّاً، من حرارة وقوّة وجمود وخمود وعنف وقسوة ومصارعـة ومقاومـة واغراءات ماديـة وسياسـية، وتقـدّم فى الحضـارة والمدنيـة وتوسع فى المال وضـيق وضنک وبذخ وترف وعسر ويسر وشدّة ورخاء وتسلّط عدو قاهر وملک جائر، وكانت الامّة فى حاجة دائمة إلى إشعال جذوة الايمان وإثارة عاطفة الحبّ والحنان وإعادة الوفاء والولاء فى سائر الأجزاء والأعضاء، فجعل الحج ربيعاً تورق فيه أغصان هذه الشـجرة الخالدة كل عام، تؤتى أكُلها كل حين بإذن ربّها، وتكتسى فيه هذه الشجرة العالمية لباساً جديداً قشيباً غضّاً طريّاً. قال الشيخ ولى اللَّه الدهلوى: كما أنّ الدولـة تحتاج إلى عرضـة بعـد كل ليتميّز الناصح من الغاش والمنقاد من المتمرّد، ليرتفع الصيت وتعلو الكلمة ويتعارف أهلها فيمـا بينهم، فكـذلک الملـة تحتـاج إلى حـج، ليتميّز الموفق من المنـافق وليظهر دخول الناس فى دين اللَّه أفواجاً وليرى بعضـهم بعضـاً فيستفيد كلّ واحد ما ليس عنده (۱).

يأتى موسم الحـج كلّ عام ولكنّ المسـلمين يعيشون حياة لا طموح فيها ولا ثقـة، تحيط بهم ظروف قاسـية وتهدّدهم بالذوبان حيناً فى تيّار الأحداث والأوضاع المفروضة عليهم والانسـياق حيناً آخر مع المصالح السياسـية والاجتماعية دون أن يكون لهم رصيد من الذاتية والاسـتقلال النفسى والفكرى فى مجالات الحياة المهمة، ذلک بالإضافة إلى ما يكتنفهم من الغموض فيما تصير إليه الحياة الاجتماعية وتتجه إليه المجريـات من الامـور، لقـد أنهكتهم المآسـى التى تولتهـا الأيـدى الأثيمـة لقوى الظلم والبغى والطغيان وقضت على الأمن والهدوء النفسى

۱- ۱ الشيخ ولى اللَّه الدهلوى، حجة اللَّه البالغة ۱: ۵۹- ۶۰.

ص: ۲۴۱

وعكّرت جوّ الحبّ والثقة والاخوّة، ذلكم الواقع المشرق الذى عاشته الامّة الإسلامية فى العالم الإسلامى على امتداد تاريخها الطويل، منذ أن أضفى عليهم الإسلام لباس الحب والاخوة الايمانية ولون الطهر والعفاف، فقال تعالى: وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَ كُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها (۱).

يتوجّه الحاج المسلم إلى بيت اللَّه الحرام لأداء مناسك الحج ولكنه بمجرّد حضوره إلى بلد اللَّه الأمين وطوافه ببيت اللَّه العتيق وسعيه بين الصفا والمروة سيجد فى نفسه راحة وطمأنينة وينصرف عن جميع الأحاسيس والمخاطر التى كانت تزعجه وتعكر عليهصفو العبادة ولذّة العيش فى رحاب البيت، ومع قرب أيام التشريق والذهاب إلى منى وعرفات والمزدلفة مشاعر اللَّه فى الأرض، يتناسى هموم الدنيا وأحزان الحياة ومتاعب الأحداث والمآسى التى مرّت عليه كأمواج البحر الطامة وظلمات الليالى المدلهمة وتعود إليه الطمأنينة بجميع مظاهرها ومعانيها وتغطى كيانه من كلّ جهة. إنّ الحج كلّه ذكر وعبادة وهو حبّ وتضحية وجهاد، يقول الدكتور زهير الأعرجى: «التعابير الإنسانية كالبكاء والشعور بالذنب والتوبة الخالصة للَّهسبحانه، والإشارات المنظمة كانتظام الطواف وأفعال الصلاة ورمى الجمرات وتقليد الهدى ونحوها، كلّها تمثِّل رموزاً نتفاعل بها مع ديننا الحنيف وخالقنا العظيم إلّاأنّ هذه الرموز الموحِدة لا تساعدنا على التفاعل الروحى مع خالق الوجود فحسب، بل تساعدنا على التفاعل الاجتماعى أيضاً؛ لأننا نشعر عن طريق ممارسة هذه المناسك والأعمال التعبدية أنّ للآخرين أنفساً تشابه أنفسنا فى الدعاء والابتهال والتذلّل لخالقنا العظيم» (۲).

۱- ۱ آل عمران: ۱۰۳.

۲- ۲ الدكتور زهير الأعرجى، الأبعاد الاجتماعية لفريضة الحج: ۱۱۲.

ص: ۲۴۲

إنّ الحجيج يتزوّد بزاد التقوى ويودع أهله وإخوانه وأقاربه بشعور رقيق من الخشية والتواضع وعواطف الشكر للّهتعالى كما يودّع الملابسات الدنيوية والعلائق النفسية والوشائج المادية، ويتطهّر من الذنوب والآلام ومن الهموم والأحزان، ويتحوّل إلى خلق جديد بعيد عن الأهواء ومزالق النفس والشيطان والطاغوت، ويتمثّل فيصورة عبد خاشع للّهولا يلتجئ إلّاإليه فيناجيه فى امور تهمّه فى دينه ودنياه، وتساعده على بناء ما تهدّم من القيم والأخلاق والمعنويات وإصلاح الفساد الذى عمّ بين الأفراد والمجتمعات، واستبدال الظلم والخوف بالعدل والأمن والثقة برفض الصهيونية والرأسمالية والاشتراكية والقوى الطاغية والشياطين الكبرى بإعلان: قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْراهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنا بِكُمْ وَ بَدا بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَ الْبَغْضاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ (۱).

أخيراً نسأل اللّه التوفيق على اداء فريضة الحج كما أدّى سيد الشهداء الحسين ابن على عليهما السلام بشعور إسلامى عميق، وذلك أنه أراد الرحيل إلى كربلاء قبيل موسم الحج، فقال كثير من معه: قد قرب الموسم، إن أردت فتؤدى فريضة الحج ثم ترتحل، فأجاب: الحج الذى يؤدى برئاسة يزيد فليس بحج إبراهيمى.

علل الحجّ فى كتب الصدوق (۲) ابواب علل الاحكام وغيرها

۱- ۱ الممتحنة: ۴.

ص: ۲۴۳

علل الحجّ فی کتب الصدوق (۲) أبواب علل الأحکام وغیرها

فارس حسّون کریم

۱- باب علّة جعل اللّٰه الکعبة البیت الحرام قیاماً للناس

۱- عن أبی بصیر- لیث المرادیّ-، عن أبی عبداللّٰه علیه السلام، قال: لا یزال الدین قائماً ما قامت الکعبة (۱). (۲) ۲- باب علّة وضع البیت

۱- عن عبداللّٰه بن سنان، عن أبی عبداللّٰه علیه السلام، قال: لو عطّل الناس الحجّ لوجب علی الإمام أن یجبرهم علی الحجّ «۳» إن شاءوا وإن أبوا؛ لأنّ هذا البیت إنّما

۱- ۱ قال الفیض الکاشانی رحمه الله: یعنی بقیامها قیام طوافها وحجّها کما قال سبحانه: جعل اللّٰه الکعبة.. قیاما للناس، [المائدة: ۹۷]، ویحتمل قیام بنیانها.

۲- ۲ الکافی ۴: ۲۷۱ ح ۴، من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۴۳ ح ۲۳۰۷، علل الشرائع: ۳۹۶ ب ۱۳۲ ح ۱، روضة المتّقین ۴: ۱۳۲، الوافی ۱۲: ۴۰ ح ۸، وسائل الشیعة ۱۱: ۲۱ ح ۵، و ۱۳: ۲۴۲ ح ۱۵، بحار الأنوار ۹۹: ۵۷ ح ۱۰، مرآة العقول ۱۷: ۱۵۴ ح ۴.

۳ قال المجلسی رحمه الله: أی یجبر من وجب علیه الحجّ منهم.

ویحتمل: أن یکون مع عدم الاستطاعة أیضاً واجباً کفائیّاً لئلّا یتعطّل البیت کما هو ظاهر الخبر، ولم أرَ قائلًا به.

ص: ۲۴۴

وضع للحجّ (۱).

۳- باب علّة وضع البیت وسط الأرض

۱- عن محمد بن سنان: أنّ أبا الحسن الرضا علیه السلام کتب إلیه فیما کتب من جواب مسائله علّة وضع البیت وسط الأرض؛ لأنّه الموضع الذی من تحته دحیت الأرض، وکلّ ریح تهبّ فی الدنیا فإنّها تخرج من تحت الرکن الشامی، وهی أوّل بقعة وضعت فی الأرض؛ لأنّها الوسط لیکون الفرض لأهل المشرق والمغرب (۲) سواء (۳).

۴- باب علّة ما کان ینبغی أن یوضع لدور مکّة أبواب

۱- عن عبیداللّه بن علیّ الحلبیّ، عن أبی عبداللّه علیه السلام، قال: سألته عن قول اللّه تعالی: سَوَاءً الْعَاکِفُ فِیهِ وَالْبَادِ (۴).

فقال: لم یکن ینبغی أن یُصنع علی دور مکّة أبواب؛ لأنّ للحاجّ أن ینزلوا معهم فی دورهم فی ساحة الدار حتّی یقضوا مناسکهم، وإنّ أوّل من جعل لدور مکّة أبواباً معاویة (۵).

۲- عن حفص بن البختریّ، عن أبی عبداللّه علیه السلام، قال: لیس ینبغی لأهل

۱- ۱ الکافی ۴: ۲۵۹ ذ ح ۳۰، علل الشرائع: ۳۹۶ ب ۱۳۳ ح ۱، تهذیب الأحکام ۵: ۲۳ ذ ح ۱۲، وسائل الشیعة ۱۱: ۲۴ ح ۱ وص ۱۱۹ ذ ح ۱، بحار الأنوار ۹۹: ۱۸ ح ۶۵، مرآة العقول ۱۷: ۱۳۲ ذ ح ۳۰، ملاذ الأخیار ۷: ۲۲۳ ذ ح ۱۲.

۲- ۲ فی بعض المصادر: لأهل الشرق والغرب.

۳- ۳ من لا یحضره الفقیه ۲: ۱۹۱صدر ح ۲۱۱۴، عیون أخبار الرضا علیه السلام ۲: ۹۰ ضمن ح ۱، علل الشرائع: ۳۹۶ ب ۱۳۴ ح ۱، روضة المتّقین ۴: ۵، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۴۱ ح ۱۳، بحار الأنوار ۶: ۹۷ ضمن ح ۲، و ۵۷: ۶۴ ح ۳۹، و ۹۹: ۵۷ ح ۱۱.

۴- ۴ سورة الحجّ: ۲۵.

۵- ۵ من لا یحضره الفقیه ۲: ۱۹۴صدر ح ۲۱۲۱، علل الشرائع: ۳۹۶ ب ۱۳۵ ح ۱، روضة المتّقین ۴: ۲۰- ۲۱، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۶۸ ح ۳، بحار الأنوار ۹۹: ۸۱ ح ۳۱.

ص: ۲۴۵

مكّة أن يجعلوا على دورهم أبواباً، وذلك أنّ الحاجّ ينزلون معهم فى ساحة الدار حتّى يقضوا حجّهم (۱).

۵- باب علّة وجوب الحجّ، والطواف بالبيت، وجميع المناسك (۲)

۱- عن عبد الحميد بن أبى الديلم، عن أبى عبداللَّه عليه السلام، قال: إنّ اللَّه تبارك وتعالى لمّا أراد أن يتوب على آدم عليه السلام أرسل جبرئيل، فقال له: السلام عليك يا آدم، الصابر على بليّته، التائب عن خطيئته، إنّ اللَّه تبارك وتعالى بعثنى إليك لُاعلّمك المناسك التى يريد أن يتوب عليك بها، وأخذ جبرئيل بيده وانطلق به حتّى أتى البيت، فنزلت عليه غمامة من السماء، فقال له جبرئيل: خطّ برجلك

۱- ۱ تهذيب الأحكام ۵: ۴۶۳ ح ۲۶۱، وسائل الشيعة ۱۳: ۲۶۹ ح ۵، ملاذ الأخيار ۸: ۵۱۹ ح ۲۶۱.

۲- ۲ لقد ذكر أمير المؤمنين على عليه السلام بعض علل الحجّ فى خطبته المسمّاة «القاصعة» فى نهج البلاغة: ۲۹۲- ۲۹۴ خطبة رقم ۱۹۲:

ألا ترون أنّ اللَّه سبحانه اختبر الأوّلين من لدن آدمصلوات اللَّه عليه إلى الآخرين من هذا العالم، بأحجار لا تضرّ ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الذى جعله للناس قياماً. ثمّ وضعه بأوعر بقاع الأرض حجراً، وأقلّ نتائق الدنيا مدراً، وأضيق بطون الأودية قطراً، بين جبال خشنة، ورمال دمثة، وعيون وشلة، وقرًى منقطعة، لا يزكو بها خفّ، ولا حافر ولا ظِلف. ثمّ أمر آدم عليه السلام وولده أن يثنوا أعطافهم نحوه، فصار مثابة لمنتجع أسفارهم، وغاية لملقى رحالهم. تهوى إليه ثمار الأفئدة من مفاوز قفارٍ سحيقةٍ، ومهاوى فجاج عميقة، وجزائر بحار منقطعة، حتى يهزّوا مناكبهم ذللًا يهلّلون للّهحوله، ويرملون على أقدامهم شُعثاً غُبراً له. قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم، وشوّهوا بإعفاء الشعور محاسن خلقهم، ابتلاءً عظيماً، وامتحاناً شديداً، واختباراً مبيناً، وتمحيصاً بليغاً، جعله اللَّه سبباً لرحمته، ووصلة إلى جنّته.

ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام، ومشاعره العظام، بين جنّات وأنهار، وسهل وقرار، جمّ الأشجار دانى الثمار، ملتفّ البنى، متّصل القرى، بين برّه سمراء، وروضة خضراء، وأريافٍ محدقة، وعراصٍ مغدقة، ورياض ناضرة، وطرق عامرة، لكان قدصغر قدر الجزاء على حسب ضَعف البلاء.

ولو كان الأساس المحمول عليها، والأحجار المرفوع بها، بين زمرّدة خضراء، وياقوتة حمراء، ونور وضياء، لخفّف ذلك مصارعة الشكّ فى الصدور، ولوضع مجاهدة إبليس عن القلوب، ولنفى معتلج الريب من الناس، ولكنّ اللَّه يختبر عباده بأنواع الشدائد، ويتعبّدهم بأنواع المجاهد، ويبتليهم بضروب المكاره، إخراجاً للتكبر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلّل فى نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فُتُحاً إلى فضله، وأسباباً ذُلُلًا لعفوه.

ص: ۲۴۶

حيث أظلّك هذا الغمام.

ثمّ انطلق به حتّى أتى به منى فأراه موضع مسجد منى، فخطّه وخطّ المسجد الحرام بعدما خطّ مكان البيت.

ثمّ انطلق به إلى عرفات فأقامه على العرفة وقال له: إذا غربت الشمس فاعترف بذنبك سبع مرّات، ففعل ذلك آدم، ولذلك سمّى العرفة؛ لأنّ آدم عليه السلام اعترف عليه بذنبه، فجعل ذلك سنّة فى ولده يعترفون بذنوبهم كما اعترف أبوهم، ويسألون اللّه عزّوجلّ التوبة كما سألها أبوهم آدم عليه السلام (١).

ثمّ أمره جبرئيل عليه السلام فأفاض من عرفات، فمرّ على الجبال السبعة، فأمره أن يكبّر على كلّ جبل أربع تكبيرات، ففعل ذلك آدم.

ثمّ انتهى به إلى جمع ثلث الليل فجمع فيها بينصلاة المغرب وبينصلاة العشاء الآخرة، فلذلك سمّى جمعاً؛ لأنّ آدم جمع فيها بينصلاتين، فوقت العتمة فى تلك الليلة ثلث الليل فى ذلك الموضع (٢).

ثمّ أمره أن يتبطّح فى بطحاء جمع، فانبطح حتى انفجر الصبح.

ثمّ أمره أن يصعد على الجبل جبل جمع، وأمره إذا طلعت الشمس أن يعترف بذنبه سبع مرّات، ويسأل اللّه تعالى التوبة والمغفرة سبع مرّات، ففعل ذلك آدم كما أمره جبرئيل وإنّما جعل اعترافين ليكون سنّة فى ولده، فمن لم يدرك عرفات وأدرك جمعاً فقد وفى بحجّة، فأفاض آدم من جمع إلى منى فبلغ منى ضحًى، فأمره أن يصلّى ركعتين فى مسجد منى، ثمّ أمره أن يقرّب إلى اللّه تعالى قرباناً ليتقبّل اللّه منه ويعلم أنّ اللّه قد تاب عليه ويكون سنّة فى ولده القربان، فقرّب آدم عليه السلام قرباناً فقبل اللّه منه قربانه، وأرسل اللّه عزّوجلّ ناراً من السماء فقبضت قربان آدم، فقال له

١- ١ تقدّمت هذه الفقرة فى أبواب ١ باب علّة تسمية عرفات ح ٢.

٢- ٢ تقدّمت هذه الفقرة فى باب علّة تسمية المزدلفة جمعاً ح ۵.

ص: ۲۴۷

جبرئیل علیه السلام: إنّ اللَّه تبارک وتعالی قد أحسن إلیک إذ علّمک المناسک التی تاب علیک بها وقبل قربانک، فاحلق رأسک تواضعاً للَّه‌تعالی إذ قبل قربانک، فحلق آدم رأسه تواضعاً للَّه‌تبارک وتعالی.

ثمّ أخذ جبرئیل علیه السلام بید آدم علیه السلام فانطلق به إلی البیت، فعرض له إبلیس عند الجمرة العقبة، فقال له: یا آدم، أین ترید؟

قال جبرئیل: یا آدم: ارمه بسبع حصیّات وکبّر مع کلّ حصاة تکبیرة، ففعل ذلک آدم علیه السلام کما أمره جبرئیل، فذهب إبلیس.

ثمّ أخذ جبرئیل بیده فی الیوم الثانی فانطلق به إلی الجمرة الاولی فعرض له إبلیس، فقال له جبرئیل: ارمه بسبع حصیّات وکبّر مع کلّ حصاة تکبیرة. ففعل آدم ذلک فذهب إبلیس.

ثمّ عرض له عند الجمرة الثانیة، فقال له: یا آدم، أین ترید؟ فقال جبرئیل:

ارمه بسبع حصیّات وکبّر مع کلّ حصاة. ففعل ذلک آدم فذهب إبلیس.

ثمّ عرض له عند الجمرة الثالثة، فقال له: یا آدم، أین ترید؟

فقال له جبرئیل علیه السلام: ارمه بسبع حصیّات وکبّر مع کلّ حصاة تکبیرة. ففعل ذلک آدم فذهب إبلیس.

ثمّ فعل ذلک به فی الیوم الثالث والرابع فذهب إبلیس، فقال له جبرئیل: إنّک لن تراه بعد مقامک هذا أبداً.

ثمّ انطلق به إلی البیت فأمره أن یطوف بالبیت سبع مرّات، ففعل ذلک آدم علیه السلام، فقال له جبرئیل: إنّ اللَّه تبارک وتعالی قد غفر لک، وقبل توبتک، وحلّت لک زوجتک (۱).

۲- عن یحیی بن أبی العلاء الرازی أنّ رجلًا دخل علی أبی عبداللَّه علیه السلام، فقال:

۱- ۱ علل الشرائع: ۴۰۰ ب ۱۴۲ ح ۱، بحار الأنوار ۱۱: ۱۶۷ ح ۱۵، و ۹۹: ۲۹ ح ۵.

ص: ۲۴۸

جعلت فداک، أخبرنی عن قول اللّه تعالی: ن وَالْقَلَم وَمَا یَسْطُرُونَ (۱)

، وأخبرنی عن قول اللّه عزّوجلّ لإبلیس: فَإِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِینَ* إِلَی یَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوم (۲)

، وأخبرنی عن هذا البیت کیفصار فریضة علی الخلق أن یأتوه؟

قال: فالتفت أبو عبداللّه علیه السلام إلیه وقال: ما سألنی عن مسألتک أحد قطّ قبلک، إنّ اللّه عزّوجلّ لمّا قال للملائکة: إِنِّی جَاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَةً ضجّت الملائکة من ذلک وقالوا: یاربّ، إن کنتَ لابدّ جاعلًا فی الأرض خلیفة فاجعله منّا ممّن یعمل فی خلقک بطاعتک، فردّ علیهم: إِنِّی أَعْلَمُ مَا لَاتَعْلَمُونَ (۳)

، فظنّت الملائکة أنّ ذلک سخط من اللّه تعالی علیهم، فلاذوا بالعرش یطوفون به، فأمر اللّه تعالی لهم ببیتٍ من مرمر، سقفه یاقوتة حمراء، وأساطینه الزبرجد، یدخله کلّ یوم سبعون ألف ملک لا یدخلونه بعد ذلک إلی یوم الوقت المعلوم.

قال: «ویوم الوقت المعلوم» یوم ینفخ فی الصور نفخة واحدة فیموت إبلیس ما بین النفخة الاولی والثانیة (۴).

وأمّا «نون» فکان نهراً فی الجنّة أشدّ بیاضاً من الثلج، وأحلی من العسل، قال اللّه تعالی له: کن مداداً، فکان مداداً، ثمّ أخذ شجرة فغرسها بیده، ثمّ قال:

والید القوّة ولیس بحیث تذهب إلیه المشبّهة (۵)، ثمّ قال لها: کونی قلماً، ثمّ قال له: اکتب.

فقال له: یاربّ، وما أکتب؟

۱- ۱ سورة القلم: ۱.

۲- ۲ سورة الحجر: ۳۷ و ۳۸، سورةص: ۸۰ و ۸۱.

۳- ۳ سورة البقرة: ۳۰.

۴- ۴ اخرجت هذه الفقرة فی: تفسیر البرهان ۳: ۳۶۵ ح ۱، بحار الأنوار ۶: ۳۲۸ ح ۱۰.

۵- ۵ المشبِّهة: هم الذین حملوا الصفات علی مقتضی الحِسّ الذی یوصف به الأجسام. فقالوا: إنّ للّه‌تعالی بصراًکبصرنا، ویداً کأیدینا، وقالوا: إنّه ینزل إلی السماء الدنیا من فوق، فهم یشبّهونصفات اللّه بصفات المخلوقین. والمشبِّهة أصناف. «معجم الفرق الإسلامیة: ۲۲۵».

ص: ۲۴۹

قال: اکتب ما هو کائن إلی یوم القیامة، ففعل ذلک، ثمّ ختم علیه، وقال: لا تنطقنّ إلی یوم الوقت المعلوم (۱).

۳- عن ابن أبی عمیر، عن بعض أصحابنا، عن أحدهما علیهما السلام أنّه سئل عن ابتداء الطواف، فقال: إنّ اللَّه تبارک وتعالی لمّا أراد خلق آدم علیه السلام قال للملائکة:

إِنِّی جَاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَةً فقال ملکان من الملائکة: أَتَجْعَلُ فِیهَا مَنْ یُفْسِدُ فِیهَا وَیَسْفِکُ الدِّمَاءَ (۲)

، فوقعت الحجب فیما بینهما وبین اللَّه عزّوجلّ، وکان تبارک وتعالی نوره (۳) ظاهراً للملائکة، فلمّا وقعت الحجب بینه وبینهما علما أنّه قد سخط قولهما، فقالا للملائکة: ما حیلتنا، وما وجه توبتنا؟

فقالوا: ما کنّا نعرف لکما من التوبة إلّاأن تلوذا بالعرش.

قال: فلاذا بالعرش حتّی أنزل اللَّه تعالی توبتهما ورفعت الحجب فیما بینه وبینهما، وأحبّ اللَّه تبارک وتعالی أن یعبد بتلک العبادة فخلق اللَّه البیت فی الأرض، وجعل علی العباد الطواف حوله، وخلق البیت المعمور فی السماء یدخله کلّ یوم سبعون ألف ملک لا یعودون إلیه إلی یوم القیامة (۴).

۴- عن الفضل (۵) بن یونس، قال: کان ابن أبی العوجاء (۶) من تلامذة الحسن البصری فانحرف عن التوحید، فقیل له: ترکتَ مذهبصاحبک ودخلتَ فیما لا أصل له ولا حقیقة.

۱- ۱ علل الشرائع: ۴۰۲ ح ۲، بحار الأنوار ۱۱: ۱۰۸ ح ۱۷، و ۵۷: ۳۶۷ ح ۴، و ۹۹: ۳۲ ح ۷.

۲- ۲ سورة البقرة: ۳۰.

۳- ۳ قال المجلسیّ قدس سره: المراد بنوره تعالی إمّا الأنوار المخلوقة فی عرشه، أو أنوار الأئمّةصلوات اللَّه علیهم، أوأنوار معرفته وفیضه وفضله، فالمراد بالحجب علی الأخیر الحجب المعنویة.

۴- ۴ علل الشرائع: ۴۰۲ ح ۳، بحار الأنوار ۱۱: ۱۰۹ ح ۲۳، و ۹۹: ۳۱ ح ۶.

۵- ۵ فی من لا یحضره الفقیه والتوحید والاحتجاج: عیسی.

۶- ۶ هو عبد الکریم بن أبی العوجاء، أحد الزنادقة فی أواسط القرن الثانی للهجرة. انظر فی ترجمته والحدیث: الکنی والألقاب ۳: ۱۹۲.

ص: ۲۵۰

فقال: إنّصاحبی کان مخلطاً (۱)، کان یقول طوراً بالقدر، وطوراً بالجبر، وما أعلمه اعتقد مذهباً دام علیه.

قال: ودخل مکّة تمرّداً وإنکاراً علی من یحجّ، وکان یکره العلماء مساءلته إیّاهم ومجالسته لهم لخبث لسانه وفساد سریرته، فأتی جعفر بن محمد علیهما السلام فجلس إلیه فی جماعة من نظرائه، ثمّ قال له: یا أبا عبداللَّه، إنّ المجالس أمانات، ولابدّ لکلّ من به سعال أن یسعل، أفتأذن لی فی الکلام؟

فقال أبو عبداللَّه علیه السلام: تکلّم بما شئت.

فقال: إلی کم تدوسون هذا البیدر (۲)، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البیت المرفوع بالطُّوب والمدر (۳)، وتهرولون هرولة البعیر إذا نفر، إنّ من فکّر فی الأمر قد علم أنّ هذا فعل أسّسه غیر حکیم ولا ذی نظر، فقل فإنّک رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوک أسّه ونظامه؟

فقال أبو عبداللَّه علیه السلام: إنّ من أضلّه اللَّه وأعمی قلبه استوخم الحقّ (۴) فلم یستعذبه، وصار الشیطان ولیّه یورده مناهل الهلکة ثمّ لا یصدره، وهذا بیت استعبد اللَّه تعالی به خلقه؛ لیختبر به طاعتهم فی إتیانه فحثّهم علی تعظیمه وزیارته، وجعله محلّ أنبیائه وقبلة للمصلّین له، فهو شعبة من رضوانه، وطریق یؤدّی إلی غفرانه، منصوب علی استواء الکمال، ومجتمع العظمة والجلال، خلقه اللَّه تعالی قبل دحو الأرض بألفی عام، وأحقّ من اطیع فیما أمر، وانتهی عمّا نهی عنه وزجر، اللَّه المنشئ للأرواح والصور.

۱- ۱ أی لم یکن له رأی مستقیم، کان مرّة له رأی القدریّة الذین یقولون بقدرة العبد، ومرّة له رأی الجبریّة بأن لاقدرة للعبد، وإذا تکلّم بالجبر لم یدع قدرة العبد، وإذا تکلّم بالاستطاعة لم یترک التوفیق من اللَّه لعبده، أو لم یکن له مذهب مستقیم.

۲- ۲ البیدر: الموضع الذی یداس فیه الطعام.

۳- ۳ الطوب: الآجر. والمدر: قطع الطین الیابس.

۴- ۴ أی وجده وخیماً ثقیلًا ولم یسهل علیه إساغته.

ص: ۲۵۱

فقال ابن أبی العوجاء: ذکرت یا أبا عبداللَّه فأحلت علی غائب.

فقال: ویلک وکیف یکون غائباً من هو فی خلقه شاهد، وإلیهم أقرب من حبل الورید، یسمع کلامهم، ویری أشخاصهم، ویعلم أسرارهم؟! وإنّما المخلوق الذی إذا انتقل عن مکان اشتغل به مکان وخلا منه مکان فلا یدری فی المکان الذیصار إلیه ما حدث فی المکان الذی کان فیه. فأمّا اللَّه العظیم الشأن، الملک الدیّان، فإنّه لا یخلو منه مکان، ولا یشتغل به مکان، ولا یکون إلی مکان أقرب منه إلی مکان، والذی بعثه بالآیات المحکمة والبراهین الواضحة وأیّده بنصره، واختاره لتبلیغ رسالاتهصدّقنا قوله بأنّ ربّه بعثه وکلّمه.

فقام عنه ابن أبی العوجاء فقال لأصحابه: من ألقانی فی بحر هذا سألتکم أن تلتمسوا لی خمرة فألقیتمونی إلی جمرة (۱).

قالوا: ما کنت فی مجلسه إلّاحقیراً.

قال: إنّه ابن من حلق رؤوس من ترون (۲). (۳) ۵- عن محمد بن سنان أنّ أبا الحسن علیّ بن موسی الرضا علیه السلام کتب إلیه فیما کتب من جواب مسائله: إنّ علّة الحجّ الوفادة إلی اللَّه تعالی، وطلب الزیادة،

۱- ۱ الخمرة: ما یخمر به وعکر النبیذ، وحصیرةصغیرة من السعف، والورس، وأشیاء من الطیب تطلی به المرأة لتحسّن وجهها، ولکلٍّ مناسبة.

أمّا الجمرة: أی النار الموقدة.

۲- ۲ أی أبوه رسول اللّهصلی الله علیه و آله کان فی طالعه أو قدرته واستیلائه علی قلوب العالمین کان بحیث حلق رؤوسهم، وحلق الرأس فی العرب کان عاراً عظیماً لتکبرهم ونخوتهم لئلّا یعلی علی رؤوسهم، فإذا کان الأب بهذه القدرة فلا یستبعد أن أصیر مغلوباً له.

۳- ۳ الکافی ۴: ۱۹۷ ح ۱، من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۴۹ ح ۲۳۲۵، علل الشرائع: ۴۰۳ ح ۴، الأمالی للصدوق: ۷۱۴ ح ۴، التوحید: ۲۵۳ ح ۴، الإرشاد للمفید ۲: ۱۹۹- باختلاف-، کنز الفوائد ۲: ۷۵، الاحتجاج ۲: ۲۰۶، روضة المتّقین ۴: ۱۴۵، بحار الأنوار ۳: ۳۳ ح ۷، و ۱۰: ۲۰۹ ح ۱۱، و ۵۷: ۶۴ ح ۳۸، و ۸۴: ۵۷ ح ۸، مرآة العقول ۱۷: ۲۲ ح ۱.

ص: ۲۵۲

والخروج من كلّ ما اقترف، وليكون تائباً ممّا مضى، مستأنفاً لما يستقبل، وما فيه من استخراج الأموال، وتعب الأبدان، وحظرها عن الشهوات واللذّات، والتقرّب فى العبادة إلى اللَّه عزّوجلّ، والخضوع والاستكانة والذلّ، شاخصاً فى الحرّ والبرد، والأمن والخوف، دائباً فى ذلك دائماً وما فى ذلك لجميع الخلق من المنافع، والرغبة والرهبة إلى اللَّه سبحانه وتعالى، ومنه ترك قساوة القلب، وخساسة الأنفس، ونسيان الذكر، وانقطاع الرجاء والأمل، وتجديد الحقوق، وحظر الأنفس عن الفساد، ومنفعة من فى المشرق والمغرب ومَن فى البرّ والبحر، ممّن يحجّ وممّن لا يحجّ، من تاجر وجالب وبائع ومشترى، وكاسب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها كذلك ليشهدوا منافع لهم.

وعلّة فرض الحجّ مرّة واحدة؛ لأنّ اللَّه تعالى وضع الفرائض على أدنى القوم قوّة، فمن تلك الفرائض الحجّ المفروض واحد، ثمّ رغّب أهل القوّة على قدر طاعتهم (۱). (۲)

۱- ۱ قال الشيخ الصدوق رحمه الله: جاء هذا الحديث هكذا والّذى أعتمده وأفتى به أنّ الحجّ على أهل جدة فى كلّ عام فريضة:

۱- حدّثنا محمد بن الحسن رحمه الله، قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفّار، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبى عمير، عن أبى جرير القمّى، عن أبى عبداللَّه عليه السلام، قال: الحجّ فرض على أهل جدة فى كلّ عام.

[انظر: علل الشرائع: ۴۰۵، بحار الأنوار ۹۹: ۱۱۳ ح ۲].

۲- وحدّثنا أحمد بن محمد، عن أبيه، عن محمد بن أحمد، عن السندىّ بن الربيع، عن محمد بن القاسم، عن أسد بن يحيى، عن شيخ من أصحابنا، قال: الحجّ واجب على من وجد السبيل إليه فى كلّ عام.

[انظر: علل الشرائع: ۴۰۵، بحار الأنوار ۹۹: ۱۱۳ ح ۳].

۳- حدّثنا أحمد بن الحسن، قال: حدّثنا أحمد بن إدريس، عن محمد بن أحمد، عن أحمد بن محمد، عن علىّ بن مهزيار، عن عبداللَّه بن الحسين الميثمى، رفعه إلى أبى عبداللَّه عليه السلام، قال: إنّ فى كتاب اللَّه تعالى فيما أنزل: وللَّه على الناس حج البيت- فى كلّ عام- من استطاع إليه سبيلا [سورة آل عمران: ۹۷].

[انظر: علل الشرائع: ۴۰۵، بحار الأنوار ۹۹: ۱۱۳ ح ۴].

۲- ۲ علل الشرائع: ۴۰۴ ح ۵، عيون أخبار الرضا عليه السلام ۲: ۹۰، بحار الأنوار ۹۹: ۳۲ ح ۸ و: ۱۱۳ ح ۱.

ص: ۲۵۳

۶- عن هشام بن الحکم، قال: سألت أبا عبداللّه علیه السلام فقلت له: ما العلّة التی من أجلها کلّف اللّه العباد الحجّ والطواف بالبیت؟ فقال: إنّ اللّه تعالی خلق الخلق لا لعلّة، إلّاانّه شاء ففعل فخلقهم إلی وقت مؤجّل، وأمرهم ونهاهم ما یکون من أمر الطاعة فی الدین، ومصلحتهم فی أمر دنیاهم، فجعل فیه الاجتماع من المشرق والمغرب لیتعارفوا، ولیتربّح کلّ قوم من التجارات من بلد إلی بلد، ولینتفع بذلک المکاری والجمّال، ولتعرف آثار رسول اللّهصلی الله علیه و آله وتعرف أخباره، ویذکر ولا ینسی، ولو کان کلّ قوم إنّما یتّکلون علی بلادهم وما فیها هلکوا وخربت البلاد، وسقط الجَلَب (۱) والأرباح، وعمیت الأخبار، ولم تقفوا علی ذلک، فذلک علّة الحجّ (۲).

۷- عن محمد بن سنان أنّ الرضا علیه السلام کتب إلیه فیما کتب من جواب مسائله:

علّة الطواف بالبیت أنّ اللّه تبارک وتعالی قال للملائکة: إِنِّی جَاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِیهَا مَنْ یُفْسِدُ فِیهَا وَیَسْفِکُ الدِّمَاءَ (۳)

فردّوا علی اللّه تبارک وتعالی هذا الجواب، فعلموا أنّهم أذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش فاستغفروا، فأحبّ اللّه تعالی أن یتعبّد بمثل ذلک العباد، فوضع فی السماء الرابعة بیتاً بحذاء العرش یسمّی الضراح، ثمّ وضع فی السماء الدنیا بیتاً یسمّی البیت المعمور بحذاء الضراح، ثمّ وضع هذا البیت بحذاء البیت المعمور، ثمّ أمر آدم علیه السلام فطاف به، فتاب اللّه علیه، وجری ذلک فی ولده إلی یوم القیامة (۴).

۱- ۱ الجَلَب: ما یجلب من خیل وغیرها.

۲- ۲ علل الشرائع: ۴۰۵ ح ۶، وسائل الشیعة ۱۱: ۱۴ ح ۱۸، و ۲۷: ۹۷ ح ۶۶، بحار الأنوار ۹۹: ۳۳ ح ۹.

۳- ۳ سورة البقرة: ۳۰.

۴- ۴ علل الشرائع: ۴۰۶ ح ۷، عیون أخبار الرضا علیه السلام ۲: ۹۱، بحار الأنوار ۱۱: ۱۱۰ ح ۲۴، و ۵۸: ۵۸ ح ۵، و ۹۹: ۳۳ ح ۱۰.

ص: ۲۵۴

۸- عن أبی حمزة الثمالی، قال: دخلت علی أبی جعفر علیه السلام وهو جالس علی الباب الذی إلی المسجد وهو ینظر إلی الناس یطوفون، فقال: یا أبا حمزة، بما امروا هؤلاء؟

قال: فلم أدر ما أردّ علیه.

قال: إنّما أمروا أن یطوفوا بهذه الأحجار، ثمّ یأتونا فیعلمونا ولایتهم (۱).

۹- عن عبد الرحمان بن الحجّاج، قال: سألت أبا عبداللّه علیه السلام عن رجل رمیصیداً فی الحلّ وهو یؤمّ الحرم فیما بین البرید والمسجد فأصابه فی الحلّ فمضی یرمیه حتّی دخل الحرم، فمات من رمیه، هل علیه جزاء؟

فقال: لیس علیه جزاء، وإنّما مثل ذلک مثل رجل نصب شرکاً فی الحلّ إلی جانب الحرم، فوقع فیهصید فاضطرب حتّی دخل الحرم، فمات فلیس علیه جزاء؛ لأنّه نصب وهو حلال، ورمی حیث رمی وهو حلال، فلیس علیه فیما کان بعد ذلک شیء.

فقلت: هذا عند الناس القیاس.

فقال علیه السلام: إنّما شبّهت لک شیئاً بشیء لتعرفه (۲).

۱۰- عن خلّاد، عن أبی عبداللّه علیه السلام فی رجل ذبح حمامة من حمام الحرم، قال: علیه الفداء.

قال: فیأکله.

قال: لا.

قال: فیطرحه.

۱- ۱ علل الشرائع: ۴۰۶ ح ۸، وسائل الشیعة ۱۴: ۳۲۴ ح ۹، بحار الأنوار ۹۹: ۳۴ ح ۱۱.

وأورد قطعة منه فی مجمع البیان ۶: ۸۵، بحار الأنوار ۱۲: ۹۰.

۲- ۲ الکافی ۴: ۲۳۴ ح ۱۲، من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۶۰ ح ۲۳۶۱، علل الشرائع: ۴۵۴ ح ۸، تهذیب الأحکام ۵: ۳۶۰ ح ۱۲۵۲، الاستبصار ۲: ۲۰۶ ح ۷۰۴، روضة المتّقین ۴: ۱۷۵، وسائل الشیعة ۱۳: ۶۶ ح ۲ و: ۶۷ ح ۳، و: ۶۸ ح ۴، بحار الأنوار ۹۹: ۱۵۳ ح ۲۹، مرآة العقول ۱۷: ۸۸ ح ۱۲، ملاذ الأخیار ۸: ۳۱۲ ح ۱۶۵.

ص: ۲۵۵

قال: إذن یکون علیه فداء آخر.

قال: فما یصنع به؟

قال: یدفنه (۱).

۱۱- عن معاویة بن وهب، قال: قلت لأبی عبداللّه علیه السلام: مکّة والمدینة کسائر البلدان؟

قال: نعم.

قلت: قد روی عنک بعض أصحابنا أنّک قلت لهم: أتمّوا بالمدینة بخمس.

فقال: إنّ أصحابکم هؤلاء کانوا یقدمون فیخرجون من المسجد عند الصلاة فکرهت ذلک لهم فلذلک قلته (۲).

۱۲- عن معاویة، قال: قلت لأبی عبداللّه علیه السلام: إنّ معی والدتی وهی وجعة.

فقال: قل لها فلتحرم من آخر الوقت، فإنّ رسول اللّهصلی الله علیه و آله وقّت لأهل المدینة ذا الحلیفة، ولأهل المغرب الجحفة.

قال: فأحرمت من الجحفة (۳).

۱۳- قال إبراهیم الکرخیّ: سألت أبا عبداللّه علیه السلام عن رجل أحرم بحجّة فی غیر أشهر الحجّ من دون الوقت الذی وقّت رسول اللّهصلی الله علیه و آله فقال: لیس إحرامه بشیء، إن أحبّ أن یرجع إلی منزله فلیرجع ولا أری علیه شیئاً، وإن أحبّ أن یمضی فلیمض، فإذا انتهی إلی الوقت فلیحرم منه ویجعلها عمرة، فإنّ ذلک أفضل

۱- ۱ الکافی ۴: ۲۳۳ ح ۸، من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۵۹ ح ۲۳۵۶، علل الشرائع: ۴۵۴ ح ۹، تهذیب الأحکام ۵: ۳۷۸ ح ۱۳۱۹، الاستبصار ۲: ۲۱۵ ح ۷۳۹، روضة المتّقین ۴: ۱۷۲، وسائل الشیعة ۱۲: ۱۰۲ ح ۱ و: ۴۳۱ ح ۲، بحار الأنوار ۹۹: ۱۵۳ ح ۳۰، مرآة العقول ۱۷: ۸۷ ح ۸، ملاذ الأخیار ۸: ۳۴۷ ح ۲۳۲.

۲- ۲ علل الشرائع: ۴۵۴ ح ۱۰، وسائل الشیعة ۸: ۵۳۱ ح ۲۷، بحار الأنوار ۸۹: ۸۰ ح ۵.

۳- ۳ علل الشرائع: ۴۵۵ ح ۱۱، وسائل الشیعة ۱۱: ۳۱۶ ح ۲، بحار الأنوار ۹۹: ۱۲۹ ح ۱۵.

ص: ۲۵۶

عن رجوعه؛ لأنّه أعلن الإحرام بالحجّ (۱).

۱۴- عن أبی بصـیر، قال: سألت أبا عبداللّه علیه السلام عن المحرم یشدّ علی بطنه المنطقهٔ التی فیها نفقته، قال: یستوثق منها، فإنّها تمام الحجّهٔ (۲).

۱۵- عن زرارهٔ، عن أبی جعفر علیه السـلام فی المحرم یأتی أهله ناسـیاً قال: لا شیء علیه إنّما هو بمنزلهٔ من أکل فی شهر رمضان وهو ناس (۳).

۶- باب علّهٔ جعل الطواف سبعهٔ أشواط

۱- عن أبی حمزهٔ الثمالی، عن علیّ بن الحسین علیهما السلام، قال: قلت: لِمَصار الطواف سبعهٔ أشواط؟

قال علیه السـلام: لأنّ اللّه تبارک وتعالی قال للملائکـهٔ: إِنِّی جَاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَـهً فردّوا علی اللّه تبارک وتعالی وقالوا: أَتَجْعَلُ فِیهَا مَنْ یُفْسِدُ فِیهَا وَیَسْفِکُ الدِّمَاءَ قال اللّه: إِنِّی أَعْلَمُ مَا لَاتَعْلَمُونَ (۴)

وکـان لاـ یحجبهم عن نوره، فحجبهم عن نوره سـبعهٔ آلاـف عـام، فلاذوا بالعرش سـبعهٔ آلاف سـنهٔ، فرحمهم وتاب علیهم وجعل لهم البیت المعمور الذی فی السماء الرابعهٔ وجعله مثابهٔ (۵) وأمناً، ووضع البیت الحرام تحت البیت المعمور، فجعله مثابهٔ للناس وأمناً، فصار الطواف سبعهٔ أشواط واجباً علی العباد لکلّ ألف سنهٔ شوطاً واحداً (۶).

۱- ۱ الکافی ۴: ۳۲۱ ح ۱، علل الشرائع: ۴۵۵ ح ۱۲، تهذیب الأحکام ۵: ۵۲ ح ۱۵۹، الاستبصار ۲: ۱۶۲ ح ۵۳۰، وسائل‌الشیعهٔ ۱۱: ۳۱۹ ح ۲، بحارالأنوار ۹۹: ۱۲۹ ح ۱۶، مرآهٔالعقول ۱۷: ۲۴۰ ح ۱، ملاذالأخیار ۷: ۲۸۷ ح ۵.

۲- ۲ الکافی ۴: ۳۴۳ ح ۲، من لا یحضره‌الفقیه ۲: ۳۴۶ ح ۲۶۴۶، علل‌الشرائع: ۴۵۵ ح ۱۳، روضهٔ المتّقین ۴: ۴۱۳، وسائل الشیعهٔ ۱۲: ۴۹۱ ح ۲ وص ۴۹۲ ح ۵ و ۶، بحار الأنوار ۹۹: ۱۴۴ ح ۱۴، مرآهٔ العقول ۱۷: ۲۸۶ ح ۲.

۳- ۳ علل الشرائع: ۴۵۵ ح ۱۴، وسائل الشیعهٔ ۱۰: ۵۱ ح ۴، و ۱۳: ۱۰۹ ح ۷، بحار الأنوار ۹۹: ۱۷۱ ح ۱۱.

۴- ۴ سورهٔ البقرهٔ: ۳۰.

۵- ۵ مثابهٔ: أی مرجعاً، أو محلّاً لحصول الثواب.

۶- ۶ علل الشرائع: ۴۰۶ ب ۱۴۳ ح ۱، وسائل الشیعهٔ ۱۳: ۳۳۱ ح ۲، بحار الأنوار ۱۱: ۱۱۰ ح ۲۵، و ۵۸: ۵۸ ح ۴، و ۹۹: ۲۰۱ ح ۶.

ص: ۲۵۷

۲- عن أبی خدیجة، قال: سمعت أبا عبداللَّه علیه السلام یقول: مرّ بأبی علیه السلام رجل وهو یطوف فضرب بیده علی منکبه، ثمّ قال: أسألک عن خصال ثلاث لا یعرفهنّ غیرک وغیر رجل آخر (۱)، فسکت عنه حتی فرغ من طوافه، ثمّ دخل الحجر فصلّی رکعتین وأنا معه، فلمّا فرغ نادی: أین هذا السائل؟

فجاء وجلس بین یدیه فقال له: سل، فسأله عن ن وَالْقَلَمِ وَمَا یَسْطُرُونَ (۲)

فأجابه، ثمّ قال: حدّثنی عن الملائکة حین ردّوا علی الربّ حیث غضب علیهم وکیف رضی عنهم.

فقال: إنّ الملائکة طافوا بالعرش سبع سنین (۳) یدعونه ویستغفرونه ویسألونه أن یرضی عنهم فرضی عنهم بعد سبع سنین.

فقال:صدقت.

ثمّ قال: حدّثنی عن رضا الربّ عن آدم.

فقال: إنّ آدم انزل فنزل فی الهند، وسأل ربّه تعالی هذا البیت فأمره أن یأتیه فیطوف به اسبوعاً ویأتی منی وعرفات فیقضی مناسکه کلّها، فجاء من الهند وکان موضع قدمیه حیث یطأ علیه عمران، وما بین القدم إلی القدمصحاری لیس فیها شیء، ثمّ جاء إلی البیت فطاف اسبوعاً وأتی مناسکه فقضاها کما أمره اللَّه، فقبل اللَّه منه التوبة وغفر له.

قال: فجعل طواف آدم لمّا طافت الملائکة بالعرش سبع سنین (۴)، فقال

۱- ۱ قال المجلسی رحمه الله: لعلّ المراد بالرجل الآخر: الصادق علیه السلام.

۲- ۲ سورة القلم: ۱.

۳- ۳ کذا فی البحار، وهو الصحیح، وفی العلل: سبعة آلاف سنة.

۴- ۴ قال المجلسی رحمه الله: أی کانت العلّة فی جعل طواف آدم وسیلة لقبول توبته طواف الملائکة قبل ذلک وتوسّلهمبذلک إلی قبول التوبة، وفیه إیماء إلی علّة عدد السبع أیضاً... ویمکن الجمع بین ما ورد فی هذا الخبر من کون قبول توبتهم بعد سبع سنین وما ورد فی خبر الثمالیّ... من سبعة آلاف سنة بحمل هذا علی أصل القبول، وحمل ذلک علی کماله.

ثمّ إنّ هذا الخبر یدلّ علی أنّ الملائکة کانوا یظهرون لائمّتنا علیهم السلام وینافیه بعض الأخبار.

ص: ۲۵۸

جبرئیل: هنیئاً لک یا آدم، قد غفر لک، لقد طفتُ بهذا البیت قبلک بثلاثة آلاف سنة. فقال آدم: یاربّ، اغفر لی ولذرّیّتی من بعدی.

فقال: نعم، من آمن منهم بی وبرسلی.

فقال:صدقت، ومضی.

فقال أبی علیه السلام: هذا جبرئیل أتاکم یعلّمکم معالم دینکم (۱).

۷- باب علّة الطواف حول الحجر

۱- عن أبی بکر الحضرمیّ، عن أبی عبداللّه علیه السلام، قال: إنّ إسماعیل دفن امّه فی الحجر وجعله علیّاً، وجعل علیها حائطاً لئلّا یوطأ قبرها (۲). (۳) ۲- عن معاویة بن عمّار، قال: سألت أبا عبداللّه علیه السلام عن الحجر أمن البیت هو أو فیه شیء من البیت؟

فقال: لا، ولا قلامة ظفر، ولکنّ إسماعیل علیه السلام دفن امّه فیه فکره أن توطأ فحجّر علیه حجراً. وفیه قبور أنبیاء (۴).

۳- وصار الناس یطوفون حول الحجر ولا یطوفون فیه؛ لأنّ امّ إسماعیل دُفِنت فی الحجر، ففیه قبرها، فطیف کذلک کیلا یوطأ قبرها (۵).

۱- ۱ علل الشرائع: ۴۰۷ ح ۲، بحار الأنوار ۱۱: ۱۶۹ ح ۱۷، و ۲۶: ۳۵۱ ح ۲، و ۹۹: ۲۰۱ ح ۷.

۲- ۲ فی الکافی: دفن امّه فی الحجر وحجر علیها لئلّا یوطأ قبر امّ إسماعیل فی الحجر.

۳- ۳ الکافی ۴: ۲۱۰ ح ۱۳، علل الشرائع: ۳۷ ب ۳۴ ح ۱، قصص الأنبیاء للراوندیّ: ۱۱۱ ح ۱۰۸، وسائل الشیعة ۱۳: ۳۵۳ ح ۲، بحار الأنوار ۱۲: ۱۰۴ ح ۱۳، روضة المتّقین ۴: ۱۷، مرآة العقول ۱۷: ۴۶ ح ۱۳.

۴- ۴ الکافی ۴: ۲۱۰ ح ۱۵، مدارک الأحکام ۸: ۱۲۸- ۱۲۹، روضة المتّقین ۴: ۱۷، وسائل الشیعة ۱۳: ۳۵۳ ح ۱، بحار الأنوار ۱۲: ۱۱۷ ح ۵۵، مرآة العقول ۱۷: ۴۷ ح ۱۵.

ورویصدرهفی: تهذیبالأحکام ۵: ۴۶۹ ح ۲۸۹، وسائلالشیعة ۵: ۲۷۶ ح ۲، ملاذالأخیار ۸: ۵۳۰ ح ۲۸۹.

وروی ذیله فی: من لا یحضره الفقیه ۲: ۱۹۳ ح ۲۱۱۷، وسائل الشیعة ۱۳: ۳۵۵ ح ۶.

۵- ۵ من لا یحضره الفقیه ۲: ۱۹۳ ذ ح ۲۱۱۶، روضة المتّقین ۴: ۱۶، وسائل الشیعة ۱۳: ۳۵۴ ح ۵.

ص: ۲۵۹

۸- باب علّة جعل العمرة واجبة علی الناس بمنزلة الحجّ

۱- عن معاویة بن عمّار الدهنیّ، عن أبی عبداللَّه علیه السلام، قال: العمرة واجبة علی الخلق بمنزلة الحجّ من استطاع؛ لأنّ اللَّه تعالی یقول: وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ (۱)

وإنّما نزلت العمرة بالمدینة، وأفضل العمرة عمرة رجب (۲).

۲- عن زرارة، عن أبی جعفر علیه السلام، قال: إنّ العمرة واجبة بمنزلة الحجّ؛ لأنّ اللَّه یقول: وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ هی واجبة مثل الحجّ، ومن تمتّع أجزأته، والعمرة فی أشهر الحجّ متعة (۳).

۹- باب علّة جواز المسواک للمحرم

۱- عن معاویة بن عمّار، عن أبی عبداللَّه علیه السلام، قال: قلت: المحرم یستاک؟

قال: نعم.

قلت: فإن أدمی، یستاک؟

قال: نعم، هو من السنّة (۴). (۵) ۱۰- باب علّة کراهیة لبس الطَیلَسان (۶) المزرّر للمحرم

۱- عن عبیداللَّه الحلبیّ، عن أبی عبداللَّه علیه السلام، قال: وجدنا فی کتاب

۱- ۱ سورة البقرة: ۱۹۶.

۲- ۲ تفسیر العیّاشی ۱: ۸۸ ح ۲۲۳، علل الشرائع: ۴۰۸ ب ۱۴۴ ح ۱، دعائم الإسلام ۱: ۳۴۲ ح ۱۳۸۳ وذ ح ۱۳۸۶، بحار الأنوار ۹۹: ۳۳۱ ح ۲ و: ۳۳۲ ح ۸ و ۱۱ و: ۳۳۳ ذ ح ۱۳.

۳- ۳ تفسیر العیّاشی ۱: ۸۷ ح ۲۱۹، بحار الأنوار ۹۹: ۹۷ ح ۱۱ و: ۳۳۲ ح ۱۰.

۴- ۴ قال الکلینی رحمه الله: وروی أیضاً: لا یستدمی؛ أی إن أمکنه، لا بأن یترک السواک إذا لم یمکن بدون الإدماء.

کما روی الشیخ الطوسی فی تهذیب الأحکام ۵: ۳۱۳ ح ۷۶ عن الحلبیّ، قال: سألت أبا عبداللَّه علیه السلام عن المحرم یستاک؟ قال: نعم، ولا یُدمی. أی یسعی فی الرفق حتّی لا یدمی. عنه وسائل الشیعة ۱۲: ۵۳۴ ح ۳.

۵- ۵ الکافی ۴: ۳۶۶ ح ۶، من لا یحضره الفقیه ۲: ۳۴۷ ح ۲۶۵۰، علل الشرائع: ۴۰۸ ب ۱۴۵ ح ۱، روضة المتّقین ۴: ۴۱۶، وسائل الشیعة ۱۲: ۵۳۲ ح ۴ و: ۵۶۱ ب ۹۲ ح ۱، بحار الأنوار ۹۹: ۱۸۰ ح ۲، مرآة العقول ۱۷: ۳۳۱ ح ۶.

۶- ۶ قیل: الطیلسان: ثوب منسوج محیط بالبدن. وقیل: شبه الأردیة یوضع علی الرأس والکتفین والظهر.

ص: ۲۶۰

جدّی علیه السلام: لا یلبس المحرم طیلساناً مزرّراً، فذکرت ذلک لأبی، فقال: إنّما فعل ذلک کراهیة أن یزرّه علیه الجاهل، فأمّا الفقیه فإنّه لا بأس أن یلبسه (۱).

۱۱- باب علّة عدم استحباب الهدی إلی الکعبة، وما یجب أن یعمل بما قد جعل هدیاً للکعبة

۱- جعفر بن محمد، عن أبیه، عن علیّ علیهم السلام، قال: لو کان لی وادیان یسیلان ذهباً وفضّة ما أهدیت إلی الکعبة شیئاً؛ لأنّه یصیر إلی الحجبة دون المساکین (۲).

۲- وإنّما لا یستحبّ الهدی إلی الکعبة؛ لأنّه یصیر إلی الحجبة دون المساکین (۳).

۳- عن علیّ بن جعفر، عن أخیه أبی الحسن علیه السلام، قال: سألته عن رجل جعل ثمن جاریته هدیاً للکعبة کیف یصنع بها؟ فقال: إنّ أبی علیه السلام أتاه رجل قد جعل جاریته هدیاً للکعبة فقال له: قوِّم الجاریة أو بعها، ثمّ مر منادیاً یقوم علی الحجر فینادی: ألا من قصرت نفقته أو قطع به طریقه أو نفد طعامه، فلیأت فلان بن فلان، ومره أن یعطی أوّلًا فأوّلًا حتّی ینفد ثمن الجاریة (۴).

۱- ۱ الکافی ۴: ۳۴۰ ح ۷ و ۸، من لا یحضره الفقیه ۲: ۳۳۸ ح ۲۶۱۴، علل الشرائع: ۴۰۸ ب ۱۴۶ ح ۱، روضة المتّقین ۴: ۴۰۰، وسائل الشیعة ۱۲: ۴۷۵ ح ۲ و ۳، بحار الأنوار ۹۹: ۱۴۴ ح ۱۳، مرآة العقول ۱۷: ۲۸۰ ح ۷ و: ۲۸۱ ح ۸.

۲- ۲ علل الشرائع: ۴۰۸ ب ۱۴۷ ح ۱، روضة المتّقین ۴: ۱۹، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۵۵ ح ۲، بحارالأنوار ۹۹: ۶۷ ح ۵.

۳- ۳ من لا یحضره الفقیه ۲: ۱۹۳ ضمن ح ۲۱۱۹، روضة المتّقین ۴: ۱۹، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۵۵ ح ۱.

۴- ۴ قرب الاسناد: ۲۴۶ ح ۹۷۱، الکافی ۴: ۲۴۲ ح ۲ وص ۵۴۳ ح ۱۸، علل الشرائع: ۴۰۹ ح ۲، تهذیب الأحکام ۵: ۴۴۰ ح ۱۷۵ و: ۴۸۳ ح ۳۶۴، و ۹: ۲۱۴ ح ۲۰، روضة المتّقین ۴: ۱۹، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۴۷ ب ۲۲ ح ۱ و: ۲۴۸ ح ۲، و: ۲۵۰ ح ۷، و ۱۹: ۳۹۲ ح ۱، بحار الأنوار ۹۹: ۶۸ ح ۶ وصدر ح ۹، مرآة العقول ۱۷: ۱۰۴ ح ۲، و ۱۸: ۲۴۹ ح ۱۸، ملاذ الأخیار ۸: ۴۶۶ ح ۱۷۵ و: ۵۶۰ ح ۳۶۴، و ۱۵: ۱۲۳ ح ۱۸.

ص: ۲۶۱

۴- عن حریز، قال: أخبرنی یاسین، قال: سمعت أبا جعفر علیه السلام یقول: إنّ قوماً أقبلوا من مصر، فمات رجل فأوصی إلی رجل بألف درهم للکعبة، فلمّا قدم الوصیّ مکّة سأل عن ذلک فدلّوه علی بنی شیبة، فأتاهم فأخبرهم الخبر، فقالوا:

قد برئت ذمّتک ادفعها إلینا، فقام الرجل فسأل الناس فدلّوه علی أبی جعفر محمد ابن علی علیهما السلام.

قال أبو جعفر محمد بن علیّ علیهما السلام: فأتانی فسألنی فقلت له: إنّ الکعبة غنیّة عن هذا، انظر إلی من أمّ هذا البیت وقطع، أو ذهبت نفقته، أو ضلّت راحلته، أو عجز أن یرجع إلی أهله، فادفعها إلی هؤلاء الّذین سمّیت لک.

قال: فأتی الرجل بنی شیبة فأخبرهم بقول أبی جعفر علیه السلام فقالوا: هذا ضالّ مبتدع لیس یؤخذ عنه ولا علم له، ونحن نسألک بحقّ هذا البیت وبحقّ کذا وکذا لما أبلغته عنّا هذا الکلام.

قال: فأتیت أبا جعفر علیه السلام فقلت له: لقیت بنی شیبة فأخبرتهم فزعموا أنّک کذا وکذا، وأنّک لا علم لک، ثمّ سألونی باللّه العظیم لما أبلغک ما قالوا.

قال: وأنا أسألک بما سألوک لما أتیتهم فقلت لهم: إنّ من علمی لو ولّیت شیئاً من امور المسلمین لقطّعت أیدیهم ثمّ علّقتها فی أستار الکعبة، ثمّ أقمتهم علی المِصْطَبّة (۱)، ثمّ أمرت منادیاً ینادی: ألا إنّ هؤلاء سرّاق اللّه فاعرفوهم (۲).

۵- عن أبی الحرّ- أبو أبی الحسن-، عن أبی عبداللّه علیه السلام، قال: جاء رجل إلی أبی جعفر فقال: إنّی أهدیت جاریة إلی الکعبة فاعطیت بها خمسمائة دینار فما تری؟

قال: بعها، ثمّ خذ ثمنها، ثمّ قم علی هذا الحائط- یعنی الحجر-، ثمّ ناد وأعط

۱- ۱ المِصْطَبَّة- بالتشدید-: مجتمع الناس، وهی أیضاً شِبْه الدُّکان، یُجلس علیها ویُتّقی بها الهوامّ من اللیل. «النهایة لابن الأثیر ۳: ۲۸- صطب-».

۲- ۲ الکافی ۴: ۲۴۱ ح ۱، علل الشرائع: ۴۰۹ ح ۳، تهذیب الأحکام ۹: ۲۱۲ ح ۱۸، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۴۹ ح ۶، بحار الأنوار ۹۹: ۶۶ ح ۱، مرآة العقول ۱۷: ۱۰۳ ح ۱، ملاذ الأخیار ۱۵: ۱۲۱ ح ۱۶.

ص: ۲۶۲

کلّ منقطع به وکلّ محتاج من الحاجّ (۱).

۶- عن سعید بن عمر الجعفیّ، عن رجلٍ من أهل مصر، قال: أوصی أخی بجاریة کانت له مغنّیة فارهة وجعلها هدیاً لبیت اللَّه الحرام، فقدمت مکّة فسألت، فقیل لی: ادفعها إلی بنی شیبة، وقیل لی غیر ذلک من القول فاختلف علی فیه، فقال لی رجل من أهل المسجد: ألا ارشدک إلی من یرشدک إلی الحقّ؟

قلت: بلی.

قال: فأشار إلی شیخ جالس فی المسجد فقال: هذا جعفر بن محمد علیهما السلام فاسأله.

قال: فأتیته فسألته وقصصت علیه القصّة، فقال: إنّ الکعبة لا تأکل ولا تشرب وما أهدی لها فهو لزوّارها، فبع الجاریة، وقم علی الحجر فناد: هل من منقطع به؟ وهل من محتاج من زوّارها؟ فإذا أتوک فسل عنهم (۲) وأعطهم واقسم فیهم ثمنها.

قال: فقلت له: إنّ بعض مَن سألته أمرنی بدفعها إلی بنی شیبة، فقال: أما إنّ قائمنا لو قد قام لقد أخذهم وقطع أیدیهم وطاف بهم، وقال: هؤلاء سرّاق اللَّه (۳).

۷- عن أحمد بن أبی عبداللَّه البرقی، عن أبیه، بإسناده عن بعض أصحابنا،

۱- ۱ الکافی ۴: ۲۴۲ و: ۵۴۵ ح ۲۴، علل الشرائع: ۴۰۹ ح ۴، تهذیب الأحکام ۵: ۴۸۶ ح ۳۸۰، روضة المتّقین ۴: ۱۹، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۵۰ ح ۸، بحار الأنوار ۹۹: ۶۷ ح ۴، مرآة العقول ۱۷: ۱۰۵ ح ۳، و ۱۸: ۲۵۲ ح ۲۴، ملاذ الأخیار ۸: ۵۶۷ ح ۳۸۰.

۲- ۲ أی: سل الناس عنهم هل یصدقون فیما یدّعون، فیدلّ علی عدم جواز الاعتماد علی ادّعاء الفقر بغیر بیّنة.

۳- ۳ الکافی ۲: ۲۴۲ ح ۴، علل الشرائع: ۴۱۰ ح ۵، تهذیب الأحکام ۹: ۲۱۳ ح ۱۹، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۵۱ ح ۹، بحار الأنوار ۹۹: ۶۷ ح ۳، مرآة العقول ۱۷: ۱۰۵ ح ۴، ملاذ الأخیار ۱۵: ۱۲۲ ح ۱۷.

وأورد قطعة منه فی: من لا یحضره الفقیه ۲: ۱۹۴ ضمن ح ۲۱۱۹، روضة المتّقین ۴: ۱۹.

وروی ذیله فی: الإرشاد للمفید ۲: ۳۸۳، الغیبة للطوسی: ۴۷۲ ح ۴۹۲، روضة الواعظین: ۲۶۵، إعلام الوری ۲: ۲۸۹، بحار الأنوار ۵۲: ۳۱۷ ح ۱۴ و: ۳۷۳ ح ۱۶۸.

ص: ۲۶۳

قال: دفعت إلیّ امرأة غزلًا وقالت لی: ادفعه بمکّة لیخاط به کسوة الکعبة، فکرهت أن أدفعه إلی الحجبة وأنا أعرفهم، فلمّاصرت إلی المدینة دخلت علی أبی جعفر علیه السلام فقلت له: جعلت فداک، إنّ امرأة أعطتنی غزلًا وأمرتنی أن أدفعه بمکّة لیخاط به کسوة الکعبة، فکرهت أن أدفعه إلی الحجبة.

فقال: اشتر به عسلًا وزعفراناً وخذ طین قبر أبی عبداللّه علیه السلام واعجنه بماء السماء واجعل فیه شیئاً من العسل والزعفران وفرّقه علی الشیعة لیداووا به مرضاهم (۱). (۲) ۱۲- باب علّة وجوب التمتّع بالعمرة إلی الحجّ دون القران والافراد

۱- عن عبیداللّه بن علیّ الحلبیّ، عن أبی عبداللّه علیه السلام، قال: إنّ الحجّ متّصل بالعمرة؛ لأنّ اللّه عزّوجلّ یقول: فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَی الْحَجِّ فَمَا اسْتَیْسَرَ مِنَ الْهَدْی (۳)

فلیس ینبغی لأحد إلّاأن یتمتّع؛ لأنّ اللّه عزّوجلّ أنزل ذلک فی کتابه وسنّة رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم (۴).

۱۳- باب علّة غسل دخول البیت

۱- عن عبیداللّه بن علیّ الحلبیّ، قال: سألت أبا عبداللّه علیه السلام: أتغتسل النساء إذا أتین البیت؟

قال: نعم، إنّ اللّه عزّوجلّ یقول: أَنْ طَهِّرَا بَیْتِیَ لِلطَّائِفِینَ وَالْعَاکِفِینَ وَالرُّکَّعِ

۱- ۱ قال الشیخ الحرّ العاملیّ رحمه الله: لعلّ المراد علی حجّاج الشیعة المحتاجین علی أنّ ذلک الدواء لا یستعمل إلّامع الحاجة والضرورة، أو لعلّه مخصوص بهذه الصورة أو بالماء القلیل جدّاً الذی لا یمکن قسمته علی المحتاجین کالغزل المذکور.

۲- ۲ الکافی ۴: ۲۴۳ ح ۵، علل الشرائع: ۴۱۰ ح ۶، روضة المتّقین ۴: ۲۰، وسائل الشیعة ۱۳: ۲۵۲ ح ۱۰، بحار الأنوار ۹۹: ۶۸ ح ۷، مرآة العقول ۱۷: ۱۰۶ ح ۵.

۳- ۳ سورة البقرة: ۱۹۶.

۴- ۴ علل الشرائع: ۴۱۱ ب ۱۴۹ ح ۱، تهذیب الأحکام ۵: ۲۵ ح ۴، الاستبصار ۲: ۱۵۰ ح ۴۹۳، وسائل الشیعة ۱۱: ۲۴۰ ح ۲، بحار الأنوار ۹۹: ۹۱ ح ۱۰، ملاذ الأخیار ۷: ۲۲۹ ح ۴.

ص: ۲۶۴

السُّجُودِ (۱)

، فینبغی للعبد أن لا یدخل إلّاوهو طاهر قد غسل عنه العرق والأذی وتطهّر (۲). (۳) ۱۴- باب علّهٔ الرَّمَل (۴) بالبیت

۱- عن زرارهٔ أو محمد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر علیه السلام عن الطواف أیرمل فیه الرجل؟

فقال: إنّ رسول اللَّهصلی الله علیه و آله لمّا أن قدم مکّهٔ وکان بینه وبین المشرکین الکتاب الذی قد علمتم، أمر الناس أن یتجلّدوا، وقال: أخرجوا أعضادکم، وأخرج رسول اللَّهصلی الله علیه و آله عضدیه ثمّ رمل بالبیت لیریهم أنّهم لم یصبهم جهد، فمن أجل ذلک یرمل الناس، وإنّی لأمشی مشیاً، وقد کان علیّ بن الحسین علیه السلام یمشی مشیاً (۵).

۲- عن یعقوب الأحمر، قال: قال أبو عبداللَّه علیه السلام: لمّا کان فی غزوهٔ الحدیبیّهٔ وادع رسول اللَّهصلی الله علیه و آله أهل مکّهٔ ثلاث سنین، ثمّ دخل فقضی نسکه، فمرّ رسول اللَّهصلی الله علیه و آله بنفرٍ من أصحابه جلوس فی فناء الکعبهٔ، فقال: هؤلاء قومکم علی رؤوس الجبال لا یرونکم فیروا فیکم ضعفاً، قال: فقاموا فشدّوا ازرهم وشدّوا أیدیهم علی أوساطهم ثمّ رملوا (۶).

۱- ۱ سورهٔ البقرهٔ: ۱۲۵.

۲- ۲ مراده علیه السلام: أنّه تعالی أراد بتطهیرهما للبیت أمرهما الناس بالاغتسال، والظاهر أنّ المراد أنّ اللَّه تعالی لمّا أراد بتطهیر البیت لکم إعظاماً وإکراماً فینبغی أن تتطهّروا أیضاً تعظیماً له.

۳- ۳ الکافی ۴: ۴۰۰ ح ۳، علل الشرائع: ۴۱۱ ب ۱۵۱ ح ۱، تهذیب الأحکام ۵: ۹۸ ح ۶ و: ۲۵۱ ح ۱۲، وسائل الشیعهٔ ۱۳: ۲۰۰ ح ۳ و: ۲۸۱ ح ۱، و ۱۴: ۲۴۷ ح ۳، بحار الأنوار ۹۹: ۳۶۹ ح ۳، مرآهٔ العقول ۱۸: ۹ ح ۳، ملاذ الأخیار ۷: ۳۷۳ ح ۶، و ۸: ۱۰۵ ح ۱۲.

۴- ۴ الرَّمَل: هو الهرولهٔ، وهو إسراع المشی مع تقارب الخطا. «مجمع البحرین ۵: ۳۸۵- رمل-».

۵- ۵ علل الشرائع: ۴۱۲ ب ۱۵۲ ح ۱، وسائل الشیعهٔ ۱۳: ۳۵۱ ح ۲، بحار الأنوار ۹۹: ۱۹۵ ح ۵.

۶- ۶ علل الشرائع: ۴۱۲ ح ۲، وسائل الشیعهٔ ۱۳: ۳۵۲ ح ۳، بحار الأنوار ۹۹: ۱۹۵ ح ۵.

ص: ۲۶۵

۱۵- باب علّة عدم تمتّع النبیّصلی الله علیه و آله و سلم بالعمرة إلی الحجّ، وأمر بالتمتّع

۱- عن الحلبیّ، عن أبی عبداللَّه علیه السلام، قال: خرج رسول اللَّه حین حجّ حجّة الوداع خرج فی أربع بقین من ذی القعدة حتّی أتی مسجد الشجرة فصلّی بها، ثمّ قاد راحلته حتّی أتی البیداء فأحرم منها (۱)وأهلّ بالحجّ وساق مائة بدنة وأحرم الناس کلّهم بالحجّ لا یریدون عمرة، ولا یدرون ما المتعة، حتی إذا قدم رسول اللَّه مکّة طاف بالبیت وطاف الناس معه ثمّصلّی رکعتین عند مقام إبراهیم واستلم الحجر، ثمّ أتی زمزم، فشرب منها وقال: لولا أن أشقّ علی امّتی لاستقیت منها ذَنوباً أو ذَنوبین (۲)، ثمّ قال: ابدؤا بما بدأ اللَّه عزّوجلّ به، فأتی الصفا فبدأ به، ثمّ طاف بین الصفا والمروة سبعاً.

فلمّا قضی طوافه عند المروة قام فخطب أصحابه وأمرهم أن یحلّوا ویجعلوها عمرة، وهو شیء أمر اللَّه عزّوجلّ به، فأتی الصفا فبدأ به، فأحلّ الناس. وقال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله: لو کنت استقبلت من أمری ما استدبرت لفعلت کما أمرتکم، ولکن لم یکن یستطیع أن یحلّ من أجل الهدی الّذی معه، إنّ اللَّه عزّوجلّ یقول: وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَکُمْ حَتَّی یَبْلُغَ الْهَدْیُ مَحِلَّهُ (۳).

فقام سراقة بن مالک بن جعثم الکنانیّ، فقال: یارسول اللَّه، علّمتنا دیننا کأنّا خلقنا الیوم، أرأیت هذا الذی أمرتنا به لعامنا هذا أم لکلّ عام؟

فقال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله: لا، بل للأبد.

وإنّرجلًا (۴) قام، فقال: یارسولاللَّه، نخرجحجّاجاً ورؤوسناتقطرمن النساء؟

۱- ۱ لعل المراد بالإحرام هنا عقد الإحرام بالتلبیة، أو إظهار الاحرام وإعلامه لئلّا ینافی الأخبار المستفیضة الدالّةعلی أنّهصلی الله علیه و آله أحرم من مسجد الشجرة.

۲- ۲ الذَّنوب: الدَّلْو العظیمة؛ وقیل: لا تسمّی ذَنوباً إلّاإذا کان فیها ماء.

۳- ۳ سورة البقرة: ۱۹۶.

۴- ۴ هو عمر بن الخطّاب.

ص: ۲۶۶

فقال رسول اللّهصلی الله علیه و آله: إنّک لن تؤمن بها أبداً.

وأقبل علیّ علیه السلام من الیمن حتّی وافی الحجّ فوجد فاطمة علیها السلام قد أحلّت، ووجد ریح الطیب، فانطلق إلی رسول اللّهصلی الله علیه و آله مستفتیاً ومحرشاً (۱) علی فاطمة علیها السلام.

فقال رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم: یا علیّ، بأیّ شیء أهللت؟

فقال: أهللت بما أهلّ النبیّصلی الله علیه و آله و سلم.

فقال: لا تحلّ أنت، وأشرکه فی هدیه، وجعل له من الهدی سبعاً وثلاثین (۲)، ونحر رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم ثلاثاً وستّین نحرها بیده، ثمّ أخذ من کلّ بدنة بَضعة (۳) فجعلها فی قدر واحد، ثمّ أمر به فطبخ، فأکلا منها وحسوا من المرق، فقال: قد أکلنا الآن منها جمیعاً، فالمتعة أفضل من القارن السائق الهدی وخیر من الحجّ المفرد، وقال: إذا استمتع الرجل بالعمرة، فقد قضی ما علیه من فریضة المتعة.

وقال ابن عبّاس: دخلت العمرة فی الحجّ إلی یوم القیامة (۴).

۲- عن معاویة بن عمّار، عن أبی عبداللّه علیه السلام، قال: قال رسول اللّهصلی الله علیه و آله و سلم فی حجّة الوداع لمّا فرغ من السعی قام عند المروة فخطب الناس فحمد اللّه وأثنی علیه، ثمّ قال: یا معشر الناس، هذا جبرئیل- وأشار بیده إلی خلفه- یأمرنی أن آمر من لم یسق هدیاً أن یحلّ، ولو استقبلت من أمری ما استدبرت (۵) لفعلت کما

۱- ۱ أی مغضباً. والمراد هنا نوع عتابه لها، وهذه اللفظة لیست فی أخبارنا، بل هی فی أخبار العامّة.

۲- ۲ لعل أحد الخبرین فی العدد محمول علی التقیّة أو نشأ من سهو الرواة.

۳- ۳ البَضعة: القطعة من اللحم.

۴- ۴ الکافی ۴: ۲۴۸ ح ۶، من لا یحضره الفقیه ۲: ۲۳۶ ح ۲۲۸۸، علل الشرائع: ۴۱۲ ب ۱۵۳ ح ۱، روضة المتّقین ۴: ۱۱۷، وسائل الشیعة ۱۱: ۲۲۲ ح ۱۴، بحار الأنوار ۲۱: ۳۹۵ ح ۱۸، و ۹۹: ۸۸ ح ۶ و: ۸۹ ح ۷ و: ۲۴۲ ح ۱، مرآة العقول ۱۷: ۱۱۶ ح ۶.

۵- ۵ أی لو عنَّ لی هذا الرأی الّذی رأیته آخراً وأمرتکم به فی أوّل أمری، لما سقت الهَدی معی وقلّدته وأشعرته، فإنّه إذا فَعل ذلک لا یُحلّ حتّی ینحر، ولا ینحر إلّایوم النحر، فلا یصحّ له فسخ الحجّ بعمرة، ومن لم یکن معه هدیٌ فلا یلتزم هذا، ویجوز له فسخ الحجّ. وإنّما أراد بهذا القول تطییب قلوب أصحابه؛ لأنّه کان یشقّ علیهم أن یُحلّوا وهو مُحرِم، فقال لهم ذلک لئلّا یجدوا فی أنفسهم، ولیعلموا أنّ الأفضل لهم قبول ما دعاهم إلیه، وأنّه لولا الهدیُ لَفَعَله. «النهایة لابن الأثیر ۴: ۱۰- قبل-».

ص: ۲۶۷

أمرتکم، ولکنّی سقت الهدی ولیس لسائق الهدی أن یحلّ حتّی یبلغ الهدی محلّه، فقام إلیه سراقهٔ بن مالک بن جعثم الکنانیّ، فقال: یارسول اللَّه، علّمنا دیننا فکأنّا خلقنا الیوم، أرأیت هذا الذی أمرتنا به لعامنا أم لکلّ عام؟

فقال رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم: لا، بل للأبد.

وإنّ رجلًا قام، فقال: یارسول اللَّه، نخرج حجّاجاً ورؤوسنا تقطر من النساء (۱)؟

فقال له رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم: إنّک لن تؤمن بها أبداً (۲).

۳- عن فضیل بن عیاض، قال: سألت أبا عبداللَّه علیه السلام عن اختلاف الناس فی الحجّ فبعضهم یقول: خرج رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم مهلّاً بالحجّ، وقال بعضهم: مهلّاً بالعمرهٔ، وقال بعضهم: خرج قارناً، وقال بعضهم: خرج ینتظر أمر اللَّه عزّوجلّ، فقال أبو عبداللَّه علیه السلام: اعلم اللَّه عزّوجلّ أنّها حجّهٔ لا یحجّ رسول اللَّهصلی الله علیه و آله و سلم بعدها أبداً فجمع اللَّه عزّوجلّ له ذلک کلّه فی سفرهٔ واحدهٔ لیکون جمیع ذلک سنّهٔ لُامّته، فلمّا طاف بالبیت وبالصفا والمروهٔ أمره جبرئیل علیه السلام أن یجعلها عمرهٔ إلّامن کان معه هدی فهو محبوس علی هدیه لا یحلّ لقوله عزّوجلّ: حَتَّی یَبْلُغَ الْهَدْیُ مَحِلَّهُ (۳)

فجمعت له العمرهٔ والحجّ، وکان خرج علی خروج العرب الاول؛ لأنّ العرب کانت

۱- ۱ أی من ماء غسل الجنابهٔ، وقد قال ذلک تقبیحاً وتشنیعاً علی ما أمر اللَّه تعالی ورسولهصلی الله علیه و آله و سلم به.

۲- ۲ الکافی ۴: ۲۴۶ ضمن ح ۴، علل الشرائع: ۴۱۳ ح ۲، تهذیب الأحکام ۵: ۴۵۵ ضمن ح ۲۳۴، مستطرفات السرائر: ۲۲ ح ۳، وسائل الشیعهٔ ۱۱: ۲۱۴ ضمن ح ۴ و: ۲۱۸ ح ۵، بحار الأنوار ۹۹: ۹۰ ح ۸، مرآهٔ العقول ۱۷: ۱۱۲ ضمن ح ۴، ملاذ الأخیار ۸: ۵۰۰ ضمن ح ۲۳۴.

۳- ۳ سورهٔ البقرهٔ: ۱۹۶.

ص: ۲۶۸

لاـ تعرف إلّاالحجّ وهو فی ذلک ينتظر أمر اللَّه تعالی، وهو يقول عليه السلام: «الناس علی أمر جاهليّتهم إلّاما غيّره الإسلام» وكانوا لا يرون العمرة فی أشهر الحجّ فشقّ علی أصحابه حين قال: اجعلوها عمرة لأنّهم كانوا لا يعرفون العمرة فی أشهر الحجّ، وهذا الكلام من رسول اللَّهصلی الله عليه و آله و سلم إنّما كان فی الوقت الذی أمرهم فيه بفسخ الحجّ فقال: دخلت العمرة فی الحجّ إلی يوم القيامة وشبّك بين أصابعه- يعنی فی أشهر الحجّ- قلت: أفيعتدّ بشیء من أمر الجاهلية؟

فقال: إنّ أهل الجاهليّة ضيّعوا كلّ شیء من دون إبراهيم عليه السلام إلّاالختان والتزويج فإنّهم تمسّكوا بها ولم يضيّعوها (۱).

۱۶- باب علّة عدم عذوبة ماء زمزم وصار غوراً

۱- عن ابن عقبة، عمّن رواه، عن أبی عبداللَّه عليه السلام، قال: كانت زمزم أبيض من اللبن، وأحلی من الشهد، وكانت سائحة، فبغت علی المياه (۲)، فأغارها اللَّه عزّوجلّ، وأجری إليها عيناً منصبر (۳).

تعليق على رسالة ابن باز

۱- ۱ علل الشرائع: ۴۱۴ ح ۳، بحار الأنوار ۹۹: ۹۰ ح ۹.

۲- ۲ قال المجلسیّ قدس سره: يدلّ بظاهره علی أنّ للجمادات شعوراً ما، ويمكن أن يكون المراد بغی أهلها بحذفالمضاف كقوله: واسأل القرية [سورة يوسف: ۸۲] أو يكون كناية عن أنّها لما كانت لشرافتها مفضّلة علی سائر المياه، نقص من طعمها للعدل بينها، فكأنّها بغت لفضلها.

۳- ۳ المحاسن للبرقی ۲: ۴۰۰ ح ۲۲، الكافی ۶: ۳۸۶ ح ۱، من لا يحضره الفقيه ۲: ۱۹۵ ضمن ح ۲۱۲۱، علل الشرائع: ۴۱۵ ب ۱۵۴ ح ۱، روضة المتّقين ۴: ۲۲، بحار الأنوار ۶۶: ۴۴۹ ح ۱۰، و ۹۹: ۲۴۲ ح ۲ و ۳، مرآة العقول ۲۲: ۲۳۷ ح ۱.

ص: ۲۶۹

تعليق على رسالة ابن باز

حسن السقاف

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّهرب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضى اللَّه عنصحابته المتقين.

أما بعد: فقد قرأت ذلك الكتيب الذى حوى رسالتين إحداهما لفضيلة الشيخ العلامة محمد واعظ زاده الخراسانى والثانية للشيخ العلامة ابن باز الحنبلى، وكان الشيخ العلامة واعظ زاده قد بدأ فوجَّه رسالة إلى الشيخ ابن باز ناقشه بأدب جم فى قضيتين:

الأولى: قضية تعبير الوهابيين فى مسألة التوسل والاستغاثة واستلام الجدران والأبواب بأنها وسيلة للشرك.

والثانية: فى قضية افتاء الشيخ ابن باز بجواز الصلح مع اليهود!!

وقد أرسل فضيلة الخراسانى رسالته للشيخ ابن باز سنة ۱۴۱۳ ه، ولم يجب عليها الشيخ ابن باز إلّابعد سنتين وبضعة أشهر بعد أن نشر الشيخ الخراسانى رسالته!! فأجاب الشيخ ابن باز عن القضية الأولى وسكت عن الثانية فلم يجب عنها!! وقد طبعت الرسالتان فى كتيب واحد ووصلتنى نسخة منه، وبعد قراءتها

ص: ٢٧٠

أحببت التعليق والتعقيب على بعض ما جاء فى رسالة الشيخ ابن باز، واللَّه الهادى إلى الصواب:

فأقول:

أقرَّ فضيلة الشيخ ابن باز فى مقدمة كلامه بعد أن ذكر شيئاً من كلام فضيلة الشيخ الخراسانى أنَّ التبرك بما مسّ جسده عليه الصلاة والسلام من وضوء أو عرق أو شعر أو نحو ذلك أمر معروف وجائز عند الصحابة رضى اللَّه تعالى عنهم وأتباعهم، وأقرَّ أيضاً بأنَّ استلام الحجر الاسود وتقبيله واستلام الركن اليمانى كذلك.

وهنا ننبه على شيئين:

الأول: أنه بذلك ثبت إقراره بأنّ التمسح بالحجارة فى هذين الموضعين دون غيرهما، والتى وصفها بأنها لا تضر ولا تنفع هو إقرار بقاعدة عظيمة، وهى أنَّ التمسح والتبرك إذا لم يقترن معه اعتقاد تأثير الممسوح المُستلم لم يكن شركاً ولا كفراً ولا بدعة ولا يجب سد الذريعة فيها، ولا يتحوَّل ذلك إلى كفر وشرك إلا إذا قارن ذلك أو أضيف له اعتقاد التأثير أى الضر والنفع!!

وهنا نسأل الشيخ ابن باز مؤكدين هذه القضية هل تعتبر شرعاً مَنْ استلم هذين الحجرين معتقداً أنهما يضران وينفعان من دون اللَّه تعالى ويؤثران بنفسهما كافراً مشركاً أم لا؟

ثم يثبت بإقراره الأول المتقدم أنَّ مسح الشىء ليس كفراً إن كان مشروعاً، لكن هو بدعة ومن وسائل الشرك إن لم يكن مشروعاً.

الثانى: أنَّه عبَّر عن التبرك بما مسَّ جسده الشريفصلى الله عليه و آله بأنه أمر معروف وجائز عند الصحابة رضى اللَّه عنهم وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأستغرب أنا من هذا التعبير!! (عند الصحابة، من تبعهم بإحسان) وكان اللائق أن يقول: (إنه أمر معروف وجائز شرعاً) لا سيما وأنَّ فى الصحابة من يخالف

ص: ۲۷۱

ذلک‌کما اعترف الشیخ وأقرَّ بذلک فی سیدنا ابن عمر رضی اللَّه تعالی عنهما حیث کان یستلم منبر النبیّصلی الله علیه و آله!!

وقول الشیخ (لم یوافقه علیه أبوه ولا غیره) غیرصحیح إذ لم یثبت نهی أبیه له أو نهی الصحابهٔ رضی اللَّه عنهم له عن فعله ذلک!! ثمَّ لم یثبت ما أورده الشیخ من أنَّ سیدنا عمر رضی الله عنه قطع الشجرهٔ (شجرهٔ بیعهٔ الرضوان) بل المعروف عند علماء السلف ومنهم ابن جریر الطبری أنَّ سیدنا عمر رضی الله عنه ذهب یسأل عنها ولم یجدها!! ففی تفسیر الإمام الحافظ الطبری السلفی (۲۶/ ۸۷) عند تفسیر الآیهٔ الکریمهٔ التی ذُکِرَت فیها الشجرهٔ قال:

«وزعموا أنَّ عمر بن الخطاب رضی الله عنه مرَّ بذلک المکان بعد أن ذهبت الشجرهٔ، فقال: أین کانت؟ فجعل بعضهم یقول هنا، وبعضهم یقول هاهنا، فلما کثر اختلافهم قال: سیروا هذا تکلّف، فذهبت الشجرهٔ وکانت سمراء إما ذهب بها سیل وإما شیء سوی ذلک».

فلو کان سیدنا عمر رضی الله عنه قطعها لما قیل ذلک، ولما خفی الأمر علی مثل الحافظ ابن جریر ولکان نبَّه علیه!!

وعلی کل الأحوال، فالاصل فی ذلک لیس فعل الصحابهٔ وإنما هو نصوص الشرع القرآن والسنهٔ وهی تفید أنَّ ذلک لیس کفراً ولا شرکاً بدلیل جواز التمسح أو استلام الحجر الأسود والرکن الیمانی والملتزم، والشرک والکفر لا یکون شرکاً عند التمسح بشیء دون آخر مع اعتقاد عدم التأثیر والضر والانتفاع فی الکل!!

وقد سُئل الإمام أحمد کما هو ثابت فی کتاب العلل المروی عنه عن تقبیل قبر النبیصلی الله علیه و آله وتقبیل منبره فقال: لا بأس بذلک.

وأنتم تعلمون ذلک!!

فلو کانت هذه الأمور ذرائع للشرک والکفر لما شُرِع استلام الحجر الأسود وتقبیله ولا الرکن الیمانی ولا التبرک بعرق النبیصلی الله علیه و آله وشعره وغیر ذلک إذ یستحیل

ص: ٢٧٢

شرعاً وعقلًا أن يكون فى هذه الأمور غير شرك أو غير ذريعهٔ للشرك وفى غيرها شرك!!

وقول الشيخ ابن باز: (وأما ما نقل عن ابن عمر رضى اللَّه عنهما من تتبع آثار النبيصلى الله عليه و آله واستلامه المنبر فهذا اجتهاد منه رضى الله عنه، لم يوافقه عليه أبوه ولا غيره من أصحاب النبيصلى الله عليه و آله، وهم أعلم منه بهذا الأمر وعلمهم موافق لما دلّت عليه الأحاديث الصحيحهٔ. وقد قطع عمر رضى الله عنه الشجرهٔ التى بويع تحتها النبيصلى الله عليه و آله فى الحديبيهٔ لمّا بلغه أنَّ بعض الناس يذهبون إليها ويصلون عندها خوفاً من الفتنهٔ وسداً للذريعهٔ) فقول غيرصحيح من أوجه:

منها: أنّ ابن عمر مجتهد، وكان أبوه عمر مجتهداً أيضاً رضى اللَّه تعالى عنهما، وقول المجتهد لاينقض بقول مجتهد آخر كما هو مقرر فى علم الأصول!!

ثمَّ هذا على فرضصحهٔ ثبوت عدم موافقهٔ سيدنا عمر لما فعله ابنه وهذا لم يثبت!! على أنَّ الحافظ ابن حجر أجاب عن هذا على ثبوته إذ قال فى «الفتح» (١/ ٥۶٩):

«لأنَّ ذلك من عمر محمول على أنه كره زيارتهم لمثل ذلك بغيرصلاهٔ، أو خشى أن يشكل ذلك على من لا يعرف حقيقهٔ الأمر فيظنه واجباً، وكلا الأمرين مأمون من ابن عمر.... فهو حجهٔ فى التبرك بآثار الصالحين».

وما كتبه المعلق هناك على ذلك الكلام هو محض اجتهاد لا يصمد أمام النصوص التى ستأتى بعد قليل إن شاء اللَّه تعالى فى الكلام على أسطورهٔ قطع سيدنا عمر للشجرهٔ!!

هذا ولم يثبت أنَّ سيدنا عمر وغيره من الصحابهٔ رضى اللَّه عنهم لم يوافقوا ابن عمر على ما فعله البتهٔ وهو محض تقوّل لا دليل عليه ودون إثباته والجزم به إظهار أين روى ذلك وما هى درجهٔ إسناده من الصحهٔ والضعف!! ونحن نطالب الشيخ ببيان ذلك!! وإن لم يجب ولم يبين بأن ذلك ثابت بسندصحيح لا علهٔ له تبينصحهٔ

ص: ۲۷۳

قولنا بعدم ثبوت ذلک عنه!!

إذا ثبت ذلک فإنه لاینقض اجتهاد سیدنا ابن عمر لا سیما والأدلهٔ الشرعیهٔ والعقل السلیم موافق لما فعل ابن عمر!! فیکون بین الصحابهٔ خلاف فی ذلک!! فلا یکون ذلک کفراً ولا ذریعهٔ للشرک والکفر؛ بل لیس ذلک ببدعهٔ طالما أنَّ له دلیلًا وعمل به الصحابهٔ والسلف وأفتی الإمام أحمد بأنه لا بأس به!!

وإننی هنا لا أودّ عرض جمیع النصوص التی تثبت متابعهٔ ابن عمر وإثبات التبرک عن غیره من الصحابهٔ واستقصاء ذلک!! بل أکتفی أن أقول بأنَّ الدارمی روی فی سننه (۹۲) بسندصحیح عن أبی الجوزاء أوس بن عبداللَّه قال: «قحط أهل المدینهٔ قحطاً شدیداً فشکوا إلی عائشهٔ فقالت: انظروا قبر النبیصلی الله علیه و آله فاجعلوا منه کوی إلی السماء حتی لا یکون بینه وبین السماء سقف، قال: ففعلوا، فمطرنا مطراً حتی نبت العشب وسمنت الإبل حتی تفتقت من الشحم فسمِّی عام الفتق» (۱).

أما قوله (وقد قطع عمر رضی الله عنه الشجرهٔ.... وسداً للذریعهٔ) فهذا غیرصحیح ولا ثابت!! وذلک لأنَّ هذه القصهٔ رواها ابن سعد فی «الطبقات الکبری» (۲/ ۱۰۰) عن نافع وإسنادهاصحیح إلی نافع کما قال ابن حجر فی «الفتح» (۷/ ۴۴۸) لکنها منقطعهٔ بین نافع وسیدنا عمر!! لأنَّ نافعاً لم یدرک سیدنا عمر ولم یرو عنه، وقدصرَّح الحافظ ابن حجر فی «تهذیب التهذیب» (۱۰/ ۳۷۰) فی ترجمهٔ نافع أنَّ الإمام أحمد بن جنبل قال:

«نافع عن عمر منقطع». وقد توفی نافع سنهٔ ۱۲۰ ه، وهذا مما یؤکد أنه لم

---

۱ – ۱ إسنادهصحیح، أبو النعمان هو محمد بن الفضل السدوسی الملقب بعارم، إمام ثقهٔ، قال الدارقطنی: لم یظهر له بعد اختلاطه حدیث منکر. وسعید بن زید: ثقهٔ، قال ابن معین وابن سعد والعجلی وسلیمان بن حرب: ثقهٔ، وقال البخاری والدارمی:صدوق حافظ. وصحح له ابن القیم فی کتاب «الفروسیهٔ»ص ۲۰ وقالصدیقکم الألبانی عنه فی «إرواء الغلیل» ۵/ ۳۳۸: «لاـ ینزل به حدیثه عن رتبهٔ الحسن إن شاء اللَّه تعالی». وعمرو بن مالک النکری ثقهٔ، انظر «تناقضات الألبانی الواضحات» ۲/ ۷۰.

ص: ۲۷۴

يدرك ذلك، وكان ينبغى له أن يصرح بذكر اسم شيخه فى هذه الرواية!! وكان أحياناً يجتهد فى إبداء بعض الآراء ويخطئ فى ذلك كما سيتبين بعد قليل إن شاء اللّٰه تعالى!! ونحن وإنصحنا السند إلى نافع فإنَّه لا بدَّ من التنبيه على أنَّ فى سند هذه القصة عبدالوهاب بن عطاء وليس بالقوى عند أبى حاتم وغيره، كما يجد ذلك من يطالع ترجمته فى مثل تهذيب الكمال وغيره.

فالمعروف المقرر عند الحديث أنَّ مثل هذا القول المنقطع ليس بحجة!! لا سيما وقدصرّح بعض الحفاظ كالإسماعيلى بأنَّ هذاومثله هو من قول نافع ولا يعتبر مسنداً (۱)!! ولا سيما قد ثبت عنه وعن سيدنا ابن عمر ما يخالفه!! كما ثبت عن غير سيدنا ابن عمر بإسنادصحيح ما هو ضده أيضاً!!

أما ثبوت ما يخالف هذا عنه: فروى ابن سعد (۲/ ۱۰۵) قال: [أخبرنا على ابن محمد عن جويرية بن أسماء عن نافع قال: خرج قوم من أصحاب رسول اللّٰهصلى الله عليه و آله بعد ذلك- أى بعد نزول الآية التى ذُكِرَت فيها الشجرة- بأعوام فما عرف أحد منهم الشجرة واختلفوا فيها، قال ابن عمر: كانت رحمة من اللّٰه].

فهذا النص يبين أنهم لم يكونوا يعرفونها بعد ذلك، فكيف يَقْطَع سيدنا عمر ما ليس بمعلوم ولا معروف؟! ولو فرضنا أنه قطع شجرة- وليس هذا بصحيح ولا ثابت- فمعناه أنه قطع شجرة أخرى ادّعى بعض الناس أنها شجرة بيعة الرضوان!!

ويؤكد ما قررناه ويبطل أسطورة قطع سيدنا عمر للشجرة ما رواه نافع نفسه بسندصحيح عنه عن عبداللّٰه بن عمر!! فقد روى البخارى فى الصحيح (۶/ ۱۱۷/ ۲۹۵۸) من طريق نافع قال: قال ابن عمر:

«رجعنا من العام المقبل، فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التى بايعنا تحتها، كانت رحمة من اللّٰه.- يقول راوى الحديث-: فسألنا نافعاً: على أى شيء بايعهم،

۱- ۱ انظر «الفتح» ۶/ ۱۱۷/ ۲۹۵۸، وشرح ذلكص ۱۱۸ هناك.

ص: ۲۷۵

على الموت؟ قال: لا، بل بايعهم على الصبر».

أقول: أما قوله فى هذا الأثر (رجعنا) يعنى هو وبعض الصحابة الآخرين ومنهم المسيب والد سعيد بن المسيب حيث جاء عنه كما فى البخارى (۷/ ۴۴۷/ ۴۱۶۳ و ۴۱۶۴) أنَّ سعيداً قال: حدثنى أبى أنه كان فيمن بايع رسول اللَّهصلى الله عليه و آله تحت الشجرة قال: «فلما رجعنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها» وفى الرواية الأخرى «فرجعنا إليها العام المقبل فعمت علينا». وهذا فى حياة النبيصلى الله عليه و آله وقبل خلافة سيدنا عمر بدهر طويل، وتقدَّم نقلًا من تفسير الحافظ ابن جرير (۲۶/ ۸۷): أنَّ عمر بن الخطاب مرَّ بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة، والظاهر أن ذلك كان فى خلافته فقال: أين كانت؟ فجعل بعضهم يقول هنا، وبعضهم يقول: هاهنا. فلما كثر اختلافهم قال: سيروا هذا تكلّف، فذهبت الشجرة وكانت سمراء إما ذهب بها سيل وإما شىء سوى ذلك. اه من تفسير ابن جرير.

فكيف بعد هذا يقال: إنَّ سيدنا عمر قطعها أى فى خلافته؟!!!

وأما قول ابن عمر (كانت رحمة من اللَّه) فيه قولان ذكرهما فى الفتح (۶/ ۱۷۱) الصحيح منهما عندنا للقرائن هو قوله هناك:

«ويحتمل أن يكون معنى قوله: رحمة من اللَّه، أى: كانت الشجرة موضع رحمة اللَّه ومحل رضوانه؛ لنزول الرضا عن المؤمنين عندها» هذا لا شك فيه!!

وقوله (فسألنا نافعاً على أى شىء بايعهم.... قال: بل بايعهم على الصبر) مردود وغيرصحيح البتة!! لأنَّ البخارى روى بعد هذا حديثين أثبت فيهما تصريحصحابيين بأنهم كانوا يبايعون على الموت!!

فيدلّ هذا على أنَّ ما لم يسنده نافع لا حجة فيه، وهذا أوضح مقال على ذلك فتدبَّر!!

لا سيما وأنَّ البخارى والأئمة لم يعوِّلوا على ما يُنقل بإسناد منقطع عن سيدنا

ص: ۲۷۶

عمر، بل قاموا بسرد كثير من الأحاديث والآثار المروية عن ابن عمر، والتى كان يتتبع فيها المواضع التى كان قدصلى النبى فيها ليصلى فيها، ثمَّ جاء سالم بن عبداللّه ابن عمر بعد ذلك فاقتدى بأبيه فكان يتتبع المواضع التيصلى فيها أبوه وأخبره أنَّ النبيصلى الله عليه و آله كان يصلى فيها!! ولو كان قد ثبت عن عمر شيء فى هذا لأوردوه وهو والدهم مع كون اجتهاده لا ينقض اجتهادهم!! وقد عقد البخارى فيصحيحه (۱/ ۵۶۷/ ۴۸۳– ۴۹۱) باباً سمّاه: (باب المساجد التى على طرق المدينة والمواضع التيصلى فيها النبيصلى الله عليه و آله) أورد فيه تسعة نصوص تدل على أنَّ هذا التبرك والتتبع هو مذهب الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين!! وليس كما يقول المعلّق على الفتح (۱/ ۵۶۹) فى الحاشية هناك بكل جرئة غريبة من أنَّ ذلك من ذرائع الشرك!! كبرت كلمة لا دليل عليها لا سيما وأنَّ فيها تسفيهاًصريحاً لفعل الصحابة والتابعين والأئمة ونبذ أقوالهم وأفعالهم لرأى ليس له دليل معتبر، وإنما هو قائم على الخيالات والأوهام البعيدة عن النصوص الثابتة الشرعية!!

لا سيما والحافظ ابن حجر يقول هناك (۱/ ۵۶۹ فتح):

«وقد تقدَّم حديث عتبان وسؤاله النبيصلى الله عليه و آله أن يصلى فى بيته ليتخذه مصلى، وأجابه النبيصلى الله عليه و آله إلى ذلك، فهو حجة فى التبرك بآثار الصالحين».

وقد ذكر الحافظ نحو هذا الكلام أيضاً فى الفتح (۱/ ۵۲۲) وحاول أن يرد عليه المعلّق هناك بكلام لادليل عليه وإنما يقوم على الرأى المخطئ الصريح!!

وقد روى البخارى (۴۸۳) عن موسى بن عقبة أنه قال:

«رأيت سالم بن عبداللّه يتحرّى أماكن من الطريق فيصلى فيها ويحدّث أنَّ أباه كان يصلى فيها، وأنه رأى النبيصلى الله عليه و آله يصلى فى تلك الأمكنة».

وبذلك يتلخص أنَّ قضية قطع سيدنا عمر لشجرة بيعة الرضوان غيرصحيحة ولا يتصوَّر أن يفعل ذلك سيدنا عمر رضى الله عنه، ويثبت بما قدمناه أن من الأمور المستحبة عند الصحابة رضى اللّه عنهم أيضاً استلام الأشياء المتعلقة بالأنبياء

ص: ۲۷۷

والصالحين وأنها ليست من الشرك في شيء.

ثم ذكر الشيخ ابن باز أنَّ دعاء الأنبياء والأولياء والاستغاثة بهم من الشرك الأكبر!!

وأقول: لنا رسالة مستقلة في هذا الموضوع أسميناها «الإغاثة بأدلة الاستغاثة» أثبتنا فيها جواز الاستغاثة بالأحاديث والآثار الصحيحة الثابتة وأنَّ ذلك ليس شركاً ولا كفراً!! ومن ذلك ما رواه البخاري فيصحيحه (۳/ ۳۳۸) عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّهصلی الله علیه و آله:

«إنَّ الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك إذ استغاثوا بآدم ثمَّ بموسى ثمَّ بمحمد فيشفع ليقضي بين الخلق».

قال الحافظ ابن حجر عند شرح مثل هذا الحديث في الفتح (۱۱/ ۴۴۱):

«وفيه أنَّ الناس يوم القيامة يستصحبون حالهم في الدنيا من التوسل إلى اللّه في حوائجهم بأنبيائهم».

وقد ثبت أيضاً في البخاري (۲/ ۵۰۱) وغيره أن الناس يلجأون إلى النبيصلی الله علیه و آله عند القحط؛ ليدعو اللّه لهم في إنزال الغيث، ولم يقل لهم النبيصلی الله علیه و آله: إنَّ المطر بيد اللّه وليس بيدي، وعليكم أن تدعو اللّه تعالى أنتم لقوله تعالى: وَ إِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ.

فإذا قال الشيخ: (بأنَّ هذا توسل واستغاثة بالحي وكلامنا في الميت)!!

قلنا: الجواب عن هذا من وجهين:

الأول: أن الشركَ شركٌ سواء كان في الدنيا أو في الآخرة وسواء كان المستغاث أو المتوسل به إلى اللّه تعالى حيّاً أو ميتاً؛ لأنَّ الكفر كفر في جميع الأحوال طالما أنك لا تنظر إلى الاعتقاد والنية والقصد!! وعمومات مثل هذه النصوص تكفي أن تشمل الاستغاثة بالنبيصلی الله علیه و آله قبل وفاته وبعد وفاته وفي الآخرة!!

الثاني: أنه قد ثبتت نصوص غير هذه تثبت الاستغاثة بهصلی الله علیه و آله بعد وفاته،

ص: ۲۷۸

فحديث الدارمی الصحيح الذی تقدّم فی مسألة التبرک وفتح الكوى وإمطارهم، وما رواه ابن أبی شيبة بإسنادصحيح كما تعلمون فيما ذكره الحافظ ابن حجر فی الفتح (۲/ ۴۹۵) من رواية أبيصالح السمان عن مالك الدار الذی كان خازن سيدنا عمر رضی الله عنه حيث قال:

«أصاب الناسَ قحط فی زمن عمر، فجاء رجل إلی قبر النبيصلی الله عليه و آله فقال:

يا رسول اللَّه استسق لأمتک فإنهم قد هلكوا....».

وقد أقره سيدنا عمر ولم ينكر عليه أحد من الصحابة، فصارت المسألة حائزة علی الإجماع السكوتی!! فلو كان ذلک شركاً أو كفراً لما وسع سيدنا عمر والصحابة رضی اللَّه عنهم السكوت والإقرار علی ذلک!!

وليس المقام هنا مقام حصر للأدلة، ومن أراد أن يتتبعها فعليه برسالتنا «الإغاثة» وغيرها من كتب أهل العلم!! لكن يكفی أن أقول هنا: إنَّ أمام الشيخ ابن باز، وهو الإمام أحمد بن حنبل جوَّز الاستغاثة بغير اللَّه تعالی:

فقد روی الإمام الحافظ البيهقی فی شعب الإيمان وابن عساكر من طريق عبداللَّه ابن الإمام أحمد، بإسنادصحيح اعترف بصحته حتی الألبانی المتناقض!! فی ضعيفته (۲/ ۱۱۱) وهو فی كتاب المسائل لعبداللَّه ابن الإمام أحمد (۲۱۷) قال:

سمعت أبی يقول:

«حججتُ خمس حجج منها ثنتين راكباً وثلاثاً ماشياً، أو ثنتين ماشياً وثلاثاً راكباً، فضللتُ الطريقَ فی حجة وكنتُ ماشياً فجعلتُ أقول: يا عباد اللَّه دلّونا علی الطريق. فلم أزل أقول ذلک حتی وقعت علی الطريق».

وهذا تطبيق لحديث سيدنا عبداللَّه بن مسعود رضی الله عنه المرفوع:

«إذا ضلَّ أحدكم شيئاً أو أراد غوثاً وهو بأرضٍ ليس بها أنيس فليقل:

يا عباد اللَّه أغيثونی، يا عباد اللَّه أغيثونی، فإنَّ للَّهعباداً لا نراهم». وهذه استغاثةصريحة بغير اللَّهتعالی!! وللحديث عدة ألفاظ تجدها فی رسالتنا الإغاثةص (۲۲).

ص: ۲۷۹

وقد نص جماعة من أهل الحديث على أنَّ ذلك جُرِّبَ فتحقق، منهم:

الحافظ الطبرانى عقب روايته لهذا الحديث، و الحافظ الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (۱۰/ ۱۳۲) والإمام النووى فى الأذكار (۱) و اعترف بحسنه الألبانى فى ضعيفته (۲/ ۱۱۱) حيث قال هناك:

«وبعد كتابة ما سبق وقفت على إسناد البزار فى زوائده... قلت: وهذا إسناد حسن كما قالوا...».

وهذا كله وغيره كثير يثبت أن ما ذكره الشيخ ابن باز من قوله: إنّ ذلك شرك أكبر، ليس بصحيح!! بل ليس شركاً أصغر، وإنما هو من الأمور المستحبات التى وردت فى الأحاديث الثابتة و استعملها السلف الصالح!!

وأذكر القارئ هنا بأنّ الحافظ المحدث الذهبى نقل عبارات عديدة عن السلف تفيد بكلصراحة بأن هذه الأمور ليست شركاً بل هى من الأمور المشروعات أو المستحبات، فمن ذلك قول الذهبى فى «سير أعلام النبلاء» (۹/ ۳۴۳) قال ابراهيم الحربى: «قبر معروف الترياق المجرّب. يريد إجابة دعاء المضطر عنده؛ لأنّ البقاع المباركة يستجاب عندها الدعاء».

وقال الذهبى فى «السير» (۱۰/ ۱۰۷) أيضاً فى ترجمة السيدة نفيسة:

«والدعاء مستجاب عند قبرها، بل وعند قبور الأنبياء والصالحين».

أما الآيات الكريمة التى أوردها الشيخ فإنها لا تدل على ما يريد!! وذلك لأنّه ليس كل دعاء عبادة، و معنى حديث «الدعاء هو العبادة» أى دعاء اللَّه تعالى من جملة عبادة اللَّه أو من أعظم العبادات كما قال ذلك المناوى فى «الفيض» (۳/ ۵۴۰)!! لا ـ أنّ كل دعاء عبادة البتة!! و تدلُّ على ذلك النصوص مثل قوله تعالى: لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً وقد توسعتُ فى شرح

۱– ۱ص ۳۳۱ من طبعة دار الفكر دمشق بتحقيق أحمد راتب حموش.

ص: ۲۸۰

ذلک وبیانه وما يتعلق به فى كتابى «التنديد بمن عدّد التوحيد»ص (۳۰- ۴۲) فليراجع!!

والعجب أن الشيخ أورد قوله تعالى: وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَضُرُّهُمْ وَ لا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هؤُلاءِ شُفَعاؤُنا عِنْدَ اللَّهِ وأنّ اللّه تعالى ردَّ عليهم!!

وأقول مجيباً: لا يمكن تطبيق هذه الآية على المسلمين المؤمنين الموحدين، الذين يتوسلون و يستغيثون بالنبيصلى الله عليه و آله وغيره من عباد اللّه الصالحين!! وذلک لأنّ معنى الاستغاثة أنّ زوار الأنبياء و قبور الأولياء يطلبون منهم أن يدعوا اللّه لهم فى قضاء حوائجهم، ولايعبدونهم ولاـ يعتبرونهم آلهـة، ويعتقـدون أنهم لاـ يستقلّون من دون اللّه تعالى بالضـر والنفع، ولا يسـجدون لهم!! خلافاً لأولئک الكفار الذين نزلت فيهم هذه الآية وغيرها من الآيات الكريمة حيث كانوا يسـجدون لتلک الأصـنام ويعبدونها من دون اللّه تعالى!! أما قولهم: هؤلاء شـفعاؤنا عند اللّه فمثل هذه المقالة منهم هى محض كذب منهم عند محاججة النبيصلى الله عليه و آله لهم وإقامة الحجة عليهم، فلا يـذعنون ولاينقادون للأنبياء ولا يـدرون بماذا يجيبون فيقولون هـذه الجمل التى لا يعتقدونها ولا يؤمنون حقيقة بمضـمونها فهى كذب بحت منهم، وقد بيَّن اللّه تعالى لنا أنّ هذه الجمل هى محض كذب منهم حيث قال فى الآيات الأخرى التى أوردها الشـيخ مفسراً لها على غير ما قررناه وهى قوله تعالى: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي ما هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لاـ يَهْدِي مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفَّارٌ فبين اللّه تعالى لنا أنّ هؤلاء الكفار كاذبون فيما زعموه؛ لأنهم لا يعرفون اللّه ولاـ يريـدون السـجود له ولاـ يعترفون ولا يؤمنون به، والـدليل على ذلک وهو الـذى لا يختلف فيه اثنان قوله تعالى: وَ إِذا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قـالُوا وَ مَا الرَّحْمنُ أَ نَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا وَ زادَهُمْ نُفُوراً الفرقان ۶۰، وقوله تعـالى: وَ هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمنِ قُلْ هُوَ رَبِّي الرعد: ۳۰، وقال تعالى: وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ*

ص: ۲۸۱

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ يس: ۷۹، وقال تعالى: وَ لا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ الأنعام: ۱۰۸، فهذه الآيات جميعها تثبت خطأ الاستدلال بالآيات الأخرى التى ذكرناها على أن الاستغاثة ومطلق الدعاء شرك!! لأنّ هذه الآيات تثبت أن أولئك ما كانوا يؤمنون باللَّه تعالى مطلقاً، فضلًا عن أن يعتقدوا بأنّ أولئك الأصنام وغيرها ممن اتخذوا آلهة من دون اللَّه تعالى ما هى إلا وسيلة تقربهم للَّه‌تعالى وتشفع لهم عنده!! فلو كان كذلك لعظموا اللَّه تعالى، ولكن شىء من ذلك لم يكن لذلك قال اللَّه تعالى عنهم: إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفَّارٌ وبذلك ينهدم كلام الشيخ واستدلاله بتلك الآيات الكريمة.

وهنا نعيد له كلامه الذى هناك بعد هذا البيان الواضح ونقول له:

(فالواجب على مثلكم تدبر هذا المقام وإعطاؤه ما يستحق من العناية)!!

وما أورد الشيخ هناكص (۵) فى مقالته من آيات فسرها كما يريد على أنّ دعاء غير اللَّه من الأنبياء والملائكة والجن وغيرهم شرك!! فلا يتم له بها الاستدلال؛ لأننا قدَّمنا ما هو الصحيح من معناها لا سيما وقد خالفه فى الملائكة فى هذه القضية الشيخ الألبانى حيث استثنى الملائكة لحديث حسن أورده فى ضعيفته (۲/ ۱۱۱) هناك إذ قال:

«فهذا الحديث إذاصح يعين أنَّ المراد بالحديث الأول (ياعباد اللَّه) إنما هم الملائكة، فلا يجوز أن يلحق بهم المسلمون من الجن أو الإنس ممن يسمونهم برجال الغيب».

ثم اعترف بعد ذلك بأسطر بأنه وقف على إسناد الحديث فى زوائد البزار وأنّه حسن كما قال الحفاظ!!

(ملاحظة): ثمّ ألفت النظر هنا إلى مسألة الاستغاثة بالأنبياء- أى سؤالهم عند الوقوف على قبورهم وخاصة بالنسبة إلى سيدنا محمّدصلى الله عليه و آله أن يدعو اللَّه لنا فى قضاء الحاجات كما نص على ذلك جمع من الأئمة منهم الإمام الحافظ النورى فى المجموع

ص: ۲۸۲

شرح المهذب ۸/ ۲۷۴ فی باب ما یستحب أن یقول عند الزیارهٔ- أن الأنبیاء أحیاء وکذا الشهداء وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْیاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ یُرْزَقُونَ ولانحتاج لتأویل کلمهٔ أحیاء وإخراجها عن المعنی الـذی نفهمه؛ والذی تدل علیه اللغهٔ العربیهٔ التی نزل بها القرآن إلی معنی لاـ نفهمه؛ لأنّ اللَّه تعالی یخاطبنا فی هـذه الآیـهٔ بما نفهم و نعقل!! فإذا کانوا أحیاءً وبعـد سـلام الزائر علیهم خاطبهم لیدعو اللَّه له فی قضاء حاجته فما هو المانع من ذلک؟! وما هو الشرک فی هذا؟!!

لا سیما و ابن قیم الجوزیهٔ یقول فی کتابه «الروح» کما نقل المحدّث الکتانی عنه فی «نظم المتناثر من الحدیث المتواتر» (حدیث رقم ۱۱۵):

«صحَّ عن النبیصلی الله علیه و آله أنّ الأرض لا تأکل أجساد الأنبیاء، وأنهصلی الله علیه و آله اجتمع بالأنبیاء لیلهٔ الإسراء... وقد أخبر بـأنه مـا من مسـلم یسـلّم علیه إلا ردَّ اللَّه علیه روحه حتی یرد علیه السـلام إلی غیر ذلک مما یحصل من جملته القطع بأنّ موت الأنبیاء إنما هو راجع إلی أن غُیّبوا عنا بحیث لانـدرکهم وإن کانوا أحیاءً موجدین کالملائکهٔ فإنهم أحیاء موجودون ولانراهم». انتهی ماأردنا نقله.

فتأمل!!

ثمَّ نقل الشیخ کلاماً لابن تیمیـهٔ لم یخرج ما فیه من الکلام عمّا ذکرناه وفنـدناه من أقوال لا دلالـهٔ فیها وإنما هو إعادهٔ الکلام وإبـدائه فیما لا تحقیق فیه!!

ونلفت النظر هنا إلی أنّ کلام ابن تیمیـهٔ لا قیمـهٔ له عنـدنا؛ لأنه هو الأساس فی هـذه الخصومـهٔ بینه وبین باقی المسـلمین، فلا یجوز أن نأتی بکلام الخصم سواء من الفتاوی أو من رسالته إلی أتباع الشـیخ عـدی بن مسافر فنورده علی أنه حجهٔ أو کلام من شـخص معتبر!! فإنّ الشـیخ العلامـهٔ الخراسانی لو جلب للشـیخ کلام أحد أئمهٔ الإمامیهٔ لم یقبل منه الشـیخ ذلک، ولقال له: هذا لا یعترف به عندنا فلا فائدهٔ من إیراد کلامه هنا!!

ص: ۲۸۳

فكـذلك ابن تيمية لا قيمة و لا اعتبار له عند جمهور علماء أهل السـنة من غير المتمسـلفين فى القديم والحديث، وكم لهم عليه وعلى أفكاره من ردود يعرفها الشيخ، وكذا لا قيمة له عند الإمامية والزيدية والإباضية وغيرهم من المسلمين الموحدين!!

فكلام ابن تيمية لا يصح إيراده وهو غير مقبول، ومن كانت لديه حجة فليوردها بعيداً عن ابن تيمية!!

والمنـاظرة أو المباحثـة والمناقشـة يجب أن تكون الأدلـة والأقوال التى يتم الحوار بناءً عليها متفقاً عليها أو معترفاً بها عنـد الخصم، وإلا كان إيرادها من العبث الذى لا قيمة له!!

وبقى شيئان فى كلام الشيخ يجب الجواب عنهما باختصار وإلّا فإننا سنطيل تفصيله والاستدلال عليه وهما:

الأول: اعتباره أن تقبيل الشىء واستلامه نوع من أنواع العبادة!!

والجواب عنه: أنَّ الأمر ليس كـذلك فقـد قبَّل النبيصـلى الله عليه و آله وجه الصـحابى الجليل عثمان بن مظعون وهو ميت وقبّل ما بين عينيه!! انظر «مجمع الزوائد» (۳/ ۲۰) وغيره.

ومن ذلك تقبيل يد الوالدين واستلامهما مع تعظيمهما واحترامهما لا يعتبر عبادة بالاتفاق!!

فاستلام الشىء لا يعتبر من العبادات حتى يحكم بذمه وأنه من الشركيات والبدع المذمومات!!

والثانى: أنَّ حـديث «لعن اللَّه اليهود والنصارى اتخـذوا قبور أنبيائهم مساجد» لايصح وإن رواه الشـيخان؛ لأنَّ معناه مصادم لما جاء فى القرآن كما سنبين وليس هذا بعجب!! فقد أمر الإمام أحمد بالضرب على أحاديث وقد خرجها فيما بعد الشيخان!! منها حديث «يهلك أمتى هذا الحى من قريش قالوا: ما تأمرنا يا

ص: ۲۸۴

رسول اللّه قال: «لو أنّ الناس اعتزلوهم».

قال عبداللّه ابن الإمام أحمد فی المسند (۲/ ۳۰۱) عقبه مباشرهٔ:

«قال أبی فی مرضه الـذی مات فیه: اضـرب علی هـذا الحـدیث، فإنه خلاف الأحادیث عن النبیصـلی الله علیه و آله یعنی قوله: اسـمعوا و أطیعوا».

وهذا الحدیث الذی فیه اتخاذ الیهود والنصاری قبور أنبیائهم مساجد فیه بکلصراحهٔ تعظیم أنبیائهم!! لکن القرآن الکریم بین أن الیهود لم یکونوا یحترمون الأنبیاء بل کانوا یکـذبونهم ویقتلونهم!! قال تعالی: أ فَکُلَّما جاءَکُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوی أَنْفُسُکُمُ اسْتَکْبَرْتُمْ فَفَرِیقاً کَذَّبْتُمْ وَ فَرِیقاً تَقْتُلُونَ البقرهٔ: ۸۷، وقال تعالی:

قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِیاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ البقرهٔ: ۹۱.

ولـذلک أورد هـذا الحـدیث المحـدث الشـریف عبـداللّه ابن الصـدیق الغماری أعلی اللّه درجته فی کتابه «الفوائد المقصودهٔ فی بیان الأحادیث الشاذهٔ المردودهٔ».

وأورد السـید المحدث الغماری هناک: أنّ اللّه تعالی أثبت فی القرآن الکریم إذایهٔ الیهود لنبیهم الأکبر سـیدنا موسـی علیه السـلام فی عـدهٔ آیـات منها قوله تعالی: وَإِذْ قالَ مُوسی لِقَوْمِهِ یا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِی وَ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَیْکُمْ فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَ اللَّهُ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْفاسِقِینَ الصف: ۵، هذا ولایُعلم أنهم أقاموا لأکبر وأعظم أنبیائهم سیدنا موسی قبراً یزورونه ویعظمونه حتی الآن!! فکیف یقال بعد ذلک: إنهم عظموا قبور أنبیائهم واتخذوها مساجد؟!!

وأما النصاری فلیس لهم إلا نبی واحد!!

وأمـا إنکـار الشـیخ التوسـل بالأنبیـاء فی آخر جـوابه أو مقـاله، فجوابه أنَّ الأحـادیث الصـحیحهٔ فی هـذا الموضوع کـثیرهٔ جـداً أفردت بتصـنیفات مسـتقلهٔ معلومهٔ عندکم فیها أحادیث کثیرهٔصـحیحهٔ منها حدیث عثمان بن حنیف فی قصهٔ الأعمی الذی علمه النبیصـلی الله علیه و آله أن یقول: «اللهم إنی أتوجّه إلیک بنبیک محمّد نبی الرحمهٔ» رواه الترمذی والنسائی والحاکم وغیرهم وصححه الأئمهٔ، وفی روایهٔ ابن

ص: ۲۸۵

أبی خیثمة فی تاریخه بإسنادصحیح زیادة: «وإن کانت حاجة فافعل مثل ذلک» وکذا علّم سیدنا عثمان بن حنیف رضی اللّه عنه- راوی هذا الحدیث- رجلًا بعد وفاتهصلی الله علیه و آله أن یدعو بمثل هذا الدعاء، وهوصحیح، ورغم محاولات بعضهم لتضعیفه، وتجد تفنید أقوال من یحاول تضعیفه والکلام علی تلک الروایات وعلی سندها وتحقیق ذلک فی کتاب المحدث الغماری «إرغام المبتدع الغبی بجواز التوسل بالنبی» (ص ۱۷ من طبعة دار الإمام النووی الثانیة) فلتراجع!! ویکفی أن یُعلم بأنّ الحافظ ابن کثیر وهو أحد تلامیذ ابن تیمیة نقل فی «البدایة والنهایة» (۱۴/ ۴۵) أنَّ ابن تیمیة أقرَّ أخیراً بجواز التوسل وأصرّ وبقی منکراً للاستغاثة!!

والأصل فی ذلک کله قوله تعالی: وَ ابْتَغُوا إِلَیْهِ الْوَسِیلَةَ وقوله تعالی:

یَبْتَغُونَ إِلی رَبِّهِمُ الْوَسِیلَةَ.

هذا ونسأل اللّه تعالی أن یمنحنا وإیاکم وسائر المسلمین الرجوع للحق وتقوی اللّه تعالی فی السرّ والعلن، وأن یکرمنا جمیعاً بالتفقه فی دینه والثبات علی التوحید الخالص، وأن یصلح أحوال المسلمین فی کل مکان، وأن یکرمهم بالفقه فی الدین والحرص علی الخیرات وترک المنکرات، وأن یولی علیهم خیارهم لیحکموا بشرع اللّه تعالی انصیاعاً لقوله جلَّ جلاله: فَلا وَرَبِّکَ لا یُؤْمِنُونَ حَتَّی یُحَکِّمُوکَ فِیما شَجَرَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ لا یَجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَیْتَ وَ یُسَلِّمُوا تَسْلِیماً ولقوله تعالی: أَ فَحُکْمَ الْجاهِلِیَّةِ یَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُکْماً لِقَوْمٍ یُوقِنُونَ اللهمصلّ وسلّم وبارک علی سیدنا محمّد وعلی آله الطیبین الطاهرین، ورضوان اللّه تعالی علیصحابته المتقین، وآخر دعوانا أن الحمد للّهرب العالمین.

معجم ما کتب فی الحجّ و الزیارة (۱۱)

ص: ٢٨٦

معجم ما كتب فى الحجّ و الزيارة (١١)

١٧٥٠- قاعدة الاسلام فى المدينة

محمد جمال الدين محفوظ

الدارة س ٧: ع ١ (٨/ ١٩٨١ م)ص ٢٦٠- ٢٨٦.

١٧٥١- قافلة مكة

عصام عبد القادر غندور

بيروت: دار التوفيق، ١۴٠١ ه/ ١٩٨١ م، ۴۶٩ص، ٢۴ سم.

١٧٥٢- قاموس الحج والعمرة من حجة النبى وعمرته

أحمد عبدالغفار عطار

بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٩ ه، ٢٧۶ص.

١٧٥٣- قبائل مكة قبل الاسلام

حسين أمين

فى: موسوعة العتبات المقدسة ج ٢:

قسم مكةص ۶١- ١٠٢.

بيروت: مؤسسة الأعلمى للمعلومات، ط ٢، ١۴٠٧ ه- ١٩٨٧ م.

١٧٥۴- قبسات من حج عام ١۴٠٠ ه

جدة: وزارة الحج والأوقاف، ط ١، ١۴٠٠ ه.

١٧٥٥- قبسات من حج عام ١۴٠٢ ه

جدة: وزارة الحج والأوقاف، ط ١، ١۴٠٢ ه.

١٧٥۶- قبسات من موسم الحج ١۴٠٩ ه

جدة: وزارة الحج والأوقاف، ۴٠٣ص، ٢۴ سم.

ص: ٢٨٧

١٧٥٧- قبسات من موسم الحج ١۴١٠ ه

مكة المكرمة: وزارة الحج والأوقاف، ١۴١٠ ه، ٣٨٧ص، ٢۴ سم.

١٧۵٨- قبل سفرك إلى الحج

السيد سلامة السقا

منار الإسلام (أبوظبی) س ٢٠: ع ١١ (١١/ ١۴١۵ ه- ۴/ ١٩٩۵ م)ص ١١.

١٧۵٩- القبلة الى المسجد الحرام

بيروت: دار الكتاب اللبنانی، (لمحات من حياة الرسولصلی الله عليه و آله، ١٠).

١٧۶٠- القبلة والطواف

محمد مهدی الآصفی

ميقات الحج ع ٣ (١۴١۶ ه)ص ١٢٠- ١۴٠.

١٧۶١- قبة اليهود- وقبة الشراب فی المسجد الحرام

حمد الجاسر

البيان (الكويت)ص ١٩: ع ٢٢٣ (١/ ١۴٠۴ ه/ ١٠/ ١٩٨۴ م)ص ٩- ١٢.

١٧۶٢- قداست وأمنيت حرم

(بالفارسية)

عبداللَّه جوادی آملی

طهران: مركز تحقيقات وانتشارات حج، ط ١، ١٣۶٧ ش، ۴٩ص، ٢١ سم.

١٧۶٣- قداسة الحرم وأمنه وآثارها الاجتماعية والسياسية

محمد علی التسخيری

التوحيد (طهران) ع ٣٢ (۵- ۶/ ١۴٠٨ ه)ص ٧٨.

١٧۶۴- قدسية الحرم وأمنه

عبداللَّه جوادی آملی

مكتب مندوب الامام الخمينی والمشرف العام علی الحجاج الايرانيين، ط ١، ١٣۶٧ ش، ۴۴ص، ٢١ سم.

١٧۶۵- قدسية الحرمين الشريفين

إعداد: وحدة بحوث اللغات الاسلامية

لبنان: هجر- أرض اللواء، ط ١، ١۴٠٨ ه/ ١٩٨٨ م، ٨٧ص، ٢۴ سم.

١٧۶۶- القديم والجديد فی دار الهجرة

علی القاضی

منبر الاسلام س ۵٠، ع ١ (٧/ ١٩٩١)ص ٣٠- ٣۴.

١٧۶٧- قرآن واحكام (كعبه كانون همبستگی اسلامی)

(بالفارسية)

ص: ٢٨٨

عبدالكريم بى آزار شيرازى

طهران: بعثت، ١٣٥٢ ش، ٥٣ص.

١٧۶٨- القرآن والكعبة والخلافة

أحمد حسن الباقورى

الوعى الاسلامى س ٧: ع ٨٣ (١٣٩١ ه)ص ١٢- ١٩.

١٧۶٩- قربانى ارزشمند خدا وعيد قربان (بالفارسية)

السيد على خامنئى

طهران: وزارة الارشاد الاسلامى، ١٣۶١ ه، ١۵ص.

١٧٧٠- قربانى در حج تمتع

(بالفارسية)

يعقوب على برجى

ميقات حج: ع ٢٠ (تابستان ١٣٧۶ ش)ص ۴٢- ۵٧.

١٧٧١- قربانى در منى و مشكل اسراف

(بالفارسية)

محمد جواد ارسطا

ميقات حج: ع ٢۵ (پاييز ١٣٧٧ ش)ص ۴۴- ٧٢.

١٧٧٢- قربانى در منى

(بالفارسى)

محمد جواد موسوى غروى

طهران: ١٣۶٣ ش، ١٨٢ص.

١٧٧٣- القرامطة وفتنتهم فى مكة

يعقوب الجعفرى

ميقات الحج: س ۴: ع ٧ (١۴١٨ ه)ص ٢٠١- ٢٢٣.

١٧٧۴- القرى لقاصد أم القرى

أبوالعباس أحمد بن عبداللّه بن محمد ابن أبى بكر محب الدين الطبرى

تصحيح: مصطفى السقا

بيروت: دار الفكر، ط ٣، ١۴٠٣ ه.

١٧٧۵- قرن المنازل

عبدالهادى الفضلى

ميقات الحج: س ٣، ع ۵ (١۴١٧ ه)ص ٨۴- ٩٣.

١٧٧۶- قرن المنازل

(بالفارسية)

عبدالهادی الفضلی، ومهدی پیشوایی

میقات حج: ع ۱۵ (بهار ۱۳۷۵ ش)ص ۷۲- ۸۱.

۱۷۷۷- قرن المنازل

دراسة وتحقیق فی موضعه

علی ابراهیم المبارك البحرانی

میقات الحج: ع ۱۰ (۱۴۱۹ ه)ص ۴۰- ۶۱.

ص: ۲۸۹

۱۷۷۸- قريش فى ضواحى مكة

العرب س ۱۶:ص ۳۰۷.

۱۷۷۹- قريش قبيلة العرب (قبل الاسلام)

أحمد ابراهيم الشريف

كلية الآداب والتربية (الكويت): ع ۱ (حزيران ۱۹۷۲ م)ص ۱۰۱- ۱۳۲.

۱۷۸۰- قريش وأخبارها

أحمد بن محمد الجهمى

ظ: معجم الادباء ۴/ ۱۳۲.

۱۷۸۱- قِسم المدينة المنورة

جعفر الخليلى

فى: موسوعة العتبات المقدسة، ج ۳

بيروت: مؤسسة الأعلمى، ط ۲، ۱۴۰۷ ه/ ۱۹۸۷ م، ۳۴۳ص.

۱۷۸۲- قصة بناءالخليل إبراهيم وابنه إسماعيل الكعبة المشرفة

محمد محمد أبو شهبة

الرابطة (مكة المكرمة) س ۲۱: ع ۱۲ (ذو الحجة ۱۴۰۳ ه- ۱۰/ ۱۹۸۳ م)ص ۲۴- ۲۶، ع ۱۱ (ذو القعدة ۱۴۰۳ ه- سبتمبر ۱۹۸۳ م)ص ۲۶- ۲۸.

۱۷۸۳- قصة الكعبة

أبوعبيدة معمر بن المثنى البصرى

المنهل ظ (جدة) س ۵۶: ع ۴۷۵ (۳- ۴/ ۱۴۱۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۸۹ م)ص ۲۰۷.

۱۷۸۴- قصى الشاب يُعيد بناء مكة

أحمد السباعى

المنهل (جدة) مج ۱۱: ج ۴ (۴/ ۱۳۷۰ ه/ ۱- ۲/ ۱۹۵۱ م)ص ۱۸۹- ۱۹۱.

۱۷۸۵- قصيدة فى مشاهد أهل البيت

زين العابدين المكى عبد الشكور

مكة المكرمة: المطبعة الماجدية، (فى ذيل: درة العقد الثمين، لمحمد تقى الدين الزرعة الطائفى المكى).

۱۷۸۶- قضاء (قضاة) أهل المدينة

أبوالحسن على بن محمد المدائنى ۲۲۵ ه

ظ: فهرست النديم ۱۱۷، العرب.

س ۳۱: ج ۷، ۸ (۱، ۲/ ۱۴۱۷ ه)ص ۴۵۵.

۱۷۸۷- القطائع النبوية فى بلاد بنى سليم

حمد الجاسر

العرب س ۸: ع ۱ (۷/ ۱۳۹۳ ه/ ۸/ ۱۹۷۳ م)ص ۱- ۸.

ع ٢ (٨/ ١٣٩٣ ه/ ٩/ ١٩٧٣ م)ص ٨١- ٩٠.

ع ٣ (٩/ ١٣٩٣ ه/ ١٠/ ١٩٧٣ م)

ص: ۲۹۰

ص ۱۷۷- ۱۹۱.

ع ۴ (۱۰۵/ ۱۳۹۳ ه/ ۱۱/ ۱۹۷۳ م)ص ۲۴۱- ۲۵۴.

ع ۵- ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۳۹۳ ه/ ۱۲، ۱/ ۱۹۷۴ م)ص ۳۵۸- ۳۶۶.

ع ۷- ۸ (۱، ۲/ ۱۳۹۴ ه/ ۲، ۳/ ۱۹۷۴ م)ص ۵۰۹- ۵۱۳.

ع ۹- ۱۰ (۳، ۴/ ۱۳۹۴ ه/ ۴، ۵/ ۱۹۷۴ م)ص ۶۵۹- ۶۶۲.

۱۷۸۸- القطائع النبویة: حمام والسد

حمد الجاسر

العرب. س ۲۲: ع ۵- ۶ (۱۱، ۱۲/ ۱۴۰۷ ه/ ۶، ۷/ ۱۹۸۷ م)ص ۲۸۹- ۲۹۳.

۱۷۸۹- قطب الدین النهروالی مؤرخ مکة:

حیاته وآثاره ومشاهیر آله

حمد الجاسر

العرب. س ۱: ع ۱ (۷/ ۱۳۸۶ ه/ ۱۰/ ۱۹۶۶ م)ص ۵۵- ۶۲.

ع ۲ (۸/ ۱۳۸۶ ه/ ۱۱/ ۱۹۶۶ م)ص ۱۴۷- ۱۵۶.

ع ۳ (۹/ ۱۳۸۶ ه/ ۱۲/ ۱۹۶۶ م)ص ۲۳۸- ۲۴۴.

ع ۴ (۱۰/ ۱۳۸۶ ه/ ۱/ ۱۹۶۷ م)ص ۳۳۶- ۲۳۸.

ع ۵ (۱۱/ ۱۳۸۶ ه/ ۲/ ۱۹۶۷ م)ص ۴۳۱- ۴۳۳.

ع ۶ (۱۲/ ۱۳۸۶ ه/ ۳/ ۱۹۶۷ م)ص ۵۵۷- ۵۵۱.

ع ۷ (۱/ ۱۳۸۷ ه/ ۴/ ۱۹۶۷ م)ص ۶۳۰- ۶۳۶.

ع ۸ (۲/ ۱۳۸۷ ه/ ۵/ ۱۹۶۷ م)ص ۷۲۷- ۷۳۳.

ع ۹- ۱۰ (۳، ۴/ ۱۳۸۷ ه/ ۶/ ۱۹۶۷ م)ص ۸۷۵- ۸۷۳.

ع ۱۱ (۵/ ۱۳۸۷ ه/ ۸/ ۱۹۶۷ م)ص ۱۰۲۹- ۱۰۳۵.

۱۷۹۰- قلائد الدرر فی مناسک مَن حج واعتمر

أحمد کاشف الغطاء

بغداد: مط دار الیوم، ط ۱، ۱۹۲۴ م.

النجف: المط العلمیة، ط ۲، ۱۹۴۸ م، ۱۶۸ص، طبع حجر.

۱۷۹۱- قلب جزیرة العرب

فؤاد حمزة

الریاض: مکتبة النصر الحدیثة، ط ۲، ۱۳۸۸ ه/ ۱۹۶۸ م، ۴۷۰ص، ۲۴ سم.

۱۷۹۲- قلب الحجاز (بحوث جغرافیة

ص: ٢٩١

وتاريخية وأدبية)

مكة المكرمة: دار مكة، ط ١، ١٤٠٥ ه/ ١٩٨٥ م، ٢٣٦ص، ٢٤ سم.

١٧٩٣- قنديل حرم

(رحلة الى الحج فى سنة ١٢٨٩ ه، بالفارسية)

نواب محمد كلبعلى خان رامپورى

رامپور: ١٢٩٠ ه ٢٤ص.

١٧٩٤- القول‌التام فى واقعة بيت اللَّه الحرام

محمد بن أبى السرور

خ: سپهسالار، ج ۵/ ۴۱۲.

القول المحقق المحكم فى زيارة الحبيب المكرم

بشير بن بدر الدين السهوانى

ظ: الثقافة الاسلامية فى الهند ٢۴۵.

١٧٩۵- القول المختار الجلى فى جواز التوسل بالنبيصلى الله عليه و آله والولى

محمد سعيد بن عبداللَّه الرباطابى

القاهرة: مصطفى البابى الحلبى، ١٩۵۵ م، ٧۶ص.

١٧٩۶- القول المنصور فى زيارة سيد القبور

(فى الرد على الكلام المبرم فى نقض القول الحكم).

بشير بن بدر الدين السهوانى.

ظ: الثقافة الاسلامية فى الهند ٢۴۵.

١٧٩٧- القول المنصور فى زيارة سيد القبور

أبو عبداللَّه محمد بن يحيى بن مهدى الجرجانى الحنفى ت ٣٩٨ ه

ظ: إيضاح المكنون ٢/ ٢۵۵.

١٧٩٨- القوم لا يقرأون ومتى كان طريق الفيل مجهولًا؟

(فى جغرافية الحجاز)

حمد الجاسر

العرب. س ٢۴: ع ٣، ۴ (٩، ١٠/ ١۴١٠ ه/ ٣، ۵/ ١٩٨٩ م)ص ٢۵٣- ٢۵٨.

١٧٩٩- قيام كعبه سر آغاز خونين قرن

(بالفارسية)

شاكر كسرائى

طهران: انتشارات نور، ١٣۶٠ ش، ١۴٢ص، ٢١ سم.

١٨٠٠- كامل الزيارات

جعفر بن محمدبن جعفر بن موسى ابن قولويه ت ٣۶٧ ه

تصحیح و تعلیق: عبد الحسین الأمینی

ص: ٢٩٢

تقديم: محمد على الاوردبادى

النجف الأشرف: المطبعة المرتضوية، ١٣٥٦ ه، ٣٣٥ص، حجرية.

تقوم بتحقيقه: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث فى قم.

١٨٠١- الكتائب فى الحرمين الشريفين وما حولهما

عبداللطيف عبداللّه دهيش

مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٠۶ ه/ ١٩٨۶ م،

٧٣ص، ٢۴ سم.

١٨٠٢- كتاب أدعية المواقف

الشيخ الصدوق محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى ت ٣٨١ ه

ظ: رجال النجاشى ٣٩٠.

١٨٠٣- كتاب بين المسجدين

على بن أحمد بن على بن محمد بن جعفر ابن عبداللّه بن الحسن بن على ابن أبى طالب العقيقى

ظ: معجم المؤلفين ٧/ ٢١، العرب.

س ٣١: ج ٧، ٨ (١، ٢/ ١۴١٧ ه)ص ۴۵۵.

١٨٠۴- كتاب الحراث (فى الحجاز)

أبو عبيدة معمر بن المثنى

ظ: فهرست النديم ۶٠، العرب.

س ٣١: ج ٧، ٨ (١، ٢/ ١۴١٧ ه)ص ۴۵۶.

١٨٠۵- كتاب عن المدينة والحجاز

أبوعبيداللّه عمرو بن بشر السكونى

ظ: العرب. س ٣١: ج ٧، ٨ (١، ٢/ ١۴١٧ ه)ص ۴۵۶.

١٨٠۶- كتاب عن وقعة الحرة

على محمد المدائنى ت ٢٢۵ ه

ظ: العرب. س ٣١: ج ٧، ٨ (١، ٢/ ١۴١٧ ه)ص ۴۵۶.

١٨٠٧- كتاب فى تاريخ المدينة

ابن فرحون ابراهيم بن على بن محمد بن برهان الدين ت ٧٩٩ ه

ظ: الدرر الكامنة ١/ ۴٩، إبناء الغمر ١/ ۵٣، العرب. س ٣١: ج ٧، ٨ (ا، ٢/ ١۴١٧ ه)ص ۴۵٧.

١٨٠٨- كتاب فى تاريخ المدينة

جعفر حسين بن يحيى بن ابراهيم بن هاشم الحسينى ت ١٣۴٢ ه

ظ: معجم مصنفى الكتب العربية ١٣٣، العرب.

س ٣١: ح ٧، ٨ (١، ٢/ ١۴١٧ ه)ص ۴۵٧.

ص: ٢٩٣

١٨٠٩- كتاب فى تاريخ المدينة

أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن ابن المُستفاض الغريابى

ظ: الاعلان بالتوبيخ ٢٧٣، العرب.

س ٣١: ج ٧، ٨ (١، ٢/ ١٤١٧ ه)ص ٤٥٧.

١٨١٠- كتاب فى تاريخ المدينة

الجمال المطرى محمد بن أحمد بن خلف ابن عيسى

ظ: العرب. س ٣١: ج ٧، ٨ (١، ٢/ ١٤١٧ ه)ص ٤٥٧.

١٨١١- كتاب فى تاريخ المدينة

محمد بن موسى بن على المراكشى (٧٨٩- ٨٢٣ ه)

ظ: معجم مصنفى الكتب العربية، العرب. س ٣١: ج ٧، ٨ (١، ٢/ ١٤١٧ ه)ص ٤٥٧.

١٨١٢- كتاب فى تاريخ مكة

العرب س ٢٢:ص ٨٤٣.

١٨١٣- كتاب فى الحج

أحمد بن محمد بن عيسى الأشعرى

ظ: رجال النجاشى ٨٢، الذريعة ۶/ ٢٥٠.

١٨١۴- كتاب فى الحج

على بن عبيداللّه بن حسين العلوى (يرويه كله عن موسى بن جعفر عليهما السلام)

ظ: رجال النجاشى ٢٥۶، الذريعة ۶/ ٢٥١.

١٨١٥- كتاب فى العقيق

هارون بن زكريا الهجرى (ق ٣، ۴ ه)

ظ: وفاء الوفاء ٣/ ١٠٨٣، ١٠٩٣، العرب. س ٣١: ج ٧، ٨ (١، ٢/ ١٤١٧ ه)ص ٤٥٨.

١٨١۶- كتاب فى فضائل المدينة والحجة لها

محمد بن أحمد بن عمر التسترى (٢٨٣- ٣۴٥ ه)

ظ: معجم مصنفى الكتب العربية ۴٢٧، العرب. س ٣١: ج ٧، ٨ (١، ٢/ ١٤١٧ ه)ص ۴٥٨.

١٨١٧- كتاب القربان

الشيخ الصدوق محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى ت ٣٨١ ه

ظ: رجال النجاشى ٣٩٠.

١٨١٨- كتاب المجموع الظريف فى حجة المقام الشريف

أحمد بن يحيى بن الجيعان ت ٩٣٠ ه.

العرب. س ١٠:ع ٩- ١٠ (٣،

ص: ۲۹۴

/۴ ۱۳۹۶ ه/ ۳، ۴/ ۱۹۷۶ م)ص ۶۵۹- ۶۹۶ (حمد الجاسر).

۱۸۱۹- کتاب المدینة وزیارة قبر النبی والأئمة علیهم السلام

الشیخ الصدوق محمد بن علی بن الحسین بن بابویه القمی ت ۳۸۱ ه

ظ

رجال النجاشی ۳۹.

۱۸۲۰- کتابات اسلامیة عن مکة المکرمة

دراسة وتحقیق: سعد عبد العزیز الراشد

[السعودیة]: ۱۴۱۶ ه.

۱۸۲۱- الکتابة فی مجتمع المدینة

شاکر محمود عبد المنعم

التضامن الاسلامی س ۳۶: ع ۹ (۳/ ۱۴۰۲ ه)ص ۴۹- ۵۱.

۱۸۲۲- کتب الأنساب وتاریخ الجزیرة العربیة

عبدالعزیز الدوری

دراسات تاریخ الجزیرةالعربیة ج ۱ (۱۹۷۹ م)ص ۱۲۹- ۱۴۱.

مجلة مجمع اللغة العربیة الاردنی س ۲:

ع ۵، ۶ (۵- ۱۲/ ۱۹۷۹ م)ص ۵- ۲۹.

۱۸۲۳- کتب منازل الحج من روافد الدراسات

العرب: س ۱۲:ص ۳۲۱.

۱۸۲۴- کسوة الکعبة

أبو عبدالباسط

الرسالة الاسلامیة (بغداد) ع ۱۴۴ (۱۴۰۱ ه)ص ۶۹- ۷۳.

۱۸۲۵- کسوة الکعبة

فریال داود عبدالخالق

المورد مج ۹: ع ۴ (شتاء ۱۹۸۰ م)ص ۱۷۱- ۱۷۸.

۱۸۲۶- کسوة الکعبة الشریفة

موسیصالح شرف

منار الإسلام (أبو ظبی) س ۱۵: ع ۱ (۸/ ۱۹۸۹ م)

ص ۴۰- ۵۴.

۱۸۲۷- کسوة الکعبة عبر التاریخ

محمد اسماعیل فرج

نور الاسلام (بیروت) ع ۲۷، ۲۸ (۱۱- ۱۲/ ۱۴۱۲ ه)ص ۱۴- ۲۰.

۱۸۲۸- کسوة الکعبة المشرفة

عبدالعزیز مؤذن

مکة المکرمة: قسم الدراسات العلیا الحضاریة بجامعة أم القری، ۱۴۰۳ ه (رسالة ماجستیر).

ص: ۲۹۵

۱۸۲۹- كسوة الكعبة المشرفة عبر العصور

محمد بيبر

الفيصل. س ۱۶: ع ۱۲۶ (۱۲/ ۱۴۰۷ ه/ ۸/ ۱۹۸۷ م).

۱۸۳۰- كسوة الكعبة المشرفة... وفنون الحجاج

ابراهيم حلمى

القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ۱۴۱۱ ه/ ۱۹۹۱ م (كتاب اليوم، ۲۳۰).

۱۸۳۱- كسوة الكعبة المعظمة عبرالتاريخ

السيد محمد الدقن

القاهرة: ظ، ۱۹۸۶، ۳۲۰ص،صور، لوحات.

۱۸۳۲- كشف الحجب والستور عما وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور

محمد زين العابدين البرزنجى

خ: جستربتى

العرب س ۲۰: ع ۷- ۸ (۱، ۲/ ۱۴۰۵ ه/ ۹، ۱۰/ ۱۹۸۵ م)ص ۴۳۳- ۴۵۶.

ع ۹- ۱۰ (۳، ۴/ ۱۴۰۶ ه/ ۱۰، ۱۱/ ۱۹۸۵ م)ص ۵۹۱- ۶۰۸.

ع ۱۱- ۱۲ (۵، ۶/ ۱۴۰۶ ه/ ۱، ۲/ ۱۹۸۶ م)ص ۷۶۷- ۷۷۵ (حمد الجاسر).

ظ:

المورد: ج ۲۴،ص ۱۹۱.

۱۸۳۳- الكعبات المقدسة عند العرب قبل الاسلام

شريف يوسف

مجلة المجمع العلمى العراقى مج ۲۹ (۱۳۹۸ ه)ص ۱۸۸- ۲۱۸.

۱۸۳۴- الكعبة

جمال الدين الآلوسى

الرسالة الاسلامية: ع ۳۱، ۳۲ (۱۳۹۰ ه)ص ۴۹- ۵۶.

۱۸۳۵- الكعبة

عبد القدوس الانصارى

المنهل (جدة) مج ۴۰: ج ۷ (۷/ ۱۳۹۹ ه/ ۵- ۶/ ۱۹۷۹ م)ص ۴۸۲- ۴۹۰.

۱۸۳۶- الكعبة

محمد بن مسعود بن محمد ابن عياش السلمى السمرقندى العياشي (ت ۳۲۰ ه)

ظ: رجال النجاشى ۳۵۲.

۱۸۳۷- كعبه در آيينه تشبيه

(بالفارسيه)

ص: ۲۹۶

محمد شجاعی

ميقات مج: ع ۱۵ (بهار ۱۳۷۵ ش)ص ۱۱۲- ۱۲۴.

۱۸۳۸- الكعبة علی مرّ العصور

علی حسين الخربوطلی

القاهرة: دار المعارف، ط ۲، ۱۹۸۶، ۱۲۴ص، (اقرأ، ۲۹۱).

۱۸۳۹- الكعبة: قريش تبنی الكعبة سنة ۱۴ قبل الهجرة/ ۶۰۸ ميلادية.

كريزويل، ك. أس

ترجمة: محمد رجب

المجلة التاريخية المصرية مج ۲: ع ۲ (اكتوبر ۱۹۴۹ م)ص ۲۵- ۳۵.

۱۸۴۰- الكعبة مركز الارض

محمد عوض محمد

المنهل (جده) مج ۱۳: ج ۱۰ (۱۲/ ۱۳۷۲ ه/ ۸/ ۱۹۵۳ م)ص ۵۷۵- ۵۷۸.

۱۸۴۱- الكعبة المشرفة

أمينة الصاوی

القاهرة: مكتبة الخانجی، ۱۹۷۶ م، ۳۰۴ص.

القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ۱۹۸۸، ۳۱۹ص، (كتاب اليوم، العدد ۲۸۲).

۱۸۴۲- الكعبة المشرفة آدابها و أحكامها

محمد بن المسعودی

المدينة المنورة: مطابع الرشيد، ۸۸ص، ۲۴ سم.

۱۸۴۳- الكعبة المشرفة: تاريخاً وتقديساً

صالح حتحوت

المجاهد س ۹: ع ۹۱ (۷/ ۸۸)ص ۳۰- ۳۱.

۱۸۴۴- الكعبة المشرفة: دراسة أثرية لمجموعة أقفالها ومفاتيحها المحفوظة فی متحف طوب قابی باستانبول

تأليف: طرجان يلماز

ترجمة: تحسين عمر طه أوغلی

مراجعة: أحمد محمد عيسی

تقديم: أكمل الدين احسان أوغلی

استانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية، ۱۹۹۳ م (۹۸صورة فوتوغرافية).

۱۸۴۵- الكعبة المشرفة ذلك الجمال القائم حتی قيام الساعة

فاطمة

شموع: ع ۶ (۷- ۹/ ۱۹۸۷ م).

ص: ٢٩٧

١٨٤۶- الكعبة المشرفة فى الشعر العربى القديم

عبد الغنى زيتونى

الخفجى س:ع ٧ (٧/ ١٩٩١ م)ص ٢- ۴.

١٨۴٧- الكعبة المشرفة قلب العالم

المنهل (جدة) مج ۵١: ع ۴٧۵ (٣- ۴/ ١۴١٠ ه)ص ١٢- ١٣.

١٨۴٨- الكعبة المعظمة على مرّ التاريخ

احمد الشنوانى

التصوف الإسلامى (القاهرة) س ١٠:

ع ٧ (٧/ ١٩٨٨ م)ص ٢٢- ٢۴.

١٨۴٩- كعبه مغناطيس دلها:

(شعر بالفارسية)

جواد محدثى

ميقات حجص ٣: ع ٩ (پاييز ١٣٧٣ ش)،ص ١۴٩- ١۵٠.

١٨۵٠- كعبة- مناسك حج

(بالفارسية)

ناصر الدين شاه الحسينى

طهران: مؤسسة چاپ و انتشارات علمى، ١٣٣٧ ش، ٢٢٠ص، ٢١ سم.

١٨۵١- الكعبة والحج فى العصور المختلفة مع أهم مناسك الحج على المذاهب الأربعة

أبو القاسم زين العابدين

مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعى، طا، ١۴٠۶ ه/ ١٩٨۶ م، ٢۵٠ص، ٢۴ سم.

١٨۵٢- الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى اليوم

أحمد عبدالغفور عطار ت ١۴١١ ه

بيروت: ط ١، ١٣٩٧ ه، ٢٠٠ص.

١٨۵٣- كفاية الزوار فى زيارة النبى والأئمة الاطهار الأخيار

(بالفارسية)

عبدالحى بن محمد رفيع

خ: مكتبة السيد المرعشى بقم ۴٣٩۵ فى ١٣٢ ورقة

ظ: فهرسها ١١/ ٣٩۴- ٣٩۵.

١٨۵۴- كل شىء عن الندوة العالمية الثانية لدراسة تاريخ الجزيرة العربية

عبدالقدوس الانصارى

المنهل (جده) مج ۴٠: ج ٧ (٧/ ١٣٩٩ ه/ ۵- ۶/ ١٩٧٩ م)ص ۴٢۶- ۴۵٠.

١٨۵۵- الكلام المبرور فى الرد على القول المنصور

ص: ۲۹۸

(حول زيارة الرسولصلى الله عليه و آله)

عبد الحى بن عبدالحليم الانصارى اللكهنوى ونُسِب إلى تلميذه عبد العزيز

ظ: الثقافة الاسلامية فى الهند ۲۴۵.

۱۸۵۶- الكلمات المفيدة على أخبار المدينة

(وهو شرح مذيل بأخبار المدينة لابن شبة)

عبداللَّه بن محمد الدويش (۱۳۷۳- ۱۴۰۸ ه)

ظ: العرب. س ۳۱: ج ۷، ۸ (۱، ۲/ ۱۴۱۷ ه).

۱۸۵۷- كنز الزائرين فى الزيارات

محمدصالح بن الآقامحمد

ظ: الذريعة ۱۸/ ۱۵۷، معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيتصلوات اللَّه عليهم ۱۰/ ۵۴.

۱۸۵۸- كنز المطالب فى فضل البيت الحرام والشاذروان وما فى زيارة القبر الشريف من المآرب

حسن الحمزاوى المالكى العدوى المصرى (۱۲۱۰- ۱۳۰۳ ه).

ظ: ريحانة الأدب ۲/ ۷۳، ايضاح المكنون ۲/ ۳۸۷.

۱۸۵۹- كنگره اسلامى حج (بالفارسية)

أحمد بن حسن المطهرى الساوجى

النجف الأشرف: مطبعة النعمان، ۱۳۸۵ ه/ ۱۹۶۶ م، ۱۴۰ص.

۱۸۶۰- كنگره اسلامى حج

(بالفارسية)

على گلزاده غفورى.

طهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامى، ۱۳۵۳ ش، ۲۶۰ص.

۱۸۶۱- كنوز الاسرار فى الصلاة والسلام على النبى المختارصلى اللَّه تبارك وتعالى عليه وسلم وعلى آله واصحابه الأبرار.

عبداللَّه بن محمد الهاروش

القاهرة: مطبعة الكيلانى ۱۹۸۷ م، ۸۸ص (سبيل اللَّه).

۱۸۶۲- كنوز الاسرار فى الصلاة والسلام على النبى المختار

جمعها: عبدالفتاح القاضى

راجعها: عبدالجليل قاسم

القاهرة: ۱۹۸۵ م، ۱۷۵ص.

۱۸۶۳- الكواكب الزهرية فى ليالى الدورية

ص: ۲۹۹

(مجموعة اشعار ومحاورات أدبیة بین أدباء أهل المدینة)

جعفر بن اسماعیل بن جعفر البرزنجی

ظ: العرب. س ۳۱: ج ۷، ۸ (۱، ۲/ ۱۴۱۷ ه)ص ۴۵۸- ۴۵۹.

۱۸۶۴- الکواکب السیارة فی الحث علی الزیارة

أبو محمد المکی بن مریدة المراکشی

ظ: فهرس الفهارس والاثبات ۸۰۰.

۱۸۶۵- کوکب الحج فی سفر المحمل بحراً وسیره براً

محمدصالح

(وهو ذیل مشعل المحمل یبین فیه منازل الحج من مصر الی مکة المشرفة ومنها الی المدینة المنورة، ویصف هاتیک المنازل والبقاع، ویشرح قبائل العرب الحجازیة وفضائلها وأخلاق بعضها ومساکنها أتم الشرح).

القاهرة: بولاق، ۱۳۰۳ ه، ۷۳ص.

۱۸۶۶- الکوکب المضیء فی زیارة سیدنا محمد النبی العربی

عبدالقادر بن محمد الحواری المدنی الحنفی

القاهرة: مکتبة بهنسی، ۱۹۲۷ م، ۱۲۹ص.

۱۸۶۷- کیف أرسی الرسول قواعد المجتمع الاسلامی فی المدینة؟

محمد رعد

المنطلق: ع ۲ (ربیع الثانی ۱۳۹۸ ه)ص ۴۷- ۵۱.

۱۸۶۸- کیف تؤدی مناسک الحج والعمرة؟

محمد الصالح العثیمین

المدینة المنورة: الجامعة الاسلامیة، ط ۲، ۱۴۱۰ ه، ۸ص.

۱۸۶۹- کیف تؤدی مناسک الحج والعمرة؟

یونس السامرائی

الرسالة الاسلامیة (بغداد) ع ۱۴۰ (۱۴۰۰ ه)ص ۵۵- ۶۱.

۱۸۷۰- کیف تحج الی بیت اللَّه الحرام؟

محمد الحسین الأدیب

النجف: مطالحیدریة، (۱۹۵۵ م)، ۱۶۰ص.

۱۸۷۱- کیف تحج وتعتمر؟

الرابطة (مکة المکرمة) س ۲۶: ع ۲۶۱ (۷/ ۱۹۸۸ م)ص ۲۵- ۲۸.

۱۸۷۲- کیف حج رسول اللَّه؟

ص: ۳۰۰

عبدالرحمن العدوى

المجاهد (القاهرة) ع ۱۲۸ (۶/ ۱۹۹۱ م)ص ۳۹- ۴۱.

۱۸۷۳- کیف حج النبی؟

صالح حتحوت

المجاهد س ۹: ع ۹۲ (۸/ ۱۹۸۸ م)ص ۳۵- ۳۶.

۱۸۷۴- کیف حج النبی؟ دلیل عملی فی مسائل الحج والعمرة

محمود مهدی الاستامبولی

دمشق: المکتب الاسلامی، ط ۳، ۱۴۰۲ ه.

۱۸۷۵- کیف حج واعتمر الرسول وکیف تزور قبره الشریف؟

ابن عمّار الأقفهی

القاهرة: المکتبات الازهریة.

۱۸۷۶- کیفصنع اللّه الهجرة لرسوله؟

عبدالقدوس الانصاری

المنهل (جده) مج ۱۱: ج ۱ (۱/ ۱۳۷۰ ه/ ۱۰- ۱۱/ ۱۹۵۰ م)ص ۷- ۱۰.

۱۸۷۷- کیف نجعل من الحج مؤتمراً سنویاً یعالج مشاکل المسلمین؟

محمد بکر

التصوف الاسلامی (القاهرة) س ۱۳:

ع ۷ (۶/ ۱۹۹۱ م)ص ۱۸- ۲۰.

۱۸۷۸- کیف ینظر المسلمون الی الحجاز وجزیرة العرب، مشاعر وأحاسیس ودراسات وملاحظات.

أبو الحسن علی الحسنی الندوی

مصر: دار الاعتصام، ط ۲، ۱۳۹۹ ه/ ۱۹۷۹ م، ۱۲۵ص، ۲۱ سم.

۱۸۷۹- کیفیة الحج والعمرة

عبده غالب أحمد عیسی

بیروت: دار الجیل، ۱۹۸۷ م، ۸۰ص.

۱۸۸۰- کیفیة الصلاة علی النبی

النعمان بن محمد التمیمی المغربی ت ۳۶۳ ه

ط: شرح الأخبار فی فضائل الأئمة الأطهار (المقدمة) ۶۸، مصادر الأدب لاسماعیل لیونا، ۶۴.

ص: ۳۰۱

۱۸۸۱- گزارش آتش سوزى مسجد نبوى در سال ۸۶۶ هجرى وبناى مجدد آن از زبان يک شاهد عينى

(ترجمة فارسية ل (رسالة هداية التصديق الى حكاية الحريق) لفضل اللّه بن روزبهان خنجى ت ۹۲۷ ه)

رسول جعفريان

ميقات مج. س ۳: ع ۱۰ (زمستان ۱۳۷۳ ش)ص ۱۰۶- ۱۱۶.

۱۸۸۲- گزارش از اعزام دانشجويان به عمره

(بالفارسية)

ميقات مج: ع ۲۲ (زمستان ۱۳۷۶ ش)ص ۱۵۲- ۱۶۲.

۱۸۸۳- گزارش از دو باز سازى كعبه ومسجد الحرام

محمد رضا فرهنگ

ميقات حج: ع ۲۰ (تابستان ۱۳۷۶ ش)ص ۱۰۴- ۱۱۴.

۱۸۸۴- گزارش از طرح قربانى حج سال ۱۳۷۲

(بالفارسية)

طهماسب مظاهرى

ميقات حج س ۲: ع ۷ (بهار ۱۳۷۳ ش)ص ۶۷- ۸۰.

۱۸۸۵- گفتگو با نماينده محترم ولى فقيه در امور حج وزيارت پيرامون حج

(بالفارسية)

ميقات حج. س ۳: ع ۱۰ (زمستان ۱۳۷۳ ش)ص ۱۵۶- ۱۷۳.

۱۸۸۶- گوشه‌اى از اسرار حج

(بالفارسية)

جعفر سبحانى

ميقات حج س ۲: ع ۸ (تابستان ۱۳۷۳ ش)ص ۳۲- ۳۶.

۱۸۸۷- لبيك اللهم لبيك: هنا الكعبة المشرفة وهذا هو البيت الحرام

محمد طنطاوى

العربى (الكويت) ع ۷ (۶/ ۱۹۵۹ م)ص ۲۳.

۱۸۸۸- لقاء الحج يكشف لنا الطريق

أبو عمر

لواء الأسلام (القاهرة) س ۴۵: ع ۴ (۶/ ۱۹۹۰ م)ص ۲۰- ۲۱.

۱۸۸۹- لقاء مع المؤرخ الحجازى عاتق

ص: ٣٠٢

بن غيث البلادى

ميقات الحج. س ٣: ع ۶ (١۴١٧ ه)ص ١٩۵- ٢١۶.

١٨٩٠- لقاء وحوار (حول الحج)

ميقات الحج: ع ٩ (١۴١٩ ه)ص ٢٠٧- ٢٣٧.

١٨٩١- لقاءات المجلة الموسم حج عام ١۴٠٨ هجرية

بدر رشاد الدوبى

التضامن الاسلامى (مكة المكرمة) س ۴٣: ع ٧ (٩/ ١٩٨٨ م)ص ٧۶- ٨۵.

١٨٩٢- للحجاج... وغيرهم

محمد سيد طنطاوى

منبر الاسلام (القاهرة) س ۴٩: ع ١٢ (۶/ ١٩٩١ م)ص ۶- ١٠.

١٨٩٣- اللطائف المنيفة فى فضل الحرمين وما حولهما من الاماكن الشريفة

عبداللَّه عبدالقادر المصرى الحنفى الفيومى ت ١٠١١ ه

ظ

المنهل (جده) س ۵۶: ع ۴٧۵ (٣- ۴/ ١۴١٠ ه/ ١٠- ١١/ ١٩٨٩ م)ص ٢٠۶.

١٨٩۴- لماذا اختار النبى المدينة موطناً لهجرته

محمد خليفة التونسى

الرسالة الاسلامية (بغداد) ع ٣۴ و ٣۵ (١٣٩١ ه)ص ٩٠- ١٠١.

ع ٣۶ (١٣٩١ ه)ص ٩١- ٩٩.

ع ٣٧ (١٣٩١ ه)ص ١١- ٢٠.

١٨٩۵- لماذا بقت الرسول فى مكة؟

عبدالقادر أحمد عطا

القاهرة: دار الاعتصام.

١٨٩۶- لماذا ظهر الاسلام فى جزيرة العرب؟

أحمد موسى سالم

بيروت: دار الجيل، ١٩٧٧ م، ٣٣۵ص، ط ٢، ١٩٨١ م، ٣٣۵ص.

١٨٩٧- لماذا ظلت مكة ملتقى العلم والثقافة؟

عبدالمنعم الجداوى

الهلال (القاهرة) س ٩۶: ع ٧ (٧/ ١٩٨٩ م)ص ١٠٠- ١٠٧.

١٨٩٨- لماذا لا يجوز لغير المسلمين دخول مكة والمدينة والاقامة فيها؟

عبدالوارث كبير

العربى ع ٨۴ (١١/ ١٩۶۵ م)ص ١۴۴.

ص: ٣٠٣

١٨٩٩- لمحات فنية من آيات الحج

محمود البستانى

ميقات الحج: ع ١٠ (١٤١٩ ه)ص ٦٢- ٧٠.

١٩٠٠- لمحات فى نشوء الحركة العلمية فى الحجاز فيصدر الاسلام: دور المسجد فى حياة المسلمين ولا سيما الحياة العلمية خلال تلك الفترة.

سامى الصفار

فى:

الندوة العلمية الثالثة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية فى عصر الرسولصلى الله عليه و آله والخلفاء الراشدين.

(الرياض: كلية الآداب- جامعة الملك سعود، ١٥- ١٢/ محرم/ ١٤٠٤ ه).

١٩٠١- لمحات من فلسفة الحج فى الأسلام

عبدالنافع محمود

الرسالة الاسلامية (بغداد) ع ١٠٨- ١٠٩ (١٣٩٧ ه)ص ٥- ٨.

١٩٠٢- لمحة تاريخية عن المدينة المنورة

على حافظ

المنهل (جدة) حج ٢٧: ج ١٠ (١٠/ ١٣٨٦ ه/ ١/ ١٩٦٧ م)ص ١٢٩٢.

ج ١٢ (١٢/ ١٣٨٦ ه/ ٤/ ١٩٦٧ م)ص ١٤١٧.

١٩٠٣- لمحة عن الحج ومناسكه

محمد جواد حجتى كرمانى

ميقات الحج: ع ٨ (١٤١٨ ه)ص ٧٩- ١٠٣.

١٩٠٤- لمحة فى بعض آيات الحج

عبداللّه خياط

المنهل (جدة) حج ١١: ج ٩- ١٠ (١١- ١٢/ ١٣٧٠ ه/ ٨- ٩/ ١٩٥١ م)ص ٣٨٩- ٣٩٤.

١٩٠٥- لمنْ هذه الدوارس فى جنبات العقيق

أحمد سباعى

المنهل (جدة) حج ٢: ج ١٠ (٩/ ١٣٥٧ ه/ ١٠/ ١٩٣٨ م)ص ٢٢- ٢٧.

١٩٠٦- اللهجات العاميّة فى الحجاز ونجد اسباب حدوثها وردها الى اصولها الصحيحة

عبدالقدوس الانصارى

المنهل (جدة) حج ٢: ج ١ (١٢/ ١٣٥٦ ه

ص: ٣٠۴

/ ٢/ ١٩٣٨ م)ص ٣- ٧.

١٩٠٧- ليالى مكة

على الجمبلاطى وعبدالمنعم قنديل

مصر: دار النهضة، ٢٢١ص، ٢١ سم.

١٩٠٨- ليشهدوا منافع لهم

وهبة الزحيلى

ميقات الحج ع ٢ (١۴١۵ ه)ص ٢٨- ٣٩.

١٩٠٩- ليلة مكة

(على هامش رحلتى فى الحجاز)

عبدالكريم جرمانوس

الرسالة (القاهرة) س ۵: ع ٢٠٧ (٢١ يونيو ١٩٣٧)ص ١٠١٨- ١٠٢٠.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبِيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنَادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلى التَّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَةِ

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّـة الحالیّـة لهـذا المرکز، شـَعبیّـة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّـة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.



مركز القائمية اصفهان للتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹